الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران – السانية
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

الالتفات و دلالاته في القرآن الكريم

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصّص: لغة و دراسات قرآنية

إعداد:
سبع بلمرسلي

إشراف/ الأستاذ
الدكتور: زعراط امحمد

السنة الجامعية
2006-2007 م

قال الله – تعالى - :

(قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟

بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ

بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾)

سورة الإسراء / الآية 88.

إهداء

إلى والديّ الكريمين..برّاً و إحسانا..

إلى زوجتي الوفيّة الفاضلة..حبّا و عرفانا..

إلى أولادي ..قرّة عيني.. رحمة و حنانا..

إلى إخوتي و أخواتي الأعزّاء .. إكبارا و احتراما..

و إلى سائر المقرّبين من الأهل و الأصدقاء..وفاء و امتنانا..

إليهم جميعا ..أهدي هذا العمل المتواضع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

الشّكر الجزيل لله أوّلا، ثم لفضيلة الأستاذ الدّكتور "زعراط امحمد" على ما بذل
من جهد في سبيل إنجاح مشروع الماجستير في تخصّص اللّغة والدّراسات القرآنية الذي ترأّسه، وبه فتح - الله تعالى- للباحث و سائر زملائه في هذا المشروع بابا واسعا، لفضاء أوسع–إن شاء الله-،في مجال الدّراسات اللّغوية والأدبيّة في القرآن الكريم..وإنّه لفخر وشرف لفضيلته أن يكون سببا في الهداية إلى هذا الفضاء، وحبلا يربط بآفاقه ويوصل إلى تكشّف أسراره ومكنوناته..كما له وافر الشكر على توجيهاته القيّمة وإرشاداته السّديدة طيلة مدّة الإشراف على إنجاز هذا البحث، وكلّ الإكبار والإجلال والعرفان على تواضعه لطلبته وصبره عليهم، رغم ضيق وقته وكثرة مشاغله..

كما لا ينبغي نسيان التقدّم بالشّكر والاعتراف بالجميل لسائر الأساتذة الأفاضل الذين ساهموا في إنجاح المشروع، سواء كانوا من هيئة التّدريس أو من الهيئة المديرة لقسم الحضارة الإسلامية بالكلّيّة.

والثّناء الحسن والتّقدير الجليل كذلك للزّميلين "ربيعي الميلود" و"كاملي بشير" اللّذين كانا بحقّ مثالا في الجلد والاجتهاد، والصّبر والعزيمة، ورمزا للحكمة والحيويّة، وعونين في إنجاز هذا البحث، و مؤنسين في وحشة طول مدّته.

والشّكر موصول أيضا لكل من ساهم، بالقليل أو الكثير، في إنجاح هذا
العمل وإكمال نضجه.. و من لم يشكر النّاس لم يشكر الله.

المقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ، و الصّلاة و السّلام على النبيّ محمّد، سيّد ولد عدنان، و خير من نطق بلغة القرآن، و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان. و بعد:

فقد اجتبى الله- تعالى- الأمّة الإسلامية فجعلها خير أمّة أخرجت للناس، و اصطفى لها رسولا هو خير نبيٍّ أرسل، جاء بخير كتاب و بخير لسان؛ و لا شكّأن اللّغات من أعظم ما تتمايز به الأمم.

وقد أكرم الله-تعالى- لغة القرآن بأن جعلها شعار الإسلام و أهله، بل جعلها من الدّين، و تعلّمها واجب لفهمه. و لذلك انبرى الأوائل للقيام بواجبهم تجاهها، فقعّدوا قواعدها و أرسوا أسس علومها، واعتنوا بها حتى تكامل بنيانها، و صار لكل علم من علومها و فنٍّ من فنونها علماء متخصّصون، و باحثون مهتمّون بتكشّف كنوزها وأسرارها؛ و من ذلك البلاغة العربية، أبرز مظاهر إعجاز القرآن الكريم!

ولقد أيقن العرب الذين نزل فيهم القرآن، أن سرّ إعجازه هو بلاغته و نظمه، و عجزوا عن أن يأتوا ولو بآية من مثله، بعد أن تحدّاهم الله به، في أقوى عصور لغتهم و أزهاها، و هو من جنس الأحرف التي ينطقون و يكتبون، و من نفس أساليب الكلام التي يعهدون؛ و أدركوا استحالة أن يكون القرآن، بذلك السّبك الذي يذهب بالألباب و العقول و النظم الذي يأخذ الأرواح و يتملّك القلوب، من نسج بشر! فأذعن من أذعن، و كابر من كابر..

ولذلك كان و لا يزال الاهتمام قائما بدراسة الأساليب البلاغية في القرآن و الاجتهاد في الوقوف على أسرارها و لطائفها، و إن تمايزت و اختلفت هذه الدّراسات من مرحلة لأخرى. و من هذه الأساليب الالتفات.

ومع أن البلاغيّين قد تحدّثوا و كتبوا عن هذا الأسلوب في مؤلّفاتهم، إلا أن نقصاً بشأنه لا يزال ملحوظا في الثّروة المكتبيّة، الأدبيّة منها و القرآنيّة، لدى القدماء و عند المحدثين، فهو في حاجة إلى زيادة إثراء وتعمّق في البحث؛ و الإلحاح كبير على الإجابة عن تساؤلات كثيرة حوله: عن حقيقته في كلام العرب؟ وهل ما كُتِب عنه حتى الآن كافٍ في رسم معالم ضابطة لمفهومه؟ و هل ينطبق ما تناوله البلاغيّون في دراساتهم لهذا الأسلوب من خلال الشّعر على دراسته في القرآن؟ و هل عرفت الدّراسات لهذا الأسلوب عبر العصور تجديدا، كما هو حال كثير من العلوم و الفنون، أم أنها قد توقّفت عند حدٍّ معيّن، أو فترت و جمدت في مرحلة من المراحل؟ ثم ما موقع هذا الأسلوب في القرآن الكريم من حيث القيمة والأثر الدّلالي؟ و ماذا عن دلالاته في القرآن، أهي واحدة أم أنها متنوّعة و مختلفة؟ و هل يمكن التّعريف والإحاطة بهذا الأسلوب في القرآن من خلال جملة من الشّواهد المعدودة و المتكرِّرة في كثير من الكتب؟ أم أن الشّواهد و الأمثلة عليه كثيرة بالقدر الذي تجعل منه ظاهرة كظاهرة التّكرار مثلا أو التّقديم و التّأخير و غيرهما؟.

وفي محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات و أخرى، كان هذا البحث المعنون ب"الالتفات ودلالاته في القرآن الكريم"، و الذي يراد من خلاله الوصول إلى بناء تصوّر شامل عن هذا الأسلوب، يُلِمُّ بجوانبه ومتعلّقاته المختلفة، و يُذكّر بقوّته و حيويته، و يهدي إلى تفعيل و حسن استعماله في الكلام نظما و نثرا، خاصّة إذا تمّ إدراك توظيف القرآن له و الدّلالات التي جاء يخدمها.

كما أن الهدف منه أيضا إرساء أسس علمية في الاختصاص، للتوسّع في بحث هذا الأسلوب في القرآن الكريم، و جمع أكبر قدر من الشّواهد للالتفات في القرآن والمواضع

التي قيل به فيها ، لتكون رصيدا كافيا لتوظيف المهارات و استكشاف ما عجز- ربّما- عن بلوغه هذا البحث، أو خفي فلا يصل إليه إلا الحذّاق من أهل الفنّ و الصّنعة، و لا شكّ أن من كان لفنون البلاغة أدرك كان من أسرار وكنوز القرآن أقرب.

و يأمل الباحث أن يكون هذا الجهد نموذجا و مثالا يحتذى في بحث و دراسة أساليب أخرى في القرآن لم تنل حظّها و نصيبها من العناية و الاهتمام. كما يرجو أن يكون، بهذا الجهد، خادما لكتاب الله – تعالى-، و مضيفا إلى مكتبة الدّراسات القرآنية و الأدبية جديدا يثريها، و عسى أن يكون ذلك التفاتة إلى تراث الآباء و الأجداد، و مشاركة في بعثه و تحقيقه، لما فيه من ذخائر و كنوز فكريّة و أدبيّة، و مساهمة في المحافظة على علوم الدّين، و في طليعتها علوم اللّغة و آدابها.

خطّة البحث:

و بعد استقرار أمر اختيار الموضوع، للأسباب و الأهداف سالفة الذّكر، تمّ وضع خطّة للبحث وفق المنهج الآتي:

- **تمهيد:** قدّم به الباحث بين يدي الموضوع، و تحدّث فيه عن مفهوم الالتفات في اصطلاح البلاغيّين و تدرّجه عندهم، و المراحل التي مرّت بها حركة التّأليف فيه، كل ذلك في دراسة تحليليّة نقديّة، محاولا الوقوف على تعريف ضابط للأسلوب؛ وعن المفهوم اللّغوي للالتفات وأوجه ارتباطه بالمفهوم الاصطلاحي، و عن شروط الالتفات، مجتهدا في جمعها و حصرها، و محاولا التّحقيق فيها. ثم تحدّث أخيرا عن الفائدة العامّة من الالتفات، مرجئا التّفصيلات و الأسرار و اللّطائف إلى ثنايا الفصول الأخرى.

- **الفصل الأوّل:** وعنوانه :"التفات متّفق عليه ودلالاته"، وفيه إحصاء لمواضع في القرآن الكريم اتُّفِق على القول بالالتفات فيها لجمعها شروطه، و تسجيل ما أمكن تسجيله من دلالات جاء الأسلوب يخدمها. فكان باعتبار هذه الدّلالات ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: في دلالات فيها معنى التّرغيب و الاعتناء بالأمر.

المبحث الثّاني : في دلالات فيها معنى التّرهيب و تهويل الأمر.

المبحث الثّالث: في دلالات أخرى.

-**الفصل الثّاني:** و هو بعنوان: " التفات مختلف فيه"، خصّصه الباحث لرصد مواضع في القرآن الكريم اختلف في القول بالالتفات فيها، و حاول مجتهدا الوقوف و التّركيز على أسباب ذلك الاختلاف، مبيِّنا في أغلب الأحيان دلالات الالتفات عند من قال به، فكان باعتبار هذه الأسباب مكوّنا من ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: في اختلاف مرجعه إلى اختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته، أو في القول بشرط

من شروط الالتفات.

المبحث الثّاني: في اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في القول بعود الضّمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه.

المبحث الثّالث: في أسباب أخرى للاختلاف.

الفصل الثّالث: وعنوانه:" التفات بحسب القراءة"، أُحصيَ فيه عدد من المواضع في القرآن الكريم يتحقّق فيها الالتفات وفق قراءة معينة و ليس على أخرى، مع الوقوف أحيانا عند دلالاته.فكان هذا الفصل باعتبار القراءة مؤلّفا من مبحثين :

المبحث الأوّل: في التفات على قراءتي النّون و التّاء.

المبحث الثّاني: في التفات على قراءات الياء و أخرى.

ومن أهمّ الصّعوبات التي عرضت أثناء البحث:

1- قلّة المصادر و المراجع في الموضوع، و المقصود تحديدا تلك التي تُفردُه بالدّراسة و البحث، إن في مكتبة الأدب و البلاغة أو في مكتبة الدّراسات القرآنية، فلم يظفر الباحث بكتاب واحد خاص بالالتفات، كما لم يبلغه أن أحدا – من القدماء خاصة- قد بحثه من قبل – بالتّصور الذي يراه-، اللّهم إلا ما نسب إلى أبي الحسن الرّمّاني(296-386هـ)من أنّه كتب كتابا أسماه"التفات القرآن"(1)،والله أعلم بمضمونه،وهل هو مطبوع أم لا يزال مخطوطا؟و إن كان مخطوطا فهل هو محفوظ أم غير محفوظ؟ و غاية ما يمكن الظّفر به في ثنايا الكتب، باختلاف طبيعتها، إشارات مختصرة قد لا تتعدّى – إن طالت- بضع صفحات، بل بضعة أسطر أحيانا!.. الأمر الذي جعل عملية جمع المادّة العلميّة صعبة للغاية، تطلّبت جهدا كبيرا و وقتا طويلا، إذ كان لزاما على الباحث، لبلوغ مبتغاه، أن يسلك سبيلا متعبا و شاقّا، لكن لا مندوحة عنه، باستقراء وتتبّع كتب التّفسير، في عمليةٍ مسح واسعة، للظّفر بمواضع الالتفات في القرآن والوقوف على ما كتب بشأنه فيها.

2- إن تشعّب الموضوع في بعض جوانبه التي يتوقّف عليه إدراك وفهم المعاني،خاصة ما تعلّق منها بالمباحث

و التخريجات النّحوية،صعّب من مهمّة الباحث لعدم اختصاصه وقلّة زاده، بل قد جعل عمليّة ترتيب المادة

---

(1) ينظر: ثلاث رسائل في الإعجاز للرمّاني و الخطّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية و النقد الأدبي: تحقيق: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1387هـ- 1968م: ص 11.

العلميّة نفسها أمرا صعبا.

3- بعد أن وفّق الله-تعالى- الباحث لجمع مادة علمية معتبرة الحجم، صعبت عملية الاختصار و الخلوص إلى زبدتها، فكان الاقتصار على قدر معيّن ممّا جمع لخدمة الغرض الأساس من البحث، و التّنازل عن قدر مهمٍّ آخر منه، وقوفا عند حكم العقل، و إن كانت الرّغبة ملحّة بأن لا يضيع شيء ممّا جمع، بل إن ما تمَّ التوصّل إليه بعد عمليّة الاختصار، يصلح أن يكون كل فصل منه بحثا مستقلا!..

4- لقد زاد الاختلاف في التّخريجات النّحوية، و طولها في بعض المسائل، وكثرة الأقوال في بعض المواضع أحيانا، ممّا ينبني عليه اختلاف في القول بالالتفات، من صعوبة المهمّة في تلخيص تلك الأقوال و التّخريجات ومناقشتها أو التّرجيح فيما بينها، و كان ذلك – خاصة- في الفصل الثاني.

5- إن القول بالالتفات في بعض المواضع من غير بيان لوجهه، أمرٌ أشكل على الباحث استجلاءه والوقوف عليه، بل قد لا يكون –أحيانا- في الموضع التفات أصلا و يقول البعض بوجوده، ما يكلّف الباحث جهدا و وقتا طمعا في الكشف عليه! كما أن عدم ضبط الأسلوب

نفسه في حدِّه، و تسميته –أحيانا- بغير اسمه، أو التعرّض لمعناه من غير تسميّة، عند الأوائل خاصة، زاد من صعوبة المهمّة.

6- **و مما يذكر أيضا، أن عدم العلم و الإحاطة بالمواضع التي فيها أكثر من قراءة قرآنية، جعل الباحث في مرات عدّة، يراجع تصنيف و موقعما يُثبِتُه من البحث، فقد يُثبِت التفاتا في موضع ما على أنه متّفق عليه، ليتبيّن بعد ذلك، أن في الآية وجها آخر من أوجه القراءة،ما يستدعي إعادة النّظر في تصنيفه و موقعه..**

7- **يُضاف إلى ذلك العامل النّفسي، الذي لا ينكر الباحث شدّة أثره عليه، و الذي كان سببه خصوصا طول مدّة البحث و عدم التفرّغ له من جهة، و استعجال ثمرته، سواء من الباحث نفسه أو من الأصحاب و المقرّبين، من جهة أخرى، و لا يخفى وقع ذلك و ما يحدثه في النّفس؛ هذا فضلا عن ظرف آخر، كان الأشدّ، و قد كاد يثنيه عن عزيمته و يوقف مشواره لو لا عناية الله و رحمته به، بإفراغه- سبحانه- صبرا عليه وإمداده بالعون ، فتمّ البحث بتوفيق منه وحده، فله– سبحانه- الشّكر على فضله و إنعامه، وتوفيقه و امتنانه.**

تمهيـــد

و فيه:

- الالتفات و تدرّجه عند علماء البلاغة.

- المفهوم اللّغوي للالتفات و أوجه ارتباطه بالمفهوم الاصطلاحيّ.

- شروط الالتفات.

- فائدة الالتفات.

[illegible] الالـ[illegible]ـات و تدرّجه عند علماء البلاغة

[illegible] عند علماء البلاغة عدّة تعاريف، أشهرها هو:"التّعبير بطريق [illegible] [illegible] التّكلـ[illegible] والخطاب والغيبة بعد التّعبير عنها بطريق آخر منها." (1) و هو [illegible] الأسا[illegible] [illegible] المعروفة عند العرب، عرفه الجاهليّون قبل الإسلام، كامرئ [illegible] [illegible]

قال:

[illegible]

وَ بَاتَ وَ بَاتَتْ لَه لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ
وَ تِلْكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي فَبِّرْتُه عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ (2)

وقد التفت من الخطاب في البيت الأوّل إلى الغيبة في الثّاني، و من الغيبة في الثّاني إلى التّكلّم في الثّالث.(3)

و قول عنترة (4): وَ لَقَدْ ذَكَرْتِ فَلاَ تَظُنِّي غَيْرَه مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ
كَيْفَ المَزَارُ وَ قَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُها بِعُنَيْزَتَين و أَهْلُنَا بِالغَيْلَمِ

فانتقل من الخطاب في (ذَكَرْتِ) إلى الإخبار(الغيبة) في (أَهْلُها).(5)

و قول جرير(6): طَرِبَ الحَمَامُ بِذِي الأَرَاكِ فَشَاقَنِي لاَ زِلْتَ في غِلَلٍ وَ أَيْكٍ نَاضِرِ(7)

واستعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب وتكرّر مجيئه في أكثر من موضع منه،باختلاف السّور وطبائعها(8). كما تعرّض له القدماء من أهل اللّغة العربيّة و إن لم يذكروه باسم الالتفات كأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي(-170هـ) وأبي زكريا يحي بن زياد الفرّاء(-207هـ) وأبي عبيدةمعمر بن المثنّى(-210هـ)، فيذكرون أن العرب تخاطب الشّاهد مخاطبة الغائب، وتخاطب فتخبر عن الغائب و المعنى للشّاهد..(9)

---

(1)،(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني ، شرح و تعليق و تنقيح: د. عبد المنعم محمد خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان،الطبعةالثّالثة، (د.ت):ج2/ص85. وقد تمّ اعتماد الرّموز الآتية في توثيق المصادر والمراجع:(د.م) وتعني:دون مكان للنّشر،(د.د):دون دار للنّشر،(د.ت):دون تاريخ للنّشر،(د.ط):دون تحديد للطبعة. وقد يجتمع أكثر من رمز أحيانا، فيكتب مثلا:(د/ ط.ت).

(2) ديوان امرئ القيس: شرح ونشر دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1957م- 1988م: ص 84.

(4) هو عنترة بن شداد العبسي المضري، من شعراء المعلقات، ولد حوالي 520 م و توفي حوالي 620م - 12 ق هـ .أشهرُ فنونِه الغزلُ والحماسة. ينظر: شرح المعلقات السبع: الحسين بن أحمد الزوزني، المطبعة التعاونية، (د/م.ط)، 1383هـ- 1963م: ص 260-261 .

(5) ينظر: البلاغة العربيّة: تأصيل و تجديد: د. محمد الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالأسكندرية ، مصر، (د.ط)، 1985م: ص 186.

(6) هو أبو حَزرة، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفِي بن بدر الكَلبي التميمي شَاعر أُموي فحل، كان هجاؤه مُرّا، لم يَثبُت أمامه غير الفرزدق و الأخطل. امتاز بوضوح المعاني وفصاحة الألفاظ ومتانة التّركيب.توفي سنة 110هـ. ينظر:طبقات فحول الشّعراء:محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربيّة السعودية، (د/ ط.ت): ص374 ، والشّعر و الشّعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1966م: ج1/ ص464.

(7) فالتفت إلى الحمام و دعا له. ينظر:كتاب الصناعتين: الكتابة والشّعر:الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكريّ، تحقيق:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1406هـ-1986م: ص392.

(8) و الالتفات في القرآن هو موضوع هذا البحث، وسيكون الحديث عنه مستفيضا في الفصول القادمة.

(9) ينظر: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: محمد بن أبي الخطاب أبو زيد القرشي:تحقيق:علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،1967: ص07، ومعاني القرآن: يحي بن زياد الفراء، القاهرة (د.ط)، 1955م: ج1 / ص 60، ومجاز =

ولعلّها كانت هذه هي المرحلة الأولى في تدرّج هذا الأسلوب عند أهل اللّغة و البلاغة، بالتعرّض له من غير تسمية أو شرح أو بسط في الاستشهاد له من كلام العرب.

ثم كانت المرحلة الثّانية، مرحلة التّسمية، و كان أول من سمّاه التفاتا الأصمعي (-216هـ)(1). (2) لكن من غير تعريف أو تفصيل، وقد سأل إبراهيم بن إسحاق الموصلي: أتعرف التفاتات جرير؟ قال : و ما هي ؟ فأنشده: أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِيَ البَشَامُ

ثم قال: ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له.(3)

قال حفني محمد شرف في كتابه (الصّور البديعيّة بين النظريّة و التّطبيق):"فتعليقه على البيت يدلّ دلالة واضحة على أنه وهو في ذلك العصر يعرف الالتفات الذي هام به علماء البديع في العصور الحديثة،ويكون بذلك استخرجه من شعر الشّعراء، لكنه لم يضع له تعريفا ولم يحدِّده التّحديد النّهائي."(4).

ثم تلتها مرحلة ثالثة هي مرحلة التّوضيح و التّمثيل والاستشهاد لهذا الأسلوب الذي ذكره القرشي والفرّاء وأبو عبيدة و سمّاه الأصمعي، و يبدو أن هذه التّسمية لم تشتهر في هذه المرحلة، بدليل أنها لم تذكر، فهذا ابن قتيبة (-276هـ) (5) يتحدّث عنه في كتابه "تأويل مشكل القرآن" في باب "مخالفة ظاهر اللّفظ معناه" ويستشهد له بقوله– عز وجل– : (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (6).و بقول الشّاعر(7): يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيها سَالِفُ الأَبَدِ

= القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة، (د.ط)، 1374هـ- 1954م :ج2 / ص139.

(1) هو أبو سعيد، عبد الملك بن قريب،الأصمعي الباهلي المصري، أحد الأعلام في اللّغة والنحو والأدب، وإمام في الأخبار والملح والغرائب. ولد سنة 125هـ وتوفي سنة 210هـ. من مؤلفاته: "اللغات"و"الفرق"و"النوادر".ينظر:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)،1992م: ج1/ص 11، 114-115، والبلغة في تاريخ أئمة اللّغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مراجعة:بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،الطبعة الأولى،2001م:ص 110.

(2) ينظر:علم المعاني والبيان والبديع:د.عبد العزيز عتيق،دار النهضة العربيّة،بيروت،لبنان،(د/ط.ت):ص560 ، ودراسات في البلاغة:د.محمد بركات حمدي، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1403هـ- 1984م: ص137.

(3) ينظر:كتاب الصناعتين: ص392.

(4) نقلا عن: دراسات في البلاغة: ص137.

(5) هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النّحوي اللّغوي القاضي الفقيه، المتوفى سنة276هـ. له مؤلفات عدّة من أشهرها: "أدب الكاتب"و"تأويل مشكل القرآن "و"تأويل مشكل الحديث ".ينظر: طبقات المفسرين:أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق سليمان بن صالح الخزّي،مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997م:ج1/ص44.

(6) سورة يونس / الآية 22.

(7) هو النابغة الذبياني. ينظر:ديوان النابغة الذبياني:شرح: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثّالثة، 1996م:ص 09.ونسب أحمد المقري التلمساني البيت إلى أبي بكر الإشبيلي.ينظر:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق:د.إحسان عباس،دار صادر، بيروت،(د.ط)، 1968م:ج4 / ص 95. والنابغة الذبياني هو أبو أمامة، زياد بن معاوية بن ضباب بن سعد بن ذبيان المضري،أحد فحول شعراء الجاهلية، لقب بالنابغة لنبوغه في الشّعر فجاءة وهو كبير.طال عمره، وتوفي قبيل الإسلام،حوالي 18ق. هـ.ينظر:البيان والتبيين:عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق:عبد السّلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،لبنان، (د/ط.ت):ج1/ص:322، والأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني،تقديم:محمد حسين الأعرجي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،(د.ط)،1992م:ج8/ص3671.

وقول الهذلي (1): يَا وَيْحَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَ بَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرابِ الأَعْفَرِ" (2)

وكذلك يفعل أبو العبّاس المبرّد(-285هـ)(3) في كتابه"الكامل"(4)،وأبو جعفر النحّاس(-338هـ)(5) في " معاني القرآن".(6)

و يتحدّث ابن جرير الطبري(-310هـ)(7) في مواضع كثيرة من تفسيره عن صرف الكلام من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى أحدها، أو من وزن إلى آخر،كالانتقال من صيغة "مفعول" إلى صيغة "فعيل" مثلا(8) ،وإن لم يسمّه التفاتا، ويذكر أن الشّواهد من الشّعر وكلام العرب في ذلك أكثر من أن تحصى. (9)

ويظهر بذلك، من خلال هذه المرحلة، أنه وإن سمّى الأصمعيّ هذا الأسلوب من قبل بالالتفات إلا أنّ هذه التّسمية لم تشتهر فلم توظّف في التآليف، لكن الاهتمام به بدا واضحا بالتوسّع في الاستشهاد له من القرآن الكريم ومن كلام وشعر العرب.

ثم جاءت مرحلة أخرى بارزة هي مرحلة الشّرح والبسط لهذا الأسلوب بمحاولة وضع تعريف أو حدٍّ
ضابط له، وزيادة الاستشهاد له من القرآن الكريم ومن شعر العرب، وبيان قيمته البلاغيّة من خلال آثاره

---

(1) هو أبو كبير الهذلي.ينظر:المستقصى في أمثال العرب:محمود بن عمر الزّمخشري،دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الثّانية،1987م:ج1/ ص67.وأبو كبير الهذلي هو عامر بن حليس،أحد بني سعد بن هذيل،من شعراء الجاهلية،اشتهر بكنيته،كان تزوج أم تأبط شرا، وله معه قصة. ينظر:الشّعر والشّعراء:ج2/ص762-769،وشرح ديوان الحماسة: يحي بن علي التبريزي الخطيب،عالم الكتب، بيروت،(د/ط.ت):ج1/ص 41-42 .والبيت في الديوان برواية:(يَا لَهْفَ نَفْسِي..).ينظر:ديوان الهذليين:دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)، 1369هـ:ج2/ص 101.

(2) ينظر:تأويل مشكل القرآن:عبد الله بن مسلم بن قتيبة،شرح:السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، (د.م)، الطبعةالثّالثة، 1981م: ص223.

(3) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري، المعروف بالمبرّد،كان شيخ أهل النّحو والعربيّة، فصيحا بليغا، حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر. من كتبه:"المقتضب" و "الكامل".ولد سنة 210هـ و توفي سنة 285هـ.ينظر:طبقات المفسرين للأدنروي:ج1/ص 41-42، معجم الشّعراء:محمد بن عمران المرزباني، تحقيق:عبد الستار أحمد فراج،دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1960م:ص 405.

(4) ينظر:الكامل في للّغة والأدب:محمد بن يزيد المبرد،تعليق:محمد إبراهيم،المكتبة العصرية،بيروت،(د.ط)، 2002م:ج2/ ص332-334.

(5) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس،النحاس النّحوي.كان من الفضلاء،و له تصانيف مفيدة، منها تفسيره المعروف ب"تفسيرالنحاس"، و "إعراب القرآن". توفي سنة 338هـ و قيل سنة 337 هـ.ينظر :طبقات المفسرين للأدنوري:ج1/ ص72،و أبجد العلوم (الوشى المرقوم في بيان أصول العلوم): صديق بن حسن القنوجي،تحقيق: عبد الجبار زكار،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، (د.ط)،1978م:ج3/ ص 55.

(6) ينظر: معاني القرآن الكريم: أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1409هـ: ج1 / ص65، ج3 / ص 285.

(7) هو أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، ولد سنة 224 هـ ،وتوفي سنة 310هـ. إمام في القراءات والتفسير والحديث والتاريخ.من مؤلفاته:تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن "و "تاريخ الأمم والملوك" ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي:جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تحقيق:علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ: ج1/ص95-96،ومباحث في علوم القرآن:مناع القطان،مؤسسة الرسالة،بيروت،الطبعة الخامسة عشر،1405هـ-1985م:ص385-386.

(8)وذلك كالانصراف عن "ممسوح" إل" مسيح" في قوله – تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) سورة آل عمران/ الآية 45، وعن " مسعور" إل " سعير"في قوله – تعالى:إِنَّ(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا) سورة النساء/ الآية 10.ينظر: تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1405هـ:ج3 / ص 270، ج 4/ ص 274.

(9) ينظر: تفسير الطبري: ج1/ص67-68.

الدِّلاليّة والمعنويّة، فبدأت بذلك دراسته النّقديّة تظهر وتتجلّى، وقد بيّن معالمها ورسم حدودها فريقان، كان على رأس الأوّل ابن المعتز(- 296هـ) (1)، وعلى رأس الثّاني قدامة (- 337هـ) (2).

ذهب ابن المعتز و من وافقه إلى أن الالتفات هو:"الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث:الغيبة أو الخطاب أو التّكلّم، إلى واحدة منها في التّعبير عن مفهوم أو معنى واحد." وهذا التّعريف هو لمشهور والذي يعبِّر البعض عنه بتعريف الجمهور (3).

1- عبد الله بن المعتز(- 297هـ): ذكر الالتفات في كتابه "البديع" عند حديثه عن محاسن الكلام والشّعر، و قال في تعريفه:" هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار و عن الإخبار إلى المخاطبة و ما يشبه ذلك." (4)

واستدلّ له بقوله– تعالى- :حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (5)، وقوله:(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً) (6) بعد قوله إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)(7).

و بقول جرير: مَتَى كَانَ الخيامُ بِذِي طُلُـوح سُقِيتِ الغَيْثُ أيَّتُها الخِيَـامُ
أ َتَنْسَى يَوْمَ تَصْقُلُ عَارِضَيْهــا بِعُودِ بشامةٍ سُقِيَ البَشَـامُ(8)
وقولـه: طَربَ الحَمَامُ بِذِي الأَرَاكِ فَشَاقَنِي لاَ زِلْتَ في غِلَلٍ وَ أَيْكٍ نَاضِر(9)
و بقول الطائي(10): وأَنْجَدتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ داركُم فَيَا دَمْعُ أنجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

---

(1) هو أبو العباس،عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، الهاشمي. كان أديبا بليغا وشاعرا مخالطا للعلماء، عاش في بيت الخلافة عيشا رغيدا، إلى أن مات أبوه، فتسلّم الخلافة بعده، لكن ليوم و ليلة فقط، إذ قتله جند المقتدر سنة 296 هـ. من مصنّفاته: "البديع" الذي يُعدُّ أول كتاب في البلاغة العربيّة،و "مكاتبات الإخوان"و"أشعار الملوك"و"طبقات الشّعراء"و"الآداب" ينظر: أبجد العلوم:ج1/ ص 83.
(2) هو أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي، أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، كان نصرانيا وأسلم على يد المكتفي بالله. توفي ببغداد عام 337هـ،وقيل327هـ.من كتبه:"الخراج"و"نقد الشّعر"و"درياق الفكر"و "صناعة الجدل".ينظر:الفهرست: محمد بن إسحاق النّديم ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1978م:ج1/ص 188.
(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:ج2 / ص86، والبرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزّركشي، تخريج وتقديم و تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1988م: ج3 / ص314 ، و الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1978م: ج2 /ص109.
(4) كتاب البديع: عبد الله بن المعتز، شرح و تحقيق: أ. عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م: ص73.
(5) سورة يونس / الآية 22.
(6) سورة إبراهيم / الآية 21.
(7) سورة إبراهيم / الآية 19.
(8) ينظر:المصدر نفسه: ص73.والبيت في الديوان برواية:(أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى). ينظر: شرح ديوان جرير: تاج الدين شلق، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ط)،2004م: ص576.
(9) البيت في الديوان برواية: (طَربَ الحَمَامُ بِذِي الأَرَاكِ فَهاجني لاَ زِلْتَ في غَلَلٍ وَ أَيْك نَاضِر). قال الشارح: الغَلَل: الماء الذي يجري بين الشجر. و المعنى: غنى الحمام فأثار شجوني، فاهنأ ياحمام بالماء و الشّجر. ينظر: شرح ديوان جرير: ص 333.
(10) هو أبو تمام حبيب بن أَوس الطَّائي،ولد بدمشق و نشأ بمصر. قدم إلى بغداد فنال حظوة "المعتصم" ووُلِّي بريد الموصل، شاعر وأديب =

ويلاحظ أن ابن المعتز قد تحدّث عن الالتفات ضمن فنون البديع،في الوقت الذي يقول:"و من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر." (1) فيربط بذلك القيمة البلاغيّة للالتفات بالمعنى الذي يحمله، وهو ما لم يعرض إليه من قبله.

والمتتبّع لما كتب ابن المعتز عن الالتفات يجده قد عرّفه وبيّن حدّه،واستشهد له من القرآن الكريم وشعر العرب، من غير تعرّض للفائدة منه ولا لنكته وأغراضه أو صوره وأقسامه، ولا غرو، فهي بدايةٌ لضبط فنٍّ بلاغيّ كان معروفا عند من سبقه استعمالا،وخطوةٌ مهّدت لدراسة بلاغيّة ونقديّة قويّة بعده،كشفت عن أسرار هذا الأسلوب، و بيّنت من خلاله قوة و إعجاز الأسلوب القرآنيّ.

ويمكن أن يشار هنا إلى أن في قول ابن المعتز السّابق:"و من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر" نوع إطلاق،ربّما يُفهَم منه أن كلّ انتقال من معنى إلى آخر هو من الالتفات، فيكون ذريعة لضمّ ما ليس منه إليه.

ثم إن تعقيبه على تعريفه للالتفات بتلك العبارة يوحي بأن الانتقال من صيغة من الصّيغ الثلاث:التّكلّم أو الغيبة أو الخطاب، إلى واحدة منها، هو الالتفات جزما ويقينا، ويوحي في الوقت ذاته، بأنّ "الانصراف من معنى إلى آخر" ـكما ذكرـ ليس أصلا في التّعريف، بل

قد يكون نوعا منه أو شبيها به؛ أو أنه يريد أن يجعل الالتفات ضربين: أحدهما متعلّق بالمباني و هو الأصل، والآخر متعلّق بالمعاني، وليس أصلا في الحدّ أو التّعريف، فتبقى بذلك هذه العبارة محتملة للتّفسيرين.

2- إسحاق بن وهب (-ق4هـ): سمّاه:"الصَّرْف"، في كتابه " البرهان في وجوه البيان "(2) وقال:"و أما الصّرف، فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب، و من الواحد إلى الجماعة"(3).

وهو وإن لم يكثر من الشّواهد(4) ولم يعرض لأقسام الالتفات أو صوره ولا لأغراضه، فإنّه أضاف جديدا بتسميته الالتفات صرفا و جعل الانتقال من الواحد إلى الجماعة منه، وهي إضافة غير مسبوقة في دراسة هذا الأسلوب، وإن عرفها العرب من قبل و وجدت في القرآن الكريم.

3- ابن شيث القرشي: ذكر أحمد مطلوب أنه سمّى الالتفات انصرافا في كتابه "معالم الكتابة" وأنه عرّفه

= من أمراء البيان في عصره.وتوفي فيها سنة 231هـ من آثاره "ديوان الحماسة"و "فحول الشّعراء".ينظر الأغاني:12/ ص:5793، و مسائل الانتقاد:محمد بن شرف القيرواني، تحقيق:د.النبوي عبد الواحد شعلان،مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة،(د/ ط.ت):ص:140.

(1) البديع: ص73.

(2)جزم د.عبد المنعم خفاجي في مقدمته لكتاب"نقد الشّعر" أن كتاب "نقد النثر" ظل منسوبا إلى قدامة بن جعفر، إلى أن وُجدت نسخة منه بعنوان (البرهان في وجوه البيان) لإسحاق بن وهب الكاتب.وقد نشره د.أحمد مطلوب كاملا في بغداد. ينظر:نقد الشّعر: قدامة بن جعفر، تحقيق و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت): ص 05.

(3) نقد النثر(البرهان في وجوه البيان):قدامة بن جعفر، تحقيق: عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، (د.ط)،بيروت، 1995م: ص70.

(4) فقد اقتصر على ثلاثة شواهد: الآية الثّانية و العشرون من سورة يونس، و قول أبي كبير الهذلي السّابق، إضافة إلى قول الشّاعر:

وَ تِلْكَ الّتِي لاَ وَصْلَ إِلاَّ وِصَالُهَا وَ لاَ صَرْمَ إِلاَّ مَا صَرَمْتِ يَضِيرُ

بالقول:"هو أن تبتدىء المخاطبة بهاء الكناية ثم تنصرف إلى المخاطبة بالكاف، وهذا يحتمل إذا كان الأمر ممّا تكنّيه مهمًّا دون غيره ." (1)

والجديد في تعريف ابن شيث القرشي هو إشارته إلى الفائدة من الانصراف عن الغيبة إلى المخاطبة،و هي بيان أهميّة الأمر المنصرف عنه بإنزاله منزلة المخاطب، وهذه وإن لم تكن فائدة عامّة من الالتفات، إلا أنه بذكرها، قد زاد في توضيح وبيان القيمة البلاغيّة لهذا الأسلوب، وكأنه يريد أن يشدّ انتباه الدارسين إلى الأغراض البلاغيّة من وراء ذلك الانصراف، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند الحدّ أو التّعريف، والتّمثيل له من القرآن أو الشّعر، وهي ولا شك خطوة لها أهمّيتها البالغة على خطّ تدرّج بحث هذا الأسلوب البلاغي.

وأما الفريق الثّاني فقد نظر إلى الالتفات من زاوية أخرى هي المعنى، لا من زاوية الصيغة التي يرد وفقها

الكلام، ويتحوّل عنها إلى أخرى منها، ولذلك كان تعريف هؤلاء لهذا الأسلوب مختلفا عن تعريف أولئك.

1- قدامة بن جعفر (-337هـ): عرّف قدامة الالتفات بقوله:"هو أن يكون الشّاعر آخذا في معنى،فكأنه يعترضه إما شكّ فيه أو ظنّ بأن رادًّا يردّ عليه قوله أو سائلا يسأله عن سببه، فيعود راجعا إلى ما قدّمه فإمّا أن يذكر سببه أو يحلّ الشكّ فيه."(2)، و هو عينه

تعريف الاعتراض أو الرّجوع.(3) ويصرّح بذلك عند تعليقه على قول المعطّل الهذلي في بني رهم من هذيل:

تَبِينُ صُلاةُ الحَرْبِ مِنَّا وَ مِنْهُمُ إِذَا مَا التَقَيْنَا وَ المُسَالِمُ بَادِنُ

قال:فقوله(بَادِنُ) رجوع عن المعنى الذي قدّمه حين بيّن أن علامة (صُلاة الحَرْبِ) أن المسالم يكون بادنا والمحارب ضامرا."(4)؛ وعلى قول طرفة :

وَتَكُفُّ عَنْكَ مَخُيِّلَةَ الرَّجُلِ العَرِيضِ مُوضِحَةٌ عن العَظْمِ

بِحُسَامِ سَيْفِكَ أو لِسَانِكَ والكلِمُ الأَصِيلُ كَأَرْغَبِ الكَلْمِ

قال:"فكأنّه لما بلغ (حُسَامِ سَيْفِكَ أو لِسَانِكَ) قدّر أن معترضا يعترضه، فيقول:كيف يكون مجرى السّيف

---

(1) ينظر:معجم المصطلحات البلاغيّة وتطورها:د. أحمد مطلوب،مكتبة لبنان ناشرون،بيروت،لبنان، الطبعةالثّانية، سنة 2000م :ص174.

واقتصاره في تعريف الالتفات على الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ليس حصرا له في هذه الصّورة دون غيرها من الصّور- و كذلك فعل "ابن وهب" بجعله في الانتقال بالقول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة- وإنّما اكتفاء بها لمشابهة الأخرى لها،ولهذا قال ابن المعتز في تعريفه: "هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك." ينظر: البديع: ص73.

(2) نقد الشّعر: قدامة بن جعفر، تحقيق و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت): ص150.

(3) ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة:ص174-175، والبرهان في علوم القرآن: ج2/ص235، والإتقان في علوم القرآن:ج2/ص201 .

و الاعتراض هو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متّصلين معنىً بشيء يتمّ الغرض الأصليّ بدونه ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلا بين الكلام و الكلامين لنكتة. ينظر: البرهان في علوم القرآن :ج3 / ص56،والإتقان في علوم القرآن:ج2/ص201.و قيل: هو أن يعترض المتحدّث بكلامه كلاما آخر قبل أن يتمّم المعنى ثم يعود إلى إتمامه. ينظر:البديع: ص108،كتاب الصناعتين: ص394، والبديع في البديع في نقد الشّعر:أسامة بن منقذ،تحقيق: عبد آ.علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى،1987م: ص190.و أما الرّجوع فهو أن يذكر المتكلّم شيئا ثم يرجع عنه. ينظر: كتاب الصناعتين: ص395، البديع لابن المعتز: ص74

(4) نقد الشّعر: ص150.

واللّسان واحدا؟ فقال: و الكلِمُ الأصيل كأشدِّ الجراح وأكثرها اتّساعا."(1)

ويظهر من خلال تعريف قدامة للالتفات وقوله:"ومن نعوت المعاني الالتفات." (2) اهتمامه بالجانب المعنوي فيه، وكأن الحرص على إيصال المعنى من خلال هذا الشّعر يجعل الشّاعر يتخيّل كل ما من شأنه أن يمنع أو يحجب وصوله إلى الغير، أو يجعله يتساءل عما ينقص أو يقلّل من استيعابه وفهمه له، فيبذل وسعه في إزالة المانع وكشف الحجاب، والرد على الاعتراضات والتساؤلات، بما يضمن بلوغ المعنى المراد. و هو في هذا الاهتمام بالمعنى كابن المعتز إلا أنه أكثر إيضاحا لمراده منه.

كما يلاحظ أيضا أن قدامة من خلال تعريفه والأمثلة التي أوردها قد أولى العناية بالنّفس الإنسانية وراعى أحوالها و أحاديثها، بافتراض وتصور الشّاعر لحالها و هي تتلقى شعره.

وتعدّ هذه العناية وذلك الاهتمام بالمعنى و أثره في النّفس مكسبا إضافيا أثرى رصيد البحث و الدّراسة لهذا الأسلوب، وزاد في بروز قوّته وقيمته البلاغيّة.

ومع اقتصار قدامة على الشّعر في التّمثيل لمذهبه فقد كان أكثر توضيحا لها في خدمة المعنى المراد، وقد نوّع في اختياره لها من الشّعر الفصيح، ما يبرز ذوقه الأدبيّ وأثره النقديّ في عرضه لموضوع الالتفات.(3)

2- أبو هلال العسكريّ (- 395هـ) (4): يتحدّث العسكريّ عن الالتفات في باب البديع، و يجعله ضربين: (5)

الأوّل: أن يفرغ المتكلّم من المعنى حتى إذا أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدّم ذكره به.
واستشهد له بقول الأصمعي في سؤاله عن التفاتات جرير، وأبيات ثلاثة أخرى(6).
الثّاني: أن يكون الشّاعر آخذا في معنى وكأنه يعترضه شكّ أو ظنّ أن رادّا يرد قوله أو سائلا يسأل عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدّمه فإمّا أن يؤكّده أو يذكر سببه أو يزيل الشكّ عنه. واستشهد لهذا الضرب بخمسة شواهد شعريّة من ستّة استدل بها قدامة على مذهبه في الالتفات.
وبإمعان النظر فيما كتب العسكريّ عن الالتفات يتبيّن أنه يربطه بلمعاني وإن صنّفه ضمن باب البديع،

---

(1) نقد الشّعر: ص 151.
(2) المصدر نفسه: ص150.
(3) ينظر: دراسات في البلاغة: ص138.
(4) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكريّ، اللّغوي الأديب،العالم العفيف. من كتبه: "الأوائل"، و "الأمثال" و "شرح الحماسة"و"الصناعتين". توفي سنة 395هـ .ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي: ج1 / ص43-44، و أبجد العلوم:ج2 / ص 117.
(5) يراجع الضّوبان و ما مثّل به لهما من أمثلة و توجيهاته لها في: كتاب الصناعتين: ص392-393.
(6) هي:1- قول جرير:طَرِبَ الحَمَامُ بِذِي الأَرَاكِ فَشَاقَنِي لاَ زِلْتَ في عَلَلٍ وَ أَنْتَ نَاضِرِ
2- قول حسّان:إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدتُها قُتِلتْ قَتِلْتَ فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ.
3- قول القائل:لَقَدْ قَتَلَتْ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِم حَتَّى بَكَيْتُ وَ مَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَد. والقائل هو المهلهل بن ربيعة لكن برواية: أَثْأَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِم ..).ينظر:العقد الفريد:أحمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د/ط.ت):ج5/ص 655.

فيوافق بذلك التّصنيف قدامة حقيقة وابن المعتز شكلا؛ و يظهر بما لا يخفى على الناظر تأثّره بهما وإن لم يصرِّح بالنّقل عن قدامة، أو يشر إلى مذهب ابن المعتز.
ويكون العسكريّ بذكره للضّربين وأخذه عن قدامة واقتباسه من ابن المعتز قد تقدّم خطوة في مجال الدّراسة النّقديّة لهذا الأسلوب، وزاد في التّركيز على القيمة البلاغيّة و الاهتمام بها، وهو ما يوحي بملامح تواصل في حركة التأليف في هذا الموضوع، بدأت تتجلّى معالمها من زمن العسكريّ.
وبالإضافة إلى هذه المزية للعسكريّ يُذكر أنه بإيراده للقولين في تعريف الالتفات في الفصل العشرين من باب البديع،في كتابه" الصناعتين"، ثم بما أعقبه في الفصلين الحادي والعشرين والثّاني والعشرين، بالحديث عن الاعتراض ثم الرّجوع،يفهم أنه فضّل نقل ما عُرف به الالتفات حتىّ وقته – أي تعريف ابن المعتز وتعريف قدامة - وإفراد الاعتراض بفصل خاص يُبرز فيه ما يراه بشأنه ويستشهد له بشواهد من الشّعر غير التي أوردها قدامة في تعريفه للالتفات،و أوردها هو في الضرب الثّاني و الذي هو الاعتراض، وكأن الأمر اشتبه عليه فلم يصل إلى تفريق دقيق بين الثّلاثة، فاكتفى بإقرار ما قيل فيه، وأفرد الاعتراض والرّجوع بفصلين مستقلّين.
قال أحمد مطلوب بعد أن ذكر تعريف قدامة :" وهذا هو الاعتراض أو الرّجوع ، وقد عدّه العسكريّ النّوع الثّاني من الالتفات، أما النّوع الأوّل فهو ما ذكره الأصمعي، وبذلك يتضح أن الالتفات لم يكن واضحا عند قدامة والعسكريّ وضوحه عند المتقدّمين." (1).
وكأن الخلط و عدم الوضوح في تعريف الالتفات بدأت مظاهره من حين قدامة، أي من حين دخول هذا الأسلوب في الدّراسة البلاغيّة والنّقديّة. يقول أحمد مطلوب:" وسمّاه قوم

الاعتراض، وهو فن آخر، وقد تقدّم في الإطناب بالاعتراض،و الاعتراض، ولكن الآخرين سمَّوه التفاتا، و بدأ هذا الأسلوب يدخل في
البلاغة والنّقد، و قد تحدّث عنه قدامة في نعوت المعاني.." (2)

والظاهر أن الاهتمام بالمعنى وحده وجعل المزيّة فيه في بحث الالتفات، بعيدا عن الصياغةاللّفظية، كان سببا في الوقوع في ذلك الالتباس والاشتباه.

3- أبو بكر الباقلاّني (-403هـ) (3): تحدّث الباقلاّني عن الالتفات في كتابه:"إعجاز القرآن"،وعدّه من البديع، ويظهر أنّه الأكثر تردّدا في محاولة ضبط حدٍّ له والوقوف على معناه، فاشتبه عليه أمره، ورأى أن يجزم بأنه هو الاعتراض والرّجوع؛ ليعود بعد ذلك فيذكر قول من لا يجعلهما منه. كما يظهر أيضا من خلال ما جاء به من شواهد لما ذهب إليه أنه حاول أن يجمع بين آراء من سبقه، كابن المعتز وقدامة ـــــــ

(1) معجم المصطلحات البلاغيّة: ص175.

(2) المرجع نفسه : ص174.

(3) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاّني البصري المالكي، صاحب التّصانيف في علم الكلام و نصرة أهل السّنة من أهم مصنّفاته : كتاب "مناقب الأئمة ". توفي عام 403 هـ. ينظر:كشف الظنون:ج2 / ص 1841.

والعسكريّ، إلا أنه لم يصل إلى فصل في تعريف الالتفات، بل زاد الأمر التباسا وعدم وضوح.

والشّواهد التّسعة التي جاء بها(1) هي عندالثّلاثة إما في الالتفات أو الاعتراض، ما يدلّ على أخذه عنهم من غير تصريح ويقوّي القول باشتباه الالتفات بالاعتراض عنده؛ ويجعل على رأس شواهده بيتي جرير(2)و يعلّق عليهما بالقول:"ومعنى الالتفاتات أنه اعترض في الكلام بقوله (سُقِيتِ الغَيْثُ) و لو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا، وكان الكلام منتظما، وكان يقول:(متى كان الخيام بذي طُلُوح أيّتها الخيام) فمتى خرج عن الكلام الأوّل ثم رجع إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتا." (3)

ثم يعود بعد ذلك ليقول:"ومنهم من لا يَعُدُّ الاعتراض والرّجوع من هذا الباب، ومنهم من يفرده عنه."(4) أي: منهم من لا يَعدُّ أصلا الاعتراض و الرّجوع من الالتفات، ومنهم من يفردهما عنه، وربما كانا عنده منه؛ ويستشهد لذلك بسبعة شواهد، صرّح بجعل أربعة منها من الرّجوع،وأما الثّلاثة الأخرى(5) فإن جعلها من الاعتراض فهي عند غيره من الرّجوع.

ويتبيَّن بذلك أن الباقلاّني قد جعل الالتفات والاعتراض والرّجوع أمرا واحدا، ولم يفرّق بين معاني هذه المصطلحات،وابتعد بذلك عن أقوال سابقيه.لكن ومن خلال عرضه للآراء و محاولته الجمع بينها، وإكثاره من الاستدلال لأقواله من القرآن ومن الشّعر ، قد زاد من حيويّة وحركيّة الدّراسةالنّقديّة لهذا الأسلوب.

4- ابن رشيق القيرواني (-456هـ) (6) : إن النّاظر في كتاب"العمدة في محاسن الشّعر وآدابه" لابن رشيق، في باب الالتفات، يلحظ تلك النّظرات النّقديّة التي تميّز بها، وذلك الذّوق الأدبي الرفيع في فهمه للشواهد و تعليقاته عليها.

وتتجلّى تلك النّظرات من خلال جمعه لأقوال وآراء سابقيه، خاصّة ابن المعتز وقدامة والعسكريّ؛ فهو يذكر في بيانه لمفهوم الالتفات تعريفيّ قدامة وابن المعتز وقول من عدّه تتميما، ثم يورد بعد ذلك هو ـــــــ

(1) ينظر: إعجاز القرآن: محمد بن الطيب الباقلاّني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثّالثة، (د.ت): ص99-100.

(2) و هما:تَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بشامةٍ سُقِيَ البَشَامُ

مَتَى كَانَ الخيامُ بِذِي طُلُــوحٍ سُقِيتِ الغَيْثَ أيَّتُها الخِيَــامُ

(3) إعجاز القرآن: ص99. قال د. أحمد مطلوب، بعد أن ذكر قوله هذا:"و لذلك قال الحاتمي: وسمّاه قوم الاعتراض.". ينظر:معجم المصطلحات البلاغيّة: ص175. وليراجع قول الحاتمي في:حلية المحاضرة: محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق: د. أبو جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)، 1979م: ج1 / ص 157.

(4) إعجاز القرآن: ص 101.

(5) وهي: قول زهير: قِفْ بِالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القِدَمُ نَعَمْ وَ غَيَّرَهَا الأَرْوَاحُ وَ الدِّيَمُ. وجاء الشطر الثّاني في الديوان برواية: (بلى و غيّرها الأرْوَاحُ و الدِّيَمُ). ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: دار صادر، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت): ص 90.

وقول الأعرابي : أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظْرَةٌ إِن نَظَــرْتُهَا إِلَيْكِ وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ. والقائل هو ابن الطَّثْرِيَة. ينظر:كتاب البديع: ص74.

وقول ابن هرمة: لَيْتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ العَيْنِ مِنْهاَ وَ كَثِيرٌ مِنْهَا القَلِيلُ المُهَنَّــا

(6) هو أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني، أحد الأفاضل النقاد البلغاء. توفي سنة 456هـ. من كتبه:"الرسائل الفائقة"و"العمدة في صناعة الشّعر و نقده"و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب" و"الشذوذ في اللّغة ".ينظر: أبجد العلوم:ج3/ص65 ،وكشف الظنون:ج2/ص1323.

الاستدراك و يمثّ ل له بأمثلة عدّة من الشّعر. (1)

كما تتجلّى أيضا من خلال تنويعه للشّواهد و الأمثلة الشّعرية لتلك الآراء والأقوال، بما لم يجمع غيره ممن سبقه، وقد بلغت سبعة عشر شاهدا، منها ما ذكر عندالثّلاثة، وهو ما يُعدّ مادّة خصبة لإثراء الدّراسة البلاغيّة والنّقديّة لهذا الأسلوب.

ويظهر من قوله:"لم يعدّ ابن المعتز التفاتا إلا ما كان من هذا النّوع،وإلا فهو اعتراض كلام في كلام."(2)، تعليقا على قول جرير: (طَرِبَ الحَمَامُ..) ، أن ما يراه ابن المعتز التفاتا، هو عند غيره التفات و اعتراض في آن، فمعناه عنده أخصّ، لذلك لم يره إلا فيما كان من ذلك النّوع، أي في الانتقال من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار وما يشبه ذلك، وعليه جعل الاعتراض بابا مستقلا. وهو ما صرّح به في أول كلامه عن الالتفات، معلّقا على قول كثيِّر:

لَوْ أَنَّ البَاخِلِينَ وَ أنتِ مِنْهُم رَأَوْكِ تَعَلَّمُوا مِنْكِ المِطَــالاَ

إذ قال:"فقوله:(و أنتِ منهم) اعتراض كلام في كلام، قال ذلك ابن المعتز، وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات، وسائر النّاس يجمع بينهما." (3)

وقد استعمل ابن رشيق مفردات وعبارات، وهو يعلّق على بعض الأقوال والمثل التي أوردها، تنبىء عن ذوقه الأدبي وحسِّه النّقدي،فيقول مثلا:"وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله: هو انصراف المتكلّم .." (4) و يقول :"و من مليح ما سمعته قول نصيب (5):

فَكِدْتُ وَ لَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٍ نَحْوَ الحِجَازِ أَطِيرُ

و يُروى:وَدِدتُ وَ لَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ أَنَّنِـي أُعَارُ جَنَاحَي طَائِرٍ فَأَطِيــرُ (6)

فقوله:(وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ) عجب، ولمّا سمعت التي قيل فها هذا البيت، تنفّست تنفّسا شديدا، فصاح ابن أبي عتيق: أوّه، قد-والله- أجَبْتِهِ بأحسن من شعره، و الله لو سمعكِ لنعق و طار، فجعله غرابا لسواده." (7)

يقول محمد بركات معلّقا على ذلك:" و استملاح ابن رشيق لهذه الصّورة الشّعرية التي تبدّت في أبرز ـــــــ

(1) ينظر:العمدة في محاسن الشّعر و آدابه: الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2001م:ج1 / ص380-382.

(2)،(4) ينظر: المصدر نفسه:ج1 / ص382.

(3) المصدر نفسه:ج1 / ص380.

(5) هو نصيب بن رباح،كان عبدا أسود و شاعرا من الفحول، و له أخبار مع بعض أمراء بني أمية و الفرزدق و جرير. توفي سنة 108هـ. ينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، شرح و تعليق: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعةالثّانية، 1997م:ص 238 .

(6) و روي أيضا:(وَبِدتُ مِنَ الشَّوق المبرح أَنَنِّي أَعَارُ جَنَاحَي طَائِرٍ فَأَطِيرُ)منسوبا إلى قيس بن ذريح. ينظر: المستطرف في كل فنٍّ مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1986م ج2/ ص344. وقيس هو ابن سنة بن حذافة الكناني، من الشّعراء المتيمين، اشتهر بحُبِّ لبنى بنت الحارث الكعبية. ينظر:الأغاني: ج7/ص3141.

(7) العمدة : ج1 / ص382-383.

مظاهرها بالالتفات، شهادة قويّة لفهم ابن رشيق في ضوء المناسبة التي هي من نتاج المعنى القائم بين الشّاعر ومحبوبته،وهذا فهم جديد للالتفات عن ابن رشيق، إذ لا يقصره على المعنى الجزئي الذي يجيء عليه في الأبيات الشّعرية،بل لابد لهذا الالتفات الجيّد من ربطه بالسّياق العام والمناسبة العامّة التي تعين على الفهم المتكامل..وخلاصة ذلك أن ابن رشيق يجعل الالتفات وقيمته البلاغيّة في ضوء المناسبة العامّة للنّص من ثنايا البيئة النّفسيّة والاجتماعيّة، وهذا أقصى غاية يمكن أن تلحق فنّ الالتفات وقيمته في البلاغة العربيّة." (1)

و تُعدّ هذه النّظرة الشّاملة من ابن رشيق في فهم الالتفات، بربطه بالسّياق الذي يجيء فيه، إضافة مهمّة في مجال الدّراسة البلاغيّة لهذا الأسلوب، إذ ما من شكّ أن الدّلالة على المعاني لا تتّضح إلا بالنّظر إلى السيّاق العام الذي وردت فيه و الملابسات المحيطة به.

و مع هذه الفحوصات النّقديّة والذّوق البلاغيّ، والإضافات التي أضافها ابن رشيق إلى رصيد الدّراسة و البحث لهذا الأسلوب، يبدو أنه حاول الجمع بين الآراء للوقوف على حدّ ضابط له، إلا أنه وقع هو الآخر في الالتباس و الخلط بينه و بين الاعتراض و الاستدراك.فهو لا يوافق ابن المعتز على مذهبه و إن استحسنه، كما قد يُفهَم من تعليقه على قول جرير الذي سبقت الإشارة إليه، بل إن مذهبه في الالتفات هو نفس مذهب قدامة و العسكريّ، بأن يكون الشّاعر أو المتكلّم في معنى فيعرض له غيره، فيعدل عن الأوّل إلى الثّاني، ثم يعود إلى الأوّل..و هو الاعتراض؛ و يقوّي ذلك:

1- افتتاحه الحديث عن الالتفات بذكر تعريف قدامة له، و استدلاله بقول كثيِّر السّابق، ثم تعقيبه عليه بقوله:" (وأنتِ منهم) اعتراض كلام في كلام، قاله ابن المعتز، وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات، وسائر النّاس يجمع بينهما."(2)، فهو لا يوافق ابن المعتز في فصله بين الاعتراض والالتفات و جعل كل منهما بابا على حدته، بل يؤكد أن سائر النّاس يجعلهما مصطلحين لمعنى واحد. و قد استدل ابن المعتز بقول كثيّر في باب الاعتراض. (3)

2- أن ما استشهد به من شواهد قد ورد بعضٌ منها عند ابن المعتز أو العسكريّ في باب الاعتراض (4).

يقول عبد المنعم خفاجي في تعليقه على كتاب الإيضاح:" و الالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمدة، و لذلك ذكر ابن رشيق في عمدته بعض مثل للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الاعتراض، كما نقل ابن رشيق مثلا للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الالتفات." (5)

---

(1) دراسات في البلاغة: ص143(بتصرف يسير).

(2) العمدة :ج1 / ص380، و لم يجعل ابن المعتز باب الاعتراض بعد باب الالتفات مباشرة، بل جعله آخر باب، و بينهما ثلاثة عشر بابا أو فصلا، آخرها التورية، و إنّما جعل بعده الرّجوع. ينظر: البديع: ص 73-74، 108.

(3) ينظر: البديع: ص108، و استدل به أيضا العسكريّ في باب الاعتراض. ينظر: كتاب الصناعتين: ص394 ، و قد فصل هو الآخر بين الالتفات و الاعتراض، فلا يحمل بذلك قول ابن رشيق:"و سائر النّاس يجمع بينهما." على إطلاقه.

(4) ينظر: المصدران نفساهما : ص108، و ص394.
(5) الإيضاح في علوم البلاغة: ج6 / ص158.

3- يضاف إلى ذلك أنه يرى الالتفات أدخل في معنى التّتميم وأولى به، فيقول: :" و قد عدّه-أي الالتفات الذي فسّره بالاعتراض- جماعةٌ من النّاس تتميماً، والالتفات أشكل و أولى بمعناه." (1)

4- كما ذكر،مستدلاّ للالتفات، قول أبي عطاء السّندي(2) يرثي يزيد بن هبيرة :

وَ إِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحتَ التُّرابِ بَعِيدُ

و قال: "و هذا هو الاستدراك." (3) مِمّا ينبئ عن أن ما قال عنه بأنه استدراك، وحكاه قدامة عن بعض النّاس، هو الرّجوع عند غيره.

ويتبيّن بذلك أن ابن رشيق يفسّر الالتفات بالاعتراض،و يجعل الرّجوع أو الاستدراك منه، و يقوّي ذلك عدم إفراده لهما بالدّراسة و البحث، فيكون كالباقلاّني حاول الجمع بين الأقوال و الآراء فوقع في الخلط، بل قد زاد عليه بجعله الالتفات تتميماً.

5- الخطيب التبريزي(- 502هـ)(4): تحدّث عن الالتفات في فصل مستقل في كتابه"الوافي" وعرّفه بتعريف الاعتراض، في حين أفرد الاستدراك والرّجوع بفصل آخر، وقال:"وقيل الالتفات:أن يكون الشّاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره، قبل أن يتمّ الأوّل، ثم يعود إليه فيتمّه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأوّل وزيادة حسنة.". (5)

6- أبو منصور الثّعالبي(- 429هـ) (6): أفرد في كتابه "فقه اللّغة وسرّ العربيّة" الالتفات بالدّراسة في فصل خاص، و قال عنه:"هو أن تذكر الشّيء وتتمّ معنى الكلام به ثم تعود لذكره كأنّك تلتفت إليه."(7)

---

(1) العمدة: ج1 / ص381. و التتميم كما عرّفه هو:" أن يحاول الشّاعر معنى، فلا يدع شيئا يتُم به حسنُه إلا أورده و أتى به، إما مبالغة وإما احتياطا و احتراسا من التقصير."و مثّل له بقول طرفة : (فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ و دِيمَةٌ تَهْمِي).ينظر: المصدر نفسه: ج1/ ص385-386. فقوله(غَيْرَ مُفْسِدِهَا) تتميم أشبه بالاعتراض الذي فسّر به الالتفات، ولذلك رأى الالتفات أشكل وأولى بمعنى التتميم.

(2) هو أفلح،مولى عنبر بن سماك بن حصين،وكان به عجمة شديدة إذ يجعل الجيم زايا والشين سينا. ينظر:شرح ديوان الحماسة:ج1/ص 30.

(3) ينظر: العمدة: ج1 / ص382.و مثّل له، بالإضافة إلى قول أبي عطاء، بأمثلة أخرى منها:

قول بشّار : نُبِّئْتُ فَاضِحَ قَوْمِهِ يَعْتَابُنِي عِنْدَ الأَمِيرِ وَ هَلْ عَلَيَّ أَمِيرُ

و قول زهير قِفْ بِالدِّيَارِ لَمْ يُبْلِها القِدَمُ بَلَى و غَيَّرَها الأَرْوَاحُ و الدِّيَمُ

ينظر المصدر نفسه: ج1 / ص 382، 383. و هي أمثلة على الرّجوع. ينظر:البديع: ص74، كتاب الصناعتين: ص395.

(4) هو أبو زكريا يحي بن علي بن محمد التبريزي،كان إماما في النحو واللّغة الأدب والتفسير. ولد بتبريز بأذربيجان سنة 421هـ. وتوفي ببغداد سنة 502هـ. من كتبه:"شرح القصائد العشر"و" تفسير القرآن"و" تهذيب غريب الحديث" وبعض الشروح في الأدبيات. ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي: ج1/ص 151، ومعجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت): ج2/ص13.

(5) نقلا عن: معجم المصطلحات البلاغيّة، ص175، وقال د.أحمد مطلوب:ونقل البغدادي هذا التّعريف في: قانون البلاغة.ا.ه والبغدادي هو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف، الفيلسوق، المتوفى سنة 629 هـ. ينظر: كشف الظنون: ج2 / ص 1361.

(6) هو أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل،الثعالبي النيسابوري، المولود سنة 350هـ والمتوفى سنة 429هـ،كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته،و قد اشتغل بالأدب و التاريخ و له أشعار كثيرة .من كتبه: "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"و هو أكبر كتبه وأحسنها و أجمعها، و "فقه اللّغة "و "سحر البلاغة" و "سرّ البراعة". ينظر : أبجد العلوم: ج3 / ص 71.

(7) فقه اللّغة و سر العربيّة: ص387.

فهو وإن تناوله من جانب المعنى و لم يطل بحثه أو يكثر من الشّواهد له، إلا أنه و من خلال ما مثّل به، وتعليقه على واحد من الأمثلة، يفهم أنه يتّجه في تعريف الالتفات وجهة ابن المعتز ولا يخرج عن فهم الأصمعي له، فيقول بعد أن ذكر قول أبي الشغب(1):

فَارَقْتُشَعْباً وَ قَدْ قُوِّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الثُّكْلُ والكِبَرُ

"فذكر مصيبته بابنه مع تقوّسه من الكبر ثم التفت إلى معنى كلامه فقال: لبئست الخلتان." (2)

هذا وكان قبل ذلك قد عقد فصلا في القسم نفسه (سرّ العربيّة) في الرّجوع من المخاطبة إلى الكناية

و من الكناية إلى المخاطبة، و ذكر أن العرب تفعل ذلك.(3)

ثم جاءت مرحلة أخرى اتّجهت الكتابة فيها نحو الدّقة في ضبط مصطلح الالتفات،والرّجوع به إلى المعنى الأوّل الذي عرف به، بعيدا عن الخلط في المفاهيم والمصطلحات والذي استمرّ لقرنين من الزمان، وكان على رأس من حمل لواء هذا التّصحيح أعلام في البلاغة لم يكن لهم الفضل في الرّجوع بالالتفات إلى معناه الأصلي وحسب،بل وربما في استقرار البلاغة عموما،من أمثال الزّمخشري والرّازي والسّكاكي وابن الأثير.

1- أبوالقاسم الزّمخشري (-538هـ): بيّن الزّمخشري مفهوم الالتفات عند تفسيره لقوله- تعالى-إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)(4):"فإن قال: لِمَ عُدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟قلت: هذا يسمّى الالتفات في علم البيان،وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التّكلّم،كقوله- تعالى-: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) وقوله:(وَاللَّهُ الَّذِيأَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاه) وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات..وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرّفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختصّ مواقعه بفوائد."(5).

ويعلّق الجرجانيّ على ذلك قائلا:"لما كان السؤال عن فائدة العدول مشتملا على نوع استبعاد واستنكار له لمخالفة مقتضى الظاهر الذي تتسارع الطباع إلى قبوله و تتباعد عما يخالفه، أزال الاستبعاد أوّلا بأنه فنّ ــــــــ

(1) و اسمه: عكرشة. ينظر: فقه اللّغة و سر العربيّة: عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، تحقيق و ترتيب و فهرسة: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، (د/م.ط.ت): ص387.

(2) المصدر نفسه: ص387.و هو في هذا التوجيه ينحى منحى الأصمعي في توجيهه لقول جرير إذ قال: " أما تراه مقبلا على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له." وقد استدل الثعالبي بالبيت نفسه لكن برواية :(أَتَنْكُرُ يَوْمَ تَصْقُلُعَارِضَيْهَا) في شطره الأوّل.كما استشهد بقوله-تعالى-: (وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) سورة طه / الآية 61.و قال: " فنهى عن الافتراء، ثم وعد عليه فقال:(وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)". ينظر: المصدر نفسه: ص387.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ص 327.

(4) سورة الفاتحة / الآية 04.

(5) الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر أبو القاسم الزّمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د/ط.ت): ج 1 / ص62-64 (بتصرف يسير).

من فنون البلاغة مشهور فيما بين علماء البيان له اسم مخصوص و أنواع كثيرة و أمثلة غير محصورة.." (1)

وكأنه يلمس من كلام الزّمخشري و تعليق الجرجانيّ عليه، بأنه يهدف إلى القول بأن أهل البلاغة والبيان قد تحدّثوا كثيرا عن هذا الأسلوب الذي عرف واشتهر بينهم،ويريد

الفصل في المسألة والحدّ من الاختلاف حوله، فاختار المذهب المشهور وأعرض عما يخالفه، وقوّاه بأسلوب الإقرار والتأكيد بقوله: "هذا يسمّى الالتفات في علم البيان". وظاهر كلامه أن الالتفات عنده في مطلق الانتقال من إحدى الصيغ: الغيبة أو الخطاب أو التّكلّم، إلى واحدة منها، وربما أيّد ذلك قوله بثلاث التفاتات في أبيات امرئ القيس. (2)

ولم يكتف الزّمخشري ببيان المفهوم والنّوع والمثال للالتفات فحسب، بل وحدّد أيضا الفائدة منه، وبيّن أنها عامّة و خاصّة.(3) فهو ردّ موجز ومركّز عمّا يتساءل عنه القارئ والملاحظ لذلك التغيّر في مجرى الكلام من صيغة إلى أخرى، بيّن فيه أصول هذا الفن! وهو ما يشهد للرجل بقدره وفضله في هذا الجانب.

والمتتبع بإمعان لتدرج هذا الأسلوب عند علماء البلاغة ومسالكهم وطرائقهم فيه،وذلك الخلط واللّبس الذي وقع فيه بعضهم، يحسّ و كأن الوسط البلاغيّ كان في حاجة إلى من يغيثه و يأخذ بيديه إلى الفصل في ذلك الاختلاف، فكان الزّمخشري من الأوائل الذين وفقوا إليه. (4)

2- أبو بكر الرّازي (-606هـ) (5): تحدّث الفخر الرّازي عن الالتفات في كتابه:" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، ونقل في مفهومه تعريفين: الأوّل: هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس. والثّاني: هو تعقيب الكلام بجملة تامّة ملاقية إيّاه في المعنى ليكون تتميما له في المعنى على جهة المثل أو غيره. (6)

والظاهر من إيراده لصيغة (قيل) في إثباته للتعريفين أنه بعد أن نظر في هذا الأسلوب و ما كُتِب بشأنه رأى أن لا يثبت من بين التّعريفات إلاّ هذين، و تقديمه للأوّل يجعله هو الرّاجح عنده أو المعتمد، بينما قد ــــــــ

(1):المصدر نفسه: ج 1 / ص 62.

(2) يكون الحديث عن أبيات امرئ القيس و توجيه قول الزّمخشري بثلاث التفاتات فيها عند التفصيل في شروط الالتفات.

(3) تحدّث عن ذلك أيضا عند تفسيره لقوله قوله – تعالى-:(يَا أَيُّها النّاس اعْبُدُوا رَبَّكُم..) سورة البقرة / الآية 21. ينظر: الكشاف:ج1/ص 223-224. ولم يعرض الزّمخشري إلى الأنواع السّتة للالتفات واكتفى بالتّصريح بثلاثة منها و الإشارة إلى رابع، وربما كان اكتفاؤه بها لاشتهارها،كما ذكر ذلك الشّريف الجرجاني.ينظر:حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني على الكشاف:علي بن محمد الجرجاني، مطبوع على حاشية الكشاف، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت): ج1 / ص 63.

(4) ربط د.أحمد مطلوب الدّقة في بيان الالتفات في هذه المرحلة ببدء استقرار البلاغة عموما.ينظر:معجم المصطلحات البلاغيّة: ص 175. (5) أبو عبد الله محمد بن عمرو الرّازي الملقّب بفخر الدين، ولد في "الرّيّ" سنة 544هـ ،و توفي في " هراة" سنة 606هـ. إمام في التفسير
و علم الكلام، و طبيب حاذق. من أشهر مؤلفاته :"مفاتيح الغيب" و "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" و "مسائل في الطب". ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي: ج 1 / ص 115، وبحوث في أصول التفسير و مناهجه: أ.د. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة الرابعة، 1419هـ : ص 154.

(6) ينظر: نهاية الإيجاز: فخر الدين محمد بن عمر الرّازي، تحقيق و تقديم: د.إبراهيم السامرائي، د.محمد بركات حمدي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، (د.ط)، 1985م : ص 146-147.

يفيد تأخيره للثّاني مرجوحيته، وربّما شهد لهذا الاختيار أو الترجيح تفسيره. (1)

والذي يلفت الانتباه فيما كتب الرّازي عن الالتفات- وإن ذكر نوعين فقط من أنواعه ومثّل لهما- تركيزه وحرصه على ربط هذا الأسلوب بالنّظم، الذي بحثه وأسّس له عبد القاهر الجرجانيّ(-471هـ) ورجع إليه في كتابه هذا.

فالنّظم الذي قال عنه عبد القاهر الجرجاني بأنه:"توخّي معاني النّحو في معاني الكلم." (2)، أو "معان قائمة مرتّبة في النّفس تترتّب وتنتظم وفقها الألفاظ والكلمات"(3)، والذي هو معيار بلاغة وفصاحة الكلام، والذي بلغ فيه القرآن الكريم مبلغا،لم يبلغه كلام

سواه،فكان أبرز مظاهر إعجازه إلى يوم الدِّين .. هذا النّظم هو الذي أراد الرّازي أن ينبِّه إليه البلاغيّين، فلا يكتفوا عند دراسة أسلوب الالتفات في القرآن الكريم بمجرّد الوقوف عند بعض مواضعه أو بعض لطائفه وأسراره، دون ربطه بالجانب الإعجازي للقرآن الذي تحدّى به الله العرب، في أزهى و أقوى عصور اللّغة العربيّة، فضلا عن غيرهم.

ولعلّها خدمة جليلة منه في مجال الدِّراسات البلاغيّة في القرآن عموما، ساند ودعّم بها ما أبدع فيه قبله عبد القاهر الجرجاني في مجال النّظم وخطوة عظيمة على خطّ سير الدّراسة لأسلوب الالتفات خصوصا؛ ولئن كان الزّمخشريقد أطّر وبيّن هيكل وأصول هذا الفنّ- وقد ساهم فيه غيره قبله- فإن الرّازي قد كشف الحجب عن الرّوح التي تعمر ذلك الهيكل، وهي النّظم و الإعجاز في الكلام! فيظهر بذلك التّكامل بين علماء وأرباب هذا الشأن في الدِّراسات البلاغيّة والنّقديّة.

3- أبو يعقوب السّكاكي (- 626هـ) (4): تحدّث السّكاكي عن الالتفات في موضعين من كتابه "مفتاح العلوم"، الأوّل عندما عرض لعلم المعاني(5)، والثّاني عند آخر حديثه عن المحسنات المعنويّة في علم البيان (6)،ما يدلّ على أنه يجعله من علم المعاني تارة ومن علم البديع تارة أخرى، و إن لم يسمّه بالبديع.(7)

وقال في الموضع الأوّل:" واعلم أن هذا النّوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختصّ المسند إليه فحسب، ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمّى هذا

---

(1) كل ما تمّ جمعه من مواضع قال فيها بالالتفات في تفسيره و أثبتت فيالفصول اللاّحقة يشهد لذلك. و قد جزم د.أحمد مطلوب بهذا الترجيح وقال:" وقد عرّفه الرّازي بقوله:إنه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو على العكس.".ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة : ص 175.

(2) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، شرح و تعليق: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعةالثّانية، 1997م: ص 273.

(3) ينظر: المصدر نفسه: ص 59.

(4) هو أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، السّكاكي الخوارزمي، المولود سنة 555هـ.كان إماما في النحو و التصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشّعر، وله النّصيب الوافر في علم الكلام وسائر العلوم.مات بخوارزم في أوائل رجب سنة 626هـ. أشهر مؤلفاته كتابه :"مفتاح العلوم".ينظر :أبجد العلوم: ج 3 / ص 56، وكشف الظنون: ج 2 /ص 1762.

(5) ينظر:مفتاح العلوم:يوسف بن محمد السّكاكي،تحقيق:د.عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعةالأولى2000م:ص296.

(6) ينظر: المصدر نفسه: ص539.

(7) ينظر: معجم المصطلحات البلاغيّة: ص175، و دراسات في البلاغة: ص143-144.

النّقل التفاتا عند علماء المعاني." فهو في هذا الموضع يجعل الالتفات من علم المعاني و يوافق فيه ابن المعتز.

وتفرّدُ السّكاكي فيما استشهد به من أشعار للالتفات بما لم يذكر سابقوهللّهم إلا أبيات امرئ القيس- ينبىء عن ذوقه الأدبيّ الرّفيع،وحسِّه الإبداعي المتميِّز.(1) كما أن معالجته للشاهد القرآنيّ(2) وهو يبيِّن الالتفات فيه والغرض منه لهو بحقٍّ إبداع آخر، فهو يتدرّج في الوصول إلى فهم السّر من الالتفات في الآية في ضوء النّظم وسياق السّورة، ويصوّر الحالة النّفسيّة والشّعوريّة للعبد، ليجد نفسه ينتقل ذاتيا من الحكاية إلى الخطاب، وقد وصل إلى مرحلة من التفاعل النّفسي جعلته يستحضر الصّورة وكأنها مشهودة

أمامه!وكأنه بذلك يؤكّد على ضرورة فهم الغرض من الالتفات في ضوء السِّياق والنّظم الذي يجيء فيه.

ويوضِّح السّكاكي بالمثال المستلهم من حياة وواقع النّاس، وحسن التّصوير و هو يبرز الغرض من الالتفات في الشاهد القرآنيّ الذي استشهد به، أهميّة هذا الأسلوب-بعد أن ذكر أن العرب تستكثر منه-، حتى إنه ليُحَسّ بقوّة اختراق عجيبة يصل بها إلى أعماق النّفس، فيغمر بها القلب، فيتحوّل هذا التأثّر إلى حركة حيّة وسلوك واقعيّ! فتُلمَس بذلك قوّة هذا الأسلوب في التّأثير! وهو ما يشهد للرّجل بشمول نظرته في فهم هذا اللّون من الألوان في الكلام، وتميّزه الإبداعي! (3).

و تبقى أبرز إضافة من السّكاكي في فهمه للالتفات، هي في إطلاقه له على كل انتقال من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى واحد منها، من غير ضبط أو تقييد بسبق التّعبير، كما يتضح من أمثلته وشواهده وبيانه لمواضع الالتفات فيها، بخلاف الزّمخشري الذي فُهم عنه ذلك من غير تصريح منه.

4- ضياء الدين ابن الأثير (-637هـ) (4): تحدّث ابن الأثير عن الالتفات في كتابه:"المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر"،ضمن القسم الخاص بالصّناعة المعنويّة، وبيّن قيمته البلاغيّة، ونقل تسميته بشجاعة العربيّة (5)، واختصاص اللّغة العربيّة به.(6)

و يرى البعض أن ابن الأثير كان أكثر النّاس منهجية ودقّة-حتى وقته- في دراسة هذا الأسلوب، و أنه

---

(1) تراجع هذه الشّواهد في: مفتاح العلوم: ص297-299.

(2) و هو قوله -تعالى- إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). سورة الفاتحة/ الآية 05.

(3) مفتاح العلوم: ص296، 299-300.

(4) هو أبو الفتح، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير الجزري،ولد سنة 558 هـ،كان عالما بالحديث والنحو واللّغة والبيان، وله كثير من الأشعار، وكثير من المؤلفات.توفي ببغداد سنة 637 هـ. ينظر: أبجد العلوم: ج3 / ص 62-63 ، ج2 / ص 116.

(5) ينظر:المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر:ضياء الدين بن الأثير،تحقيق:د.أحمد الحوفي، د.بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر،القاهرة،الطبعة الأولى، 1960م:ج2/ص170-171. يقول محمد شيخون:"وهو- أي الالتفات- من أجل علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، وهو فنّ ملاكه الذّوق السّليم والوجدان الصّادق".ينظر:من أسرار البلاغة في القرآن:د.محمود السيد شيخون، دورية سلسلة مكتبة المسلم العصرية:رقم:86، المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر والتوزيع، القاهرة،(د/ط.ت):ص07.و يراجع هذا المعنى في:كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز:يحي بن حمزة بن علي العلوي،مراجعة: محمد بن عبد السّلام شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى،1995م: ص265.

(6) عدّ محمد بركات هذا الزّعم مبالغة وردّه، إلا أن يكون قصده الالتفات في القرآن. ينظر: دراسات في البلاغة: ص146-147.

خير من توسع في ذلك.(1)

و يعرِّف ابن الأثير الالتفات تعريفا لغويا، بأنه مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه و شماله، فهو يقبل تارة بوجهه كذا وتارة كذا(2). ولم يذكر من قبله هذا، ثم يربطه بالتّعريف البلاغي فيقول: "وكذلك يكون هذا النّوع من الكلام خاصّة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلا"(3).فيكون بهذا الرّبط قد أضاف جديدا إلى دراسة هذا الأسلوب،ونبَّهَ إلى الاعتناء بالمصطلح من جهة اللّغة عند الدّراسة البلاغيّة؛ إضافة إلى أنه و إن عرّف الالتفات بتعريف ابن المعتز ومن وافقه، فقد توسّع فيه بجعل الانتقال من فعل إلى آخر غيره في الزمان منه،

وكذلك ما نزل منزلة الفعل كالإخبار باسم المفعول عن المستقبل، وهو ما لم يسبق إليه، وقد يفتح هذا بابا لأن يدخل كل انتقال في الصّياغة اللّفظية من واحدة إلى أخرى، ضمن هذا الأسلوب، بل وربما فهم هذا من قوله :"إن العدول من صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية." (4)

ويجعل الالتفات ثلاثة أقسام:الأوّل في الرّجوع من الغيبة إلى الخطاب،ومن الخطاب إلى الغيبة (و يُدخِل التّكلّم في الخطاب)،والثّاني في الرّجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، ومن الفعل الماضي إلى فعل الأمر، والثّالث في الإخبار بالماضي عن المستقبل، وعن المستقبل بالماضي، ويجعل الإخبار عن المستقبل باسم المفعول مما يجري مجرى الإخبار بالماضي عن المستقبل، فيكون حاصل مجموع الأقسام أحد عشر قسما أو نوعا: ستة منها متعلّقة بالانتقال من التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة إلى أحدها، وأربعة خاصّة بالانتقال من فعل إلى آخر، و الأخيرة في الإخبار باسم المفعول عن المستقبل.(5)

---

(1) ينظر: علم المعاني و البيان و البديع : ص 564 ، و معجم المصطلحات البلاغيّة: ص 177 ، و دراسات في البلاغة : ص 146.

(2) ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر: ج2 / ص170.

(3) المصدر نفسه : ج2 /ص171.

(4) ينظر: المصدر نفسه : ج2 / ص184، و قد تكرّر هذا الإطلاق في غير هذا الموضع. ينظر:ج2 / ص175، 183.

(5) يراجع المصدر نفسه: ج2 / ص 171-188. و يضيف قسما أو نوعا آخر في كتابه"الجامع الكبير" أسماه "عكس الظاهر"، ومفاده أن العرب قد توسعوا في كلامهم وتجوزوا إلى غاية، فيذكرون كلاما يدلّ ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه، ومثّل له بقول علي-رضي الله عنه- في وصف مجلس رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-:« أَنَّهُ لاتُنْأى فَلَتَاتُه» أي لا تذاع، فظاهر ذلكأن ثَمَّ فلتات غير أنها لا تذاع، وليس المراد كذلك، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلا فتذاع،و هذا مثل قول الشّاعر:"لا ترى الضّبَّ بها ينجحر" أي ليس بها ضبّ فينجحر. والقول جزء من حديث طويل مروي عن الحسن بن عليّ عن خاله هند بن أبي هالة، لكن بلفظ:«لا تُنثَى فلتاته». ينظر: مجمع الزوائد:علي بن أبي بكر الهيثمي،دار الريان للتراث-دار الكتاب العربي،القاهرة-بيروت،(د.ط)،1407هـ:ج8/ص275، وغريب الحديث لابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،تحقيق:د.عبد الله الجبوري،مطبعة العاني، بغداد،الطبعة الأولى،1397هـ:ج1/ ص506. وليراجع النّوع الأخير و ما مثّل به له في: الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن و علم البيان: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د/ ط.ت) : ص120-121.

ويجعل ابن الأثير-هو الآخر- قيمة الالتفات في المعنى الذي قصد منه، والذي لا يفهم إلا في ضمن النّظم والسّياق الذي ورد فيه(1).

وتبدو النّزعة الإبداعية عند ابن الأثير جليّة فيما كتب عن الالتفات،ليس في توسّعه في تعريفه وحسب، بل وفي حديثه عن الفائدة منه وردوده على الزّمخشري في ذلك، وفي إكثاره من الشّاهد القرآنيّ واقتصاره على شاهدين من الشّعر، الأوّل لأبي تمام والثّاني للمتنبي(2) لم يذكرهما غيره في هذا الباب. (3)

و تبقى بذلك هذه المرحلة مرحلة استقرار لمفهوم الالتفات، وإن أطلق السّكاكي فلم يقيِّده بسبق التّعبير، أو زاد ابن الأثير بالتّوسّع فيه.(4)

وأما المرحلة التي جاءت بعد ابن الأثير، فمن النّاس فيها من اختار في فهم الالتفات مذهبا من المذاهب السّابقة، ومنهم من اكتفى بعرض الأقوال أو بعضها من غير ترجيح، و منهم من توسّع بإطلاقه على كل انتقال من أسلوب إلى آخر.

فهذا ابن أبي الأصبع المصري(-654هـ) يذكر في تعريف الالتفات قولي قدامة وابن المعتز، وقولا ثالثا هو:"أن يكون المتكلّم آخذا في معنى فيمرّ فيه إلى أن يفرغ من التّعبير على وجه ما، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولا من وجه غير

الوجه الذي بنى معناه عليه، فيلتفت إلى الكلام فيزيد فيه ما يخلّص معناه من ذلك الدخل." (5) وهو عينه الاستدراك أو الرّجوع (6)، وقد عرّف بالتّعريف نفسه الاحتراس و الانفصال. (7)

و ينقل الزّركشي(-794هـ) (8) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" قول الجمهور وقول السّكاكي

---

(1) ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: ج2 / ص184.

(2) هو: أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن عبد الصمد المعروف بالمتنبي، الشّاعر الحكيم. ولد في الكوفة سنة 303 هـ و نشأ في الشام، كان مفطورا على كبر النّفس و عُلُوِّ الهِمَّةِ. اتَّصلَ بِسَيفِ الدَّولةِ الحمداني و انقطع إليه، ثم مضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي، و أشهرُ فنونه المدحُ و الفخر. قتله فاتك بن أبي جهل مع ولده و غلامه سنة 354هـ ينظر: وفيات الأعيان: ج1 / ص120، و العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ناصف اليازجي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت): ج1 / ص 05-06.

(3) تراجع الأبيات و التعليق عليها في :المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر: ج2 / ص178-181.

(4) بل وإن اعتبره ابن الجوزي (-597هـ) خطاب تلوين، وجعله أوجها ثلاثة: أحدها:أن يخاطب ثم يخبر،الثّاني:أن يخبر ثم يخاطب، الثّالث: أن يخاطب عينا ثم يصرف الخطاب إلى الغير.تراجع هذه الأوجه،و ما استشهد به لها في:كتاب المدهش: جمال الدين بن علي الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1985م : ج 1 / ص 15-16.

(5) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشّعر و النثر و بيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الأصبع المصري، تقديم و تحقيق: د. محمد حفني شرف، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1383هـ- 1963م: ص123.

(6) ينظر: العمدة لابن رشيق: ج2 / ص 382، و البديع لابن المعتز: ص74، و كتاب الصناعتين : ص395.

(7) ينظر: تحرير التحبير: ص 245، 609.

(8) هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزّركشي. وُلِد سنة 745هـ، من الأعلام في التفسير و الحديث و سائر العلوم. وتوفي سنة 794هـ. من مؤلفاته: "شرح البخاري" و "التنقيح على البخاري" و " البرهان في علوم القرآن" و " تفسير القرآن العظيم " وصل فيه إلى سورة مريم. ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي:ج1 / ص 302 ، كشف الظنون: ج1 / ص 448.

المخالف لهم في الشّرط،كما ينقل قول قدامة، ويعرّف الالتفات بقوله:"هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسّامع وتجديدا لنشاطه." (1) .و يذكر في موضع آخر،أن أهل المعاني تسمّي خطاب التلوين التفاتا.(2) وقال عن الاعتراض:"وسمّاه قدامة التفاتا."(3)

وينقل ابن حجّة تقيّ الدين الحموي(-837هـ) في كتابه"خزانة الأدب" تعريفي ابن المعتز وقدامة للالتفات (4)، ويذكر في باب " الاعتراض" أن قدامة سمّاه التفاتا، وقال عنه أنه قريب من الالتفات. (5)

وجمع ابن قيّم الجوزية (-751هـ) الأقوال في الالتفات في ثلاثة، الأوّل: قول ابن الأثير. والثّاني: أن يعقّب الكلام عند انقطاعه بجملة ملاقية إياه في المعنى ليكون تتميما له على جهة المثل والدعاء أو غيرها. وهو في معنى الاعتراض الذي فسّر به قدامة الالتفات(6). وأماالثّالث فهو مذهب قدامة نفسه. (7)

وتبع الخطيب القزويني(-739هـ)(8) السّكاكي في تعريفه للالتفات،وأورد تعريف الجمهور(9). يقول أحمد مطلوب:"ليس في كتب البلاغة أوسع مما ذكرابن الأثير،وإن كان القزويني رجع إلى السّكاكي وأدخل الالتفات في علم المعاني،وتبعه شراح تلخيصه كالسبكي والتفتازاني والسّيوطي والإسفرايني والمغربي، وأما الذين لم يتبعوا السّكاكي فقد بحثوه في باب مستقل وإن لم يخرجوا على الاتجاه العام الذي ساد قبلهم"(10)

وممّن نقل مذهب الجمهور في فهم الالتفات صفيّ الدّين الحلّي(-759هـ) (11)، و الإمام السّيوطي

(1) البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص314. و ظاهر هذا التّعريف الإطلاق، ليشمل كل انتقال من أسلوب إلى آخر، لكنه يقيّده بمذهب الجمهور حينما أعقبه في الموضع نفسه بقول حازم القرطاجني من أن الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب لا يستطاب، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض. و ليراجع قول القارطاجني في: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص348.

(2) ينظر : البرهان في علوم القرآن :ج2 / ص246.

(3) المصدر نفسه:ج3 / ص 56.

(4) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة تقي الدين الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987م:ج1 / ص134.

(5) ينظر: المصدر نفسه: ج2 / 281. وذكر قبل ذلك أن من النّاس من تسمي الاعتراض حشوا، و ردّه و بيّن الفرق بينهما. ينظر: المصدر نفسه:ج2 / ص 280. و ممن سماه حشوا أيضا الثعالبي، و جعله حسَنا وغير حسن، ومثّل للحشو الحسن بقول عوف ابن محلم الشيباني : إنَّ الثَّمانِينَ و بُلِّغْتُها قـد أَحْوَجَتْ سَمْعي إلى تُرْجُمَان)،و قول طرفة :(وَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرُ مُفْسِدِها صَوْبُ الرّبِيعِ وَ دَيْمَةٌ تَهْمِي)

ينظر: فقه اللّغة و سر العربيّة: ص388. وقد جعل ابن سنان الخفاجي قول عوف بن محلم من الحشو المحمود، ومثّل بقول طرفة للتحرّز من الظّن. ينظر: سرّ الفصاحة: عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د / ط.ت): ص147،213.

(6) ينظر: نقد الشّعر: ص150-152.

(7) ينظر: الفوائد المشوق في علوم القرآن و علم البيان: ص114-116.

(8) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني ، المعروف بخطيب دمشق،المتوفى عام 739 هـ.من مصنفاته: "تلخيص المفتاح"، و "الإيضاح في شرح التلخيص" ، و "كتاب المعاني و البيان" .ينظر :كشف الظنون:ج1 / ص210،473.

(9) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج2 / ص85-86.

(10) معجم المصطلحات البلاغيّة: ص177، و أحال على: "عروس الأفراح" للسبكي ، و "المطول" و "المختصر" للتفتازاني، و "شرح عقود الجمان" للسيوطي، و "الأطول" للاسفراييني، و "مواهب الفتاح" للمغربي.

(11) ينظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع: صفي الدين الحلّي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ ط.ت): =

(-911هـ) (1)، وأبو علي الجرجاني (-816هـ) (2) و محمد المناوي (-1031هـ) (3)

واختار قوم التّوسع في فهم الالتفات، منهم يحي العلوي(- 750هـ)في كتابه "الطراز"،وقد فضّل أن يعرّفه بقوله:" هو العدول من أسلوب إلى أسلوب مخالف للأوّل."، ويعلّل ذلك بالقول: "و هذا أحسن من قولنا هو العدول من غيبة إلى خطاب ومن خطاب إلى غيبة، لأن الأوّل يعمُّ سائرالالتفاتاتكلّها، والحدّالثّاني إنّما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير، ولا شك أن الأوّل هو الأقوى دون غيره"(4).

و كذلك كان نهج خليل بن أيبك الصفدي(-764هـ) (5)، فقد توسّع في كتابه"الغيث المسجّم في شرح لاميّة العجم"(6)في تعريفه للالتفات، حسب ما ذكره محمد بركات حمدي(7)،بإطلاقه على كل انتقال أو عدول من أسلوب إلى آخر، و جعل التخلّصات منه، و نقل عنه القول:" لأنها- أي التخلّصات- انتقال من نوع إلى نوع، والتفات من معنى إلى معنى، ومن غير قطع الصّلة فيما يلحقها من تنقّل،والالتفات انتقال وسلوك سبيل بعد سبيل." (8) كما جعل الاقتضاب من الالتفات أيضا.(9)

بل إنه يرى كل انتقال للشّاعر من غرض إلى غرض آخر في القصيدة الواحدة، أو الكاتب في كتابه من قضية إلى غيرها مستطردا أو شارحا أو معترضا أو موافقا في إبداء رأيه التفاتا، شريطة أن يربط بين المنتقل عنه و المنتقل إليه صلة أو مناسبة. (10)

= ص78، (بتصرف يسير.)، و نقل تسمية قوم له بالانصراف.

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:ج2 / ص109، وذكر في موضع آخر تسمية خطاب التلوين التفاتا. ينظر: المصدر نفسه:ج2 / ص45.
(2) ينظر:التّعريفات:علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ: ج1/ ص51.
(3) ينظر:التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت- دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ:ج1 / ص87.
(4) كتاب الطراز: ص265.
(5) هو صلاح الدين، خليل بن أيبك، الصفدي الشافعي،الإمام الأديب، الناظم الناثر، ولد سنة 669هـ ، قرأ يسيرا من الفقه و أصوله وأصول الدين، و برع في الأدب نظما و نثرا، وكتابة و جمعا. مات بالطاعون عام 764هـ.من كتبه :"الوافي بالوفيات" المعروف بتاريخ الصفدي، و "جنان الجناس" و "نصرة الثائر في نقد المثل السّائر" و "الغيث المسجم في شرح لامية العجم". ينظر: أبجد العلوم: ج3/ ص 96، وكشف الظنون:ج1 / ص 606،297 و ج2 / ص 1526، 1586.
(6) و لامية العجم قصيدة لمؤيد الدين أبي إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي، ألّفها ببغداد سنة 505هـ ،يصف فيها حاله ويشكو زمانه.وقد شرحها الصّفدي في مجلدين، ملأ شرحه بالفوائد الأدبية، والغرائب الجدية و الهزلية. ينظر: أبجد العلوم: ج2/ص456،291 و ج3/ ص 78.
(7)،(8) ينظر: دراسات في البلاغة: ص 153-154.
(9) ينظر: المرجع نفسه:ص155. والتخلص: هو الخروج و الانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجعل بعضها آخذا برقاب بعض، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من غزل إلى مدح أو غيره، لشدة الالتئام والانسجام. وأما الاقتضاب: فهو عكس التخلّص، بحيث ينتقل المتكلّم مما ابتدأ به كلامه إلى الغرض المقصود مباشرة، يستأنفه بدون رابطة بينهما. ينظر:كتاب الطراز: ص 367،360 ،وجواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع: السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1398هـ، 1978م: ص 420.
وذكر العلوي أن لا خلاف في وجود الاقتضاب في القرآن، وإنّمفي وجود التخلّص فيه، وقد قال به، ومثّل له بجملة أمثلة منها:قوله –تعالى-: ﴿ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ..) سورة الشّعراء/ الآيات:69-95، والذي قال فيه بعشرة تخلّصات. ينظر:كتاب الطراز: ص 360-364.
(10) ينظر: المرجع نفسه: ص 155-156. و لم يعدّ د. محمد بركات حمدي الصفديَّ من أهل البلاغة!؟. ينظر: المرجع نفسه: ص153.

وخلاصة القول أن هذا الأسلوب عرف في كلام العرب، وتكرّر وروده في القرآن الكريم، وذكره القدماء كالقرشي والفرّاء وأبي عبيدة، وإن لم يسمّوه، وكان أول من سمّاه بالالتفات الأصمعيّ، بداية القرن الثّالث الهجري؛ وقبل أن تشتهر هذه التّسمية تناوله العلماء،كابن قتيبة والمبرّد والطّبري والنّحاس،بزيادة التّمثيل و الاستشهاد له من القرآن وفصيح شعر العرب. ثم اشتهرت التّسمية بعد ذلك، ليضمّ إلى علم البلاغة، نهاية القرن الثّالث وبداية الرّابع الهجريين، فيدرس في باب البديع أو باب المعاني،أو يفرد في فصل مستقل، ومن هنا بدأ الاهتمام بهذا الأسلوب، وأخذت الدّراسة البلاغيّة والنّقديّة له تنمو وتتقدم. وتمايز النّاس في هذه المرحلة، والتي دامت لأكثر من قرنين من الزمان، إلى فريقين:اختار الأوّل أن يعرّف الالتفات ب"الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث:التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة، إلى أخرى منها"، وهو الذي عرف فيما بعد بتعريف الجمهور، وكان على رأس هذا الفريق"عبد الله ابن المعتز".واختار الثّاني تعريفه من جهة المعنى، فوقع في الخلط والالتباس،فاشتبه أمر الالتفات عليهم والتبس بغيره من الأساليب،كالاعتراض والرّجوع والاستدراك والتتميم وغيرها،وكان على رأس هذا الفريق"قدامة بن جعفر"الذي عرّفه بتعريف الاعتراض.

وجاءت بعد ذلك مرحلة الاستقرار في فهم الالتفات، خلال القرن السادس و أوائل السابع الهجريين، زمن الزّمخشري والرّازي والسّكاكي وابن الأثير، والذين عادوا بالأسلوب إلى مفهومه الأوّل، وربطوه بالنّظم والسياق، وكان ابن الأثير أكثرهم منهجيّة وتوسّعا في الدّراسة، وإن زاد في تعريفه على الآخرين.

ثم كانت المرحلة الأخيرة، بعد ابن الأثير، من النّاس فيها من اختار مذهبا من المذهبين السّابقين، ومنهم من اكتفى بجمع الأقوال والآراء دون ترجيح، ومنهم من توسّع في تعريفه بما لم يقل أحدولم تخل مرحلة من تلك المراحل كلّها من الإبداع والتّجديد وإثراء الدّراسة البلاغيّة والنّقديّة لهذا الأسلوب.

ومن ثمّ فإنه، ومن خلال هذا التدرّج في بيان مفهوم الالتفات،يمكن تلخيص الأقوال في تعريفه في أربعة:

الأوّل: لابن المعتز ومن وافقه، وهو المشهور بتعريف الجمهور.

الثّاني: لابن الأثير، الذي يضيف فيه إلى تعريف الجمهور الانتقال من فعل إلى آخر غيره في الزمان.

الثّالث: لقدامة بن جعفر، وما في معناه من تعاريف.

الرّابع: وهو أوسع وأطلق التّعاريف بجعله في الانتقال من كل أسلوب لآخر، أو من كل معنى لآخر، ما دامت بينهما صلة أو رابطة، كما ذهب إلى ذلك العلويّ والصفديّ.

ولاشكّ أن في هذا الأخير من المبالغة،ما يجعله معترضا إن لم يكن مردودا، ذلك أنه لم يقل به أحد من أهل البلاغة وأربابها،كما أنه يفتح الباب واسعا ليدخل في الالتفات ما ليس منه من الأساليب، حتىّ وإن اشترط وجود مناسبة أو صلة في الانتقال،إذ ليس ذلك بالضّابط أو القيد الذي يحترز به لالتفات عن غيره، لأنه الغالب في الانتقال في الكلام من معنى إلى آخر؛ ويمكن حينئذ القول بأن التّجريد والاستدراك والاعتراض و التّتميم و الاحتباك و التّغليب و الأسلوب الحكيم و القلب و وضع المضمر موضع المظهر وعكسه،..كله من الالتفات!وسدّا لهذا الباب لا ينبغي اعتماد هذا التّعريف أو الالتفات إليه. وتبقى التعاريف الثّلاثة الأخرى.

أما الثّالث فإنه قد لوحظ، من خلال ما سبق، ذلك الخلط الذي وقع فيه الكثير حينما تناولوا التّعريف من جهة المعنى، بما لم ينضبط عندهم، فاشتبه بغيره من الأساليب.

و أماالثّاني، فقد زاد فيه ابن الأثير قسمين عمّا هو معروف عند الجمهور، و هو لاشك توسّع، وإن لم يكن بالقدر الذي لا ينضبط، فإنّه قد يستند إليه فيكون مؤدّيا إلى ذلك.

ويبقى بذلك الأحوط والأسلم اعتماد التّعريف الأوّل،الذي هو تعريف الجمهور، والذي يربط الالتفات بالصّياغة اللّفظية،بالانتقال من إحدى الطّرق الثّلاثة:التّكلّم أو الخطاب أو الغيبة،إلى أخرى منها، في التّعبير عن المعنى الواحد، رعاية لنكتة. وذلك دفعا للخلط والاشتباه بغيره من الأساليب و سدّا لباب إلحاق ما ليس منه به.ولأجل ذلك- ربما- قال أبو حيان:" الالتفات من عوارض الألفاظ لا من التقادير المعنويّة."(1)

و أما إن كان ولابد من اعتماد تعريف للالتفات بالنظر إليه من زاوية المعنى، فإن أقرب تعريف في ذلك إلى فهم الأصمعي، صاحب التّسمية ، هوما ذهب إليه الثّعالبي، ويوافقه فيه العسكريّ في الضرب الأوّل من ضربي الالتفات كما يراه، و قد استشهد كلّ منهما لتعريفه بقوله حين سأل عن التفاتات جرير(2)في قوله:

أَتَنسَى إِذِ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمى ... بِفَرْعِ بشَامَةٍ سُقِيِ البَشَامُ

ثم قال: ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له. فقد انتقل من المعنى الأوّل بعد أن فرغ منه، و هو التساؤل عن توديع سليمى له بفرع بشامة، إلىالثّاني المرتبط بالأوّل، وهو الدّعاء لشجر البشام.(3)

ثانيا: المفهوم اللّغوي للالتفات و أوجه ارتباطه بالمفهوم الاصطلاحيّ

كلمة "الالتفات" في اللّغة من : التَفَتَ- يَلْتَفِتُ، ومادّتها: لَفَتَ. والناظر في المعاجم اللّغوية يجد أن هذه المادّة تدور حول المعاني الآتية:

1- الصّرف: يقال: لَفَتَ وجهه عن القوم، أي صرفه، من اللَّفت، و التَفَتَ إلى الشّيء و تَلَفَّتَ إليه التِفَاتاً، أي صرف وجهه إليه. والتَلَفُّتُ أكثر من اللَّفْت.(4) و التَفَتَ بوجهه، و لفَتَه لَفْتاً، إذا صرفه يمنةً ______

(1) ينظر: تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة و تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد المعوض، ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م: ج1/ ص 142.

(2) يراجع التّعريفان في: ص 09،14 من هذا البحث.

(3) و ظاهر أن لا التفات في البيت من جهة المبنى اللّفظي، اللّهم إلا أن يحمل الخطاب في(أتنسى) على أنه للبشام، فيكون في (سقي البشام) التفات إلى الغيبة. وأما إن حمل على أنه تساؤل منه، ففيه تجريد على مذهب الجمهور، أو التفات من التّكلّم تخريجا على مذهب السّكاكي، على نحو المذهبين في توجيه البيت الأوّل من أبيات امرئ القيس.

(4) لسان العرب:محمد بن منظور،دار صادر،بيروت،الطبعة الأولى،(د.ت):ج2/ص84، وأدب الكاتب: أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة التجارية،مصر،الطبعة الرابعة، 1963م:ج1/ ص382.

ويسرةً.(1) و منه قوله- تعالى-: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(2)، فإن الله-تعالى- قد أمر نبيّه لوطا-عليه السّلام- أن يسري بأهله من آخر الليل و أن يتبع أدبارهم، أي يكون ساقة لهم، وأن لا يلتفتوا إذا سمعوا ما نزل بقومه من عذاب، إلا امرأته فإنها لما سمعت الوجبة-وهي العذاب- التفتت وقالت: وقوماه! فجاءها حجر من السماء فقتلها.(3)

ومنه أيضا قول عليّ-رضي الله عنه – في وصف النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– : «إذا التفَتَ التَفَت جميعا»(4)، و المقصود أنه لم يكن– عليه السّلام-يسارق النّظر. و قيل: بل المراد أنه لم يكن يلوي عنقه يمنة ويسرة عند النظر إلى الشّيء، وإنّما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا.(5)

وأيضا قولهم: لفتَّ فلانا عن رأيه، إذا صَرَفتَه، وما لفَتَكَ عن فلان؟ أي ما صَرَفَكَ؟ (6) ورُوي عن النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم- قوله: «لاَ تَتَزَوَّجَنَّ لَفُوتاً» (7) و "اللَّفُوتُ" التي تنصرف عن زوجها إلى ولد

---

(1) المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د/ط.ت): ج2 / ص 555.

(2) سورة هود / الآية 81.

(3) ينظر:تفسيرابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير،دار الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر،الطبعة الأولى، 1990م:ج3/ص362.

(4) هو جزء من الحديث :« كانَ رَسُولُ الله-صلّى الله عَلَيْه وسلّم –ضَخْمَ الرَّأس عَظِيمَ العَيْنَيْن إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ كَأنّما يَمْشِي فِي صُعُدٍ، إِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا.» رواه البخاري عن محمد بن علي بن الحنفية عن أبيه، و حسّنه محمد فؤاد عبد الباقي.ينظر: الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية،(د.م)، الطبعة الثّالثة، 1409هـ-1989م: ج1/ص 445، رقم: 1315. و هو عند الترمذي بلفظ« وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ مَعًا»، و ضعّفه الألباني. ينظر:سنن الترمذي:محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د/ط.ت):ج5/ص599، رقم:3638،ومختصر الشمائل المحمدية: محمد بن سورة أبو عيسى الترمذي، اختصار و تحقيق: مجمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، (د/ ط.ت):

ص16، رقم:05. ورواه أحمد بلفظ:« كَانَ رَسُولُ الله ضَخُمَ الرَّأْس عَظِيمَ العَيْنَيْن هدْبَالأَشْفَارِ مُشْرَبَ العَيْن بِحُمْرَةٍ كَثَّ اللِّحْيَةِ أَزْهرَ اللَّوْن إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ كَأَنّمايَمْشِي فِي صُعُدٍ وَ إِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا شَثْنَ الكَفَّيْن وَ القَدَمَيْن». ينظر: مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، (د/ط.ت): ج1 / ص 101، رقم: 796.

(5) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة :ج1 /ص487-488، و غريب الحديث لابن الجوزي: عبد الرحمان بن علي الجوزي، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م:ج2/ 326، والفائق في غريب الحديث:محمود بن عمر الزّمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعةالثّانية، (د.ت):ج4/ ص258، و لسان العرب: ج 2 / 84.

(6)كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، (د/م.ط.ت): ج8 / ص 121، و مختار الصّحاح: محمد بن أبي بكر الرّازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، (د.ط)، 1995م:ج1 / ص 250.

(7) هو مروي بلفظ آخر عن زيد بن حارثة-رضي الله عنه- حين سأله النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم -:تزوّجتَ؟ فقال:لا.فقال له- عليه السّلام-:«تَزَوَّجْ تَزْدَدْ عِفَّةً إِلى عِفَّتِك، وَلاَ تَتَزَوَّجْ خَمْسَةً :شَهبَرَةً وَلاَ لَهبَرَةً و لاَ نَهبَرَةً و لاَ هَنْدَرَةً، وَلاَ لَفُوتاً. أَمَّا الشَّهبَرَةُ فَهِيَ الزَّرْقَاءُ البَذِيئَة،والَّلهبَرَةُ الطَّويلَةُ المَهزولَةُ، وَ النَّهبَرَةُ القَصِيرَةُ الذَّمِيمَةُ، وَ الهَنْدَرَةُ العَجُوزُ المُدْبِرَةُ، وَ اللَّفُوتُ هِيَ ذَاتُ الوَلَدِ مِنْ غَيْرِكَ»رواه الدّيلمي. ينظر:الفردوس بمأثور الخطاب:شيراويه بن شهردار الديلمي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م:ج4/ص 404، رقم:8561، و مسند الإمام أبي حنيفة:النعمان بن ثابت أبو حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،(د/ط.ت): ج1/ص70، وجامع الأحاديث و المراسيل: عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الفكر، (د/م.ط)، 1994م:ج4/ص84، رقم: 10323.

من غيره. قال أبو السعادات الجزري(1):"هي التي لها ولد من زوج آخر فهي لا تزال تلتفت إليه وتشتغل به عن الزوج"(2).

ورُوي عن الحَجَّاج أنه قال لامرأة:«إِنَّكِ كَتُونٌ لَفُوتٌ»، وهي المنصرفة عن زوجها إلى غيره. قال ابن منظور:"أي كثيرة التلفّت إلى الأشياء. وقال ثعلب: اللَّفُوت: هي التي عينها لا تثبت في موضع واحد، إنّما همّها أن تغفل عنها فتغمز غيرك."(3). كما رُوي عنه بلفظ: «إِنَّكِ كَتُونٌ لَفُوتٌ لَقُوفٌ صَيُودٌ » (4).

ومن المعاني التي يكون فيها "اللَّفْتُ" بمعنى "الصَّرف" قولهم:لاَفِتُ الغُوَّاةِ إلى طَرِيقِ الرَّشَادِ، أي: هادِيهم وصارِفُهم إلى طريق الرَّشاد. قال أحمد القلقشندي (5) :" هو من ألقاب الصّلحاء والوعّاظ، واللاَّفِتُ: الصَّارف، يقال:لَفَتَ وجهه عنّي، إذَا صَرَفَه." (6)

2- للَّـيُّ: يقال:لَفَتَه، يلفِتُه، لفْتاً، أي: لَوَاه على غير جهته،كما تقبض على عنق إنسان فتلفته..وأصل اللَّفْتِ: اللَّيُّ عن الطريقة المستقيمة.(7)، ورُوي الحديث:«إِنَّ الله يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَلْفِتُ الكَلاَمَ كَمَا تَلْفِتُ البَقَرَةُ الخَلَى بِلِسَانِها» (8) أي يلوي الكلام بلسانه مبالغا في إظهار بلاغته وفصاحته.(9)

ومن ذلك قولهم: رجلٌ أَلْفَتٌ، أي: قويّ اليد، يلفت من عالجه،بمعنى: يَلْويه. وتيسٌ ألفتٌ، أي: مُعْوَجٌّ أو مُلْتَوِي القرنين أو أحدهما. وهو ألفتٌ، أي: أَحْوَلٌ وهي لَفْتاء،أي:حَوْلاَء. والألْفَتُ:الأَحْمَقُ، وهي لَفْتَاء،

(1) هو مبارك بن محمد بن محمد، الجزري ، المشهور بابن الأثير.ولد سنة 544هـ و مات سنة 606 هـ. ينظر:أبجد العلوم: ج3/ ص 12.

(2) النهاية في غريب الأثر: المبارك بن محمد أبو السعادات الجزري، تحقيق: أحمد طاهر الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، 1399هـ-1979م: ج4 / ص258 .و ينظر أيضا: كتاب العين: ج8 / ص121.

(3)،(9) ينظر: لسان العرب: ج2 / ص85.

(4) قال ابن قتيبة بعد أن أورده:" قال أبو حاتم: ذاكرت به الأصمعي، فقال: هو حديث موضوع، وقال: لا أعرف الكتون ..قال الأصمعي : واللقوف: التي إذا مسَّها الرجل لقفت يده سريعا. و الصّيُود: قريب منه،كأنها تصيد شيئا إذا هي لقفت يده. و قال غيره :الكتون :اللّزوق،

و منه يقال: قد كَتَّنَ الوَسَخُ عليه ، وكَلَعَ هَيَسَ ،إنّا لَزِقَ بِه". ينظر: غريب الحديث : ج3 / ص712-714(بتصرف يسير) .

(5) هو أبو العباس، أحمد بن علي القلقشندي المصري، المتوفى سنة 821هـ. ينظر: أبجد العلوم:ج2 / ص49.

(6) صبح الأعشى في صناعة الإنشا:أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق:د.يوسف طويل،دار الفكر،دمشق،الطبعة الأولى،1987م:ج6/ ص75.

(7) ينظر: لسان العرب: ج2 / ص85، و غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق:د.محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1396هـ: ج4 / ص124.و هو عند الترمذي عن عمرو بن العاص –رضي الله عنه - بلفظ «إنَّ الله يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالالّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِه كَمَا تَخَلَّلُ البَقَرَةُ»و قال عنه: حسن غريب؛ وعند أحمد وأبي داود بلفظ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَاقِرَةُ بِلِسَانِها». ينظر سنن الترمذي: ج5 / ص 141، رقم: 2853، و مسند الإمام أحمد:ج2 / ص 82، رقم: 6758 ، و سنن أبي داود: أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت،(د/ط.ت) :ج4/ ص 301، رقم: 5005.وحسّنه الألباني، ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف، الرياض، (د/ط.ت) ج2/ص 540، رقم:880.

(8) (البليغ):المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته. (من الرجال) أي: ممَا بينهم، وخصوا لأنه الغالب فيهم. (الذي يتخلّل بلسانه) أي: يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه، مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه.(كما تتخلّل البقرة) أي بلسانها كما في رواية. و ليس المقصود من كانت بلاغته خلقية.ينظر:تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي:محمد المباركفوري،دار الكتب العلمية، بيروت،(د/ط.ت):ج8/ص 118. و عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد أبو الطيب العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1415هـ: ج13 / ص 237.

أي: حَمْقَاء، والأعْسَرُ، أي:الذي يعمل بجانبه الأَ مْيَل (1). ورُوِي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قوله: «وَنهزُ اللَّدُوتَ وأضمُّ العَنُودَ»واللّدُوت: هي الناقة الضّجور التي تلتفِتُ إلى الحالب فتعضّه، فيَنهزُها: أي يضربها فتدرّ للّبن، تفتدي به من الضرب.(2) وقد ضربها مثلا للذي يستعصي ويخرج عن الطاعة. ويقال أيضا للأحمق العسر الخلق: لَفُوت.(3)

3- الفتل: من:فَتَل، ومقلوب:لَفَت، وهما بمعنى واحد، أي: لَوَى. قال ابن سلام:" اللَّفْت: اللَّيّ، يقال:لَفَت الشّيء فَتَلَه: لغتان بمعنى واحد."(4) وقال ابن منظور:" الفَتْلُ: ليُّ الشّيءكلَيِّك الحبل وكفَتْل الفَتيلَة، يقال: اِنْفَتَلَ فلان عن صلاته، أي: انصَرَف.ولَفَت فلانا عن رأيه، أي صرَفه ولَوَاه. فَتَله عن وجهه فانْفَتَل، أي:صَرفَه فَانْصَرَفَ. وهو قَلْبُ لَفَتَ." (5)

4- الإرسال وعدم التلاؤم: جاء في القاموس المحيط:"لَفَتَ الرِّيش على السّهم: وضَعَه غيرَ متلائم، بل كيف اتَّفَق."(6)، و يقال:فُلانٌ يلفِتُ الكلام لَفْتاً، أي:يُرْسِلُه و لا يُبالي كيف جاء.(7) ومن ذلك الأثر:«إنَّ مِنْ أَقْرَإِ النّاس لِلْقُرْآن مُنَافِقًا لاَ يَدَعُ مِنْه وَاوًا وَ لاَ أَلِفاً يَلْفِتُه بِلِسَانِه كَمَا تَلْفِتُ البقَرَةُ الخَلَى بِ لِسَانِها»(8)، والمعنى:أنه يقرؤه من غير رويّة ولا تبصّر أو تدبّر،غير مبال بمتلوِّه كيف جاء،كما تأكل البقرة الحشيش. (9)

5- النظر: يقال: لا يلتفِتُ لفْتَ فلان، أي:لا يَنظُر إليه(10).ومنه الحديث:«فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ» .(11)

6- الإصغاء : يقولون:أَلفَتَه وتَلَفَّتَه، وتَلَفُّتُه ولِفْتُه معك، أي: صَغْوُه.(12) وقال الزّمخشري:" ومالي إليه مُلْتَفتٌو مُتَلَفَّتٌ، وإذا أخبرك فلا تَلْتَفِت لِفْتَه ولا تَطّلِع طِلْعَه."(13).قال ابن منظور:"يقولون: صَغْوُه معك

---

(1)،(3)،(5) ينظر:لسان العرب:ج2 / ص85 ، و كتاب العين:ج8 / ص121-122، و أساس البلاغة : أبو القاسم محمود الزّمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، تعريف: أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت): ص411.

(2) ينظر: النهاية في غريب الأثر: ج4 / ص259، و غريب الحديث لابن الجوزي: ج2 / ص326 .وأورد الرواية ابن قتيبة بلفظ «أَرُدُّ اللَّفُوتَ وَأَضُمُّ العَذُودَ» ضمن أثر مرويٍّ عن عمران بن سوادة أخي بني ليث. ينظر: غريب الحديث:ج1 / ص 585-586.

(4) غريب الحديث: ج4 / ص123.

(6) القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1993:ج1 / ص 204 .

(7) ينظر:لسان العرب: ج2 / ص84 ، و أساس البلاغة: ص411.

(8) هو مروي عن حذيفة-رضي الله عنه-.ينظر: لسان العرب:ج2 / ص 85، ومصنّف ابن أبي شيبة:عبد الله محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة الأولى، 1409هـ: ج2 / ص 256: رقم:8736.

(9) ينظر: النهاية في غريب الأثر:ج4 / ص259.

(10) ينظر:لسان العرب: ج2 / ص85.

(11) هو جزء من حديث طويل عند مسلم مرويٍّ عن جابر-رضي الله عنه-. قال الإمام النّووي:"اللفتة:النظرة إلى جانب، وهو بفتح اللام، ووقع لبعض الرّواة -فَحَالَت – و المشهور بالنّون، فالحين والحال: الوقت، أي وقعت واتفقت وكانت." ينظر:شرح النّووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف النّووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثّانية، 1392هـ- 1972م: ج18 / ص 143.

(12) ينظر:لسان العرب: ج2 / ص85 ، و كتاب العين: ج8 / ص 121.

(13) ينظر: أساس البلاغة: ص 411.

وصِعْوُه وصَغاه:أي ميلُه.وأصغى إليه رأسه وسمْعَه: أماله. وأصغَيتَ إلى فلان، إذا أملتَ بسمعك نحوه."(1)

7- الخلط والمزج :وقد يأتي "لَفَتَ"بمعنى خَلَطَ ومَزَجَ. فمن ذلك قولهم عن العصيدة لَفِيتَة. قال الزّمخشري:"لَفَتَتُّ الدّقيق بالسّمن: عصدتُّه. واتّخذت لفيتة: عَصِيدة."(2) ورُوِي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-يذكُر أمره في الجاهلية، أن أُمَّه اتّخذت لهم لَفِيتَةً من الهبيد. (3)

8- القبض :كما تدلّ مادّة "لَفَتَ" أيضا على معنى القبض. قال الفراهيدي :"اللّفْتُ لَيُّ الشّيء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته." (4) و يقال: امرأةٌ لفوتٌ، أي: فيها التواءٌ وانقباضٌ.(5)

9- التقشير: يقال:لَفَتَ اللّحاء عن العود أو الشّجر، إذا قشّره. (6)

فهذه أهمّ المعاني التي حفظتها كتب المعاجم واللّغة لمادّة "لَفَتَ"، ويكون مدلولها ومؤدّاها من حيث الحقيقة والمجاز بحسب الاستعمال وتوظيفها في الكلام، فإن قيل:"التَفَتَ فلان يمنةً أو يسرةً" أو"لَفَتَ عُنُقَه" أو"لَفَتَ وَجْهه عن القوم"؛ فهي كلّها حقائق دلّت فيها كلمة "لَفَتَ" أو "التَفَتَ" على المعنى الذي وضعت له؛ وأمّا إن قيل:"لَفَتَه عَنْ رَأْيِه" أو "هو يَلْفِتُ الكَلاَمَ لَفْتاً" أو"لَفَتَ الرِّيش على السَّهم"، فهي مجازات. وكذلك يكون الالتفات بالمعنى البلاغي،فإنّه كما يخدم معنى حقيقيا قد يوظّف في خدمة معنى مجازي.

والتنوّع في المعاني لهذه المادّة إنّما هو لتنوّع الأغراض والمقاصد من الكلام،فالغرض- مثلا- والمقصد من الحديث السّابق:«إِنَّ اللهَ يَبْغَضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَلْفِتُ الكَلاَمَ كَمَا تَلْفِتُ البَقَرَةُ الخَلَى بِلِسَانِهَا » بيان تكلّف الرّجل ومحاولته إظهار فصاحته وبيانه،ولذلك فالمعنى المناسب لكلمة "يَلْفِتُ" في هذا السياق هو:"اللَّيُّ"، فيُتصوَّر ويُتخيَّل منها كيف يلوي ويلُفُّ الرّجل لسانه بالكلام تصنّعا وتشدّقا ومبالغة! فإذا نُظِر إلى الكلمة نفسها في الأثر السّابق عن حذيفة- رضي الله عنه-: «إِنَّ مِنْ أَقْرَإِ النّاس لِلْقُرْآن مُنَافِقًا لاَ يَدَعُ مِنْه وَاوًا وَ لاَ أَلِفاً يَقْرَؤُهُ بِلِسَانِه كَمَا تَلْفِتُ البَقَرَةُ الخَلَى بِلِسَانِهَا»، وبنفس التشبيه:«كَمَا تَلْفِتُ

البَقَرَةُ الطَّىبِ لِسَانِها» وُجد معناها مغايرا للأول، لأن المقصود ليس واحدا، فالغرض هنا بيان عدم تعظيم المنافق للقرآن وعدم التزامه بحدوده من أمر ونهي، فهو يتلوه بلا تدبّر أو تبصّر، لذلك ناسب أن يكون معناها في هذا الموضع هو " الإِرْسَال"، وشتّان بين "اللَّي" الذي يحمل معنى الشّد والضّبط والإحكام، وبين" الإِرْسَال" الذي
فيه معنى العفوية وعدم المبالاة! وهذا ينطبق على الالتفات كأسلوب بلاغي، فإن دلالاته على المعاني التي يخدمها تتنوّع بحسب موضعه والسّياق الذي يجيء ضمنه، ومقصود المتكلّم منه.

---

(1) لسان العرب: ج14 / ص461.
(2)، (6) ينظر: أساس البلاغة: ص411.
(3) ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي:ج2 / ص326 ، و النهاية في غريب الأثر:ج4 / ص259. و الهبيد:الحنظل، يتُّخَذُ من حبِّه بعد أن يستخرج و ينقع، ثم يسخّن الماء الذي أنقع فيه حتى تذهب مرارته، ثم يخلط بقُمَيِّحة من دقيق و يُتَحَسَّى. ينظر:لسان العرب:ج3 /ص 431.
(4) كتاب العين:ج8 / ص121.
(5) ينظر: المصدر نفسه:ج4 / ص239، و لسان العرب :ج2 / ص85.

ثم إذا نُظِر من النّاحية القيمية وُجِد أن مادّة "لَفَتَ" توظَّف في الجانب السّلبي كما في الجانب الإيجابي، وفي كل تكون ذات قيمة وأثر في النّفس،فإن قيل: هو يلفت الماشية، أي يضربها لا يبالي أيها أصاب، فإن الضرب سلوك سلبيّ- وإن كان أثره إيجابيا أحيانا – والذي يتصوّره النّاظر إلى هذا اللاّفت (الضّارب)، ويشعر به تجاهه أنه ظالم غير عادل،يضربها بلا شفقة عليها أو رحمة، بغضّ النّظر عن الدّافع إلى ذلك !

وكذلك إن قيل:امْرَأَةٌ لَفُوتٌ" أو"هوَ يَلْفِتُ الكَلاَمَ لَفْتاً" أو"هوَ يَنْهزُ اللَّفُوتَ"، فهي توظيفات للمادّة في جوانب سلبية، إذ تنبىء عن نوازع نفسيّة ومشاعر داخلية، نتج عنها تلك السّلوكات والتّصرفات من اشتغال بغير الزوج وتطلّع إلى غيره،وإرسال للكلام من غير تدبّر أورويّة،وعصيان وخروج عن الطاعة؛لكن بإمعان النظر في وصف عليّ – رضي الله عنه– للنّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم – «وَ إِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعاً»وُجِد أنه يوحي بقيمة تربوية ذات أثر إيجابي في النّفس، فهو– عليه السّلام – لم يكن يسارق أو يختلس النّظر– وحاشاه-بل يُقبل جميعا و يدبر جميعا، فهو صاحب الخلق العظيم والمربّي الحكيم، يعلّم النّاس الغضَّ من البصر، والقصد في النّظر إلى المشروع، و الابتعاد عن الشّبه وسدّ أبواب الشّيطان.

والمعنى نفسه ينصرف إلى الالتفات البلاغي في الكلام شعرا أو نثرا – وهو في القرآن أبلغ– فإنه قد يوظَّف في جانب سلبيٍّ،كالذّم أو التّوبيخ مثلا- وذلك باعتبار سببه وإضافته- أو في جانب إيجابي كالمدح والتّشريف، و في كلٍّ يَحدُث أثرٌ في النّفس قد يترتّب عليه سلوك إيجابيّ أو سلوك سلبيّ.

وثمّة إشارة أخرى توحي بارتباط المعاني اللّغوية لمادّة "لَفَتَ" بما ذهب إليه البلاغيّون في معنى الالتفات، هي أن جُلّ تلك المعاني ك"الصّرف"و"اللَّي"و"القَبض"و"الفَتْل"و" الخَلْط"و"الضّرب"و"التَّقشير"، تحتاج إلى جهد وقوّة، إن في الحقيقة أو في المجاز، فكي تلفت و تلوي من عالجك،أو تفتل حبلا، أو تخلط لفيتة، أو تقشّر لحاء عن عود، إنك تحتاج إلى بذل جهد وقوّة، وكي تصرف غيرك عن رأيه، فإنّك تحتاج أيضا إلى حجّة و قوّة في الإقناع. وكذلك أسلوب الالتفات فهو يتميز

بالقوّة في أداء المعنى وخدمة الغرض والمقصد من الكلام، فضلا عن جمال الصّورة وحسن العرض، خاصّة إذا كان الكلام هو القرآن الكريم.

كما يظهر هذا الارتباط من وجه آخر،حيث إن في تلك المعاني لمادّة"لفت" خروجا وعدولا عن الأصل، الذي هو الطريقة المستقيمة (1)، وكذلك عند البلاغيّين فإن في الالتفات عدولا عن مقتضى الظاهر.

هذه بعض أوجه ارتباط المفهومين اللّغوي والبلاغيّ للالتفات، وما من شكّ أن اللّغة أساس البلاغة، ومن كان لها أدرك كان من البلاغة أقرب، و عليه فإنه ينبغي أن يُنظر إلى هذه الأوجه والمعاني في دراسة موضوع الالتفات، ولا يُكتفى في البيان اللّغوي له بالقول:" هو مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا و تارة كذا." (2).

---

(1) ينظر: لسان العرب: ج2 / ص82.

(2) ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر: ج2 / ص170، و كتاب الطراز: ص265.

ثالثا: شروط الالتفات

للالتفات بالمعنى الاصطلاحيّ الذي سبق بيانه شروط ثلاثة، اتّفق على واحد منها و اختلف في الشّرطين الآخرين، تبعه اختلاف في القول بتحقّقه في كثير من المواضع في الشّعر و في القرآن الكريم .

و هذه الشروط هي:

أوّلا: أن يكون العدول في الكلام إلى المنتقل إليه على خلاف مقتضى الظاهر، وهو ما اتّفق عليه، وإلا لم يكن التفاتا،ذلك أن البلاغة متوقّفة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والأصل أن يجري مقتضى الحال على مقتضى الظاهر، وأن لا يعدل عما يقتضيه الظاهر إلى خلافه مما تقتضيه الحال إلا في بعض مقامات الكلام لاعتبارات يراها المتكلّم، والالتفات من هذا القبيل.(1) ولايتحقّق إلا أن يكون الانتقال من صيغة الغيبة أو الخطاب أو التّكلّم للمفهوم الواحد إلى أخرى منها على خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام،فمقتضى الظاهر– مثلا- في قوله– تعالى-:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (2) الاستمرار على الغيبة أي القول:(إِيَّاهُ نَعْبُدُ). وفي قول ربيعة بن مقروم:(وأَخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الحُرِّ المَواعِيدَا)(3) أن يقول:(أَخْلَفَتْنِي) (4).

واشتراط كون التّعبير الثّاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقّبه السامع قيد لا بد منه حتى يخرج من الحدّ مثل قول:(أَنَا زَيْدٌ)و(أَنْتَ عَمْرٌو) و(نَحنُ الَّذِينَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا)،ومثل قوله– تعالى-:(وَإِيَّاكَ نَسْتعينُ)(5) و(اِهْدِنَا)(6) و(أَنْعَمْتَ)(7)،لأن الالتفات إنّما هو في:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)والباقي جار على أسلوب:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، فلما التفت إلى الخطاب صار الأسلوب له.(8)

و مع أن هذا القيد متّفق عليه إلا أنه قد تختلف الأنظار في تحديد الظاهر في التّعبير المنتقل عنه في موضع من المواضع فيترتّب عليه اختلاف في القول بالالتفات(9).

---

(1) ينظر: جواهر البلاغة : ص 239 .

(2)،(5) سورة الفاتحة / الآية 05.

(3) من قوله:بَانَتْ سُعَادُ فَأَمْسَى القَلْبُ مَعْمُودَا وَ أَخْلَفَتْكَ ابْنَةُ الحُرِّ المَوَاعِيدَا.

(4) ينظر: مفتاح العلوم: ص 296.

(6) سورة الفاتحة / الآية 06.

(7) سورة الفاتحة / الآية 07.

(8)ومثله الزّعم بأن في مثل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) التفات لأن (الَّذِينَ) هو المنادى فهو المخاطب فيناسبه (آمَنتُمْ)!و في ذلك سهو عما تشهد به كتب النحو من أن عائد الموصول قياسه أن يكون بلفظ الغيبة، لأن الموصول اسم ظاهر فهو من قبيل الغيبة و إن عرض له الخطاب بسبب النداء. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج 2 / ص 86-87، و حاشية الجرجاني على الكشاف: ج 1 / ص 224. فالمنادى فيَا(أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) مخاطب بمنزلة ضمير الخطاب و إن كان لفظه في الأصل للغيبة.

(9)كما في قوله– تعالى-أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة المجادلة / الآية 14. فقد ذهب البعض إلى أن في(مِنكُمْ) التفاتا، وقد تعقّب بأنه إن غلب فيه خطاب الرسول– صلّى الله عليه وسلّم–فظاهر أن لا التفات فيه، و كذلك إن لم يغلّب إذ ليس فيه مخالفة لمقتضى الظاهر لسبق خطابهم في قوله– سبحانه-:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ..) سورة المجادلة / الآيتان 12-13.و القوم المنافقون و قيل اليهود. ينظر هذا المثال والقول فيه في: روح المعاني:ج 28 /ص 32.

ثانيا: سبق التّعبير عن المنتقل إليه و أن يكون الضمير فيه عائدا إلى المنتقل عنه: وذلك بأن يكون المعنى متّحدا بين المنتقل إليه والمنتقل عنه، فيعبَّر عن معنى أوّلا بطريق من الطرق الثّلاثة ثم يعبَّر عن المعنى نفسه بطريق أخرى منها،حتىّ يخرج مثل قول:(أَنتَ صَدِيقي)وأَكْرِمْ زَيْداً وأَحْسِنْ إِلَيْهِ) من الحدّ،إذ الضمير (أَنتَ) غيره في(صَدِيقِي) والضمير(أَنتَ) في (أَكْرِمْ) غيره في (إِلَيْهِ).(1) وهذا مذهب الجمهور، وقد خالف السّكاكي فلم يشترط تقدم التّعبير عن المعنى في تحقق الالتفات،بل قد أراد بالنقل في قوله:"بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر،ويسمَّى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني."(2) أن يعبَّر بطريق من هذه الطّرق عما عبِّر عنه بغيره منها، أو كان مقتضى الظاهر التّعبير بها، فيكون كل التفات عند الجمهور التفاتا عنده من غير عكس، ويتحقّق الالتفات عنده بتغيّر واحد، فيوافقهم بذلك في العدول الحقيقي الذي سبق التّعبير عنه ويخالفهم في التقديري أو ما لم يسبق التّعبير عنه فيجعله التفاتا.(3)

و تبعا للاختلاف بين السّكاكي و الجمهور في هذا الشرط اختلف في القول بالالتفات في كثير من المواضع في الشّعر أو في القرآن الكريم ؛ ففي قول علقمة بن عبدة :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
تُكَلِّفُنِي لَيْلَى و قَد شَطَّ وَلْيُـها و عَادَت بَيْنَنَا عَوَادٍ و خُطُـوبُ

التفات واحد على الرأي المشهور من الخطاب في (بِكَ) إلى التّكلّم في (تُكَلِّفُنِي) و مقتضى الظاهر أن يقول: (تُكَلِّفُكَ)، وآخر على رأي السّكاكي من التّكلّم إلى الخطاب في (بِكَ) و الظاهر أن يقول:(بِي) لعدم اشتراطه سبق التّعبير عن المنتقل إليه، و لذلك فقد قال:"فالتفت في البيتين." (4)

و في أبيات امرئ القيس: تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمَدِ وَ نَامَ الخَلِيُّ وَ لَمْ تَرْقُدِ
وَ بَاتَ وَ بَاتَتْ لَه لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ الأَرْمَدِ
وَ تِلْكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي و خُبِّرْتُهُ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ

التفاتان على المشهور من مذهب الجمهور، الأوّل في (بَاتَ) إلى الغيبة من الخطاب في(لَيْلُكَ)، والثّاني إلى التّكلّم في (جَاءَنِي).وأما على رأي السّكاكي فقد التفت في الأبيات الثّلاثة في (لَيْلُكَ) إلى الخطاب من التّكلّم والظاهر أن يقول:(لَيْلَي)،وفي (بَاتَ)وفي (جَاءَني).و بثلاثة التفاتات قال الزّمخشري أيضا (5).

---

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن:ج2/ص111،والبرهان في علوم القرآن:ج3/ص331،314، والإيضاح في علوم البلاغة: ج2/ص86.
(2) مفتاح العلوم: ص 296.
(3) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج2 / ص87.

(4) مفتاح العلوم: ص 298. قال د.عبد المنعم خفاجي:"وقوله (يُكَلِّفُنِي) بالياء،وفيه التفات من الخطاب في (بِكَ) إلى التّكلّم، ومقتضى الظاهر:(كَلّفُكَ) وفاعل (يُكَلِّفُنِي) ضمير القلب،و(ليلى) مفعوله الثّاني، والمعنى:يطالبني القلب بوصل ليلى.ويروى (تُكَلِّفُني) بالتّاء على أنه مسند إلى (ليلى) والمفعول محذوف،أي:شدائد فراقها،أو على أنه خطاب للقلب فيكون التفاتا آخر من الغيبة إلى الخطاب.". ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة:ج2/ص88.وعلى القول بإسناد ضمير الخطاب إلى القلب في (تكلّفُني) يكون في البيتين على مذهب السّكاكي ثلاث التفاتات.

(5) ينظر: الكشاف: ج 1 / ص 63– 64.

وقد حاول البعض توجيه قول الزّمخشري بعدم القول بالالتفات في البيت الأوّل و تعيّن القول بالتفاتين في البيت الثّاني،فقيل هما في قوله:(جَاءَني)،الأوّل:بالانتقال من الخطاب في البيت الأوّل،والثّاني:بالانتقال من الغيبة في الثّاني.واستُبعِد هذا التّوجيه لأن أسلوب الكلام قد استقرّ على الغيبة وإن انتقل إليه من الخطاب، فيكون الانتقال إلى التّكلّم في الثّالث من الغيبة وحدها لا منهما جميعا. وقيل أحدهما في(تِلْكَ) بالانتقال من الغيبة إلى الخطاب، و الثّاني من الخطاب في (تِلْكَ) إلى التّكلّم في (جَاءَنِي).(1)

وذهب ناصر الدين أحمد الإسكندري إلى أن قول الزمخشري بثلاث التفاتات قد يكون وهما منه فقال:

"وإنّما أراد الزّمخشري– والله أعلم– أنّه أتى بثلاث أساليب خطاب لحاضر ولغائب ولنفسه، فوهم بقوله ثلاث التفاتات، أو نجعل الأخير ملتفتا التفاتين عن الثّاني وعن الأوّل فيكون ثلاثا، والأمر فيه سهل."(2)

قال عبد المنعم خفاجي:" قال الدّسوقي: في هذه الأبيات التفاتان باتفاق في (بَاتَ) لعدوله إلى الغيبة بعد الخطاب، وفي (جَاءَنِي) لعدوله بعدها إلى التّكلّم. وأما قوله:(لَيْلُكَ) فالسّكاكي يجعله التفاتا من التّكلّم إلى الخطاب إن لم يكن تجريدا، و أما الجمهور فيتعين أن يكون عندهم تجريدا." (3).

وقال الجرجاني :" واعلم أن قوله (طَاوِلْ لَيْلُكَ) إن حمل على الالتفات لم يكن تجريدا وإن عدّ تجريدا كقوله:(وَ هَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ؟)(4) لم يكن التفاتا لأن مبنى التجريد على مغايرة المنتزع للمنتزع منه ليترتب عليه ما قصد منه من المبالغة في الوصف، ومدار الالتفات على اتحاد المعنى ليحصل ما أريد به من إيراد المعنى في صورة أخرى غير ما يستحقّه بحسب ظاهره. ويؤيد ذلك ما نقله الفاضل اليمني من أن أبا علي وابن جني وابن الأثير حكموا بأن (لَيْلُكَ) تجريد وليس بالتفات، فمن ادعى أن أحد أقسام التجريد أعني مخاطبة الإنسان نفسه التفات و لا منافاة بينهما فقد سها." (5).

ومن أمثلة ما اختلف في القول بوجود الالتفات فيه من القرآن تبعا للاختلاف في هذا الشرط قول الله

---

(1) ورأى الخطيب القزويني أن قول الزّمخشري ظاهر على رأي السّكاكي بالتفات في كل بيت، و أورد التوجيهين، و اعتبر الثّاني أقرب من الأوّل. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج 2 / ص 90. بينما استبعده الجرجاني و ردّه بأنه لو كان كذلك لعدّ السّكاكي في الأبيات الثّلاثة أربع التفاتات؛ وجزم بظهور فساد التوجيه الأوّل. ينظر:الحاشية على الكشاف: ج 1 / ص 63. و إلى القطع بموافقة مذهب السّكاكي لرأي الزّمخشري ذهب د. خفاجي . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج 2 / ص 90.

(2) الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف من الاعتزال: أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري، مطبوع على حاشية الكشاف للزمخشري، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د/ط،ت):ج 1 / ص 63. وقد ردّ أبو حيان دعوى الزّمخشري بثلاث التفاتات و قال عنها أنها غير صحيحة، و أن الصحيح هو التفاتان فقط،وقال:"وتعيين أن الأوّل هو الانتقال من الغيبة إلى الحضور أشد خطأ، لأن هذا الالتفات من عوارض الألفاظ لا من التقادير المعنويّة."ينظر: تفسير البحر المحيط : ج1 / ص142.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة:ج2/ص90، وقال في الموضع نفسه :"و التجريد إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب.".

(4) القول هو الشطر الثّاني من بيت للأعشى أوّله : و دِّعْ هريرةَ إن الرّكبَ مرتحلُ. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ج1 / ص 340.

(5) حاشية الجرجاني على الكشاف:ج1/ص63. يراجع التّجريد وأنواعه في:المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر:ج2/ص162-167، والفلك الدائر على المثل السّائر(مطبوع مع المثل السّائر):عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق و تقديم وتعليق:د.أحمد الحوفي،د.بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960م:ج4/ص218 -224،والبرهان في علوم القرآن:ج3/ص 504-505.

– تعالى-:(وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (1)، فعلى مذهب الجمهور يكون في الآية التفات في(فَإِيَّايَ) إلى التّكلّم من الغيبة في "هُوَ"،ومقتضى الظاهر(فَإِيَّاهُ)،ويوافقهم في ذلك السّكاكي لكن بالتخريج على مذهبه قد يصار إلى القول بالتفات قبله في قوله"هُوَ"إلى الغيبة من التّكلّم(2).

ثالثا:أن يكون في جملتين، أي في كلامين مستقلّين.وقد نقل السّيوطي عن الزّمخشري التّصريح بذلك(3).

و اعترض على هذا الشرط السبكي(4). وذكر الزّركشي أن أصحاب هذا القيد يمنعون الالتفات في الجملة الواحدة ليمتنع بين الشرط وجوابه،وقال:" وفي هذا الشرط نظرة، فقد وقع في القرآن مواقع الالتفات فيها وقع في كلام واحد وإن لم يكن بين جزئي الجملة منها."(5). وحاول البعض الجمع بين الرأيين بالقول بعدم استحسان وقوع الالتفات في الجملة الواحدة و إن كان غير ممنوع.(6)

فمتى اجتمعت هذه الشروط في أسلوب من أساليب الكلام، انتقل فيه من صيغة من الصيغ الثلاث لأخرى منها، وكان المتكلّم واحدا في التّعبيرين، كان ذلك التفاتا عند الجمهور.

رابعا: فائدة الالتفات

حاول البعض ممّن كتب في الالتفات استجلاء الفائدة منه والوقوف عليها وضبطها،فكان يحي العلوي موفّقا في جمع الأقوال فيها وتلخيصها في كتابه "الطراز"(7) في الوقت الذي لم يتعرض إليها آخرون كابن المعتز و قدامة والعسكريّ وغيرهم. و ما يمكن إثباته في هذا الشأن قول:

إن الالتفات أسلوب من أساليب الكلام المعهودة عن العرب في لسانهم،وإن إيراد بعض من تحدّث فيه لذلك لا يعني أنه لا فائدة منه، أو أنه مجرّد أسلوب وكفى؛ فإذا ذكر المبرّد مثلا أو أبو عبيدة أو الثعالبي أو ابن فارس أن العرب تفعله(8)، عدّ ذلك تكييفا منهم لطبيعة هذا الأسلوب وتحقيقا في صلته ونسبته إلى كلام العرب، ولا يعني أبدا غفلتهم عن الفائدة منه.

---

(1)سورة النحل / الآية 51.

(2) روح المعاني:ج14/ص163.ولينظر:تفسير أبي السعود:ج5/ ص119.ومثله قوله– تعالى-:(لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) سورة البقرة/الآية 229. فعلى القول بأن الخطاب للأزواج قيل بالالتفات إلى الغيبة في(أَلَّا يُقِيمَا).ورُدّ بأنه غير منتظم مع السياق، لأن المعبّر عنه في الخطاب الأزواج فقط، و في الغيبة الأزواج والزّوجات، فلا يمكن حمله على الالتفات،إذ الشرط أن يكون المعبّر عنه في الطريقين واحداً وهو غير متحقق.ينظر:روح المعاني: ج2/ص139-140، وتفسير أبي السعود:ج1/ص226.وغير هذين المثالين في القرآن كثير،يكون الوقوف على بعض منه في الفصل الثّاني.

(3) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ج 2 / ص 110.

(4) ذكر ذلك الخطيب القزويني. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة : ج 2 ص61 .

(5) البرهان في علوم القرآن: ج 3 / ص 332 . و أورد عشرة مواضع يكون الحديث عنها في الفصل الثّاني من هذا البحث.

(6) ينظر: روح المعاني: ج 15 / ص 46.

(7) ينظر: ص 265-266.
(8) ينظر: الكامل: ج2 / ص 333، ومجاز القرآن :ج2/ ص 139، وفقه اللّغة وسرّ العربيّة: ص 327، والصاحبي في فقه اللّغة:أحمد ابن فارس بن زكريا القزويني، دار المؤيد، (د/م.ط)، 1328هـ:ص 356.و نقله عنه السّيوطي في:المزهر في علوم اللّغة و أنواعها:جلال الدين =

واعتبر ابن الأثير الاقتصار على القول بكون الالتفات من عادة العرب في أساليب كلامها عند السؤال

عن فائدته عكّاز العميان(1)، و رأى يحي العلويّ هذا الكلام من ابن الأثير تزييفا ولا فائدة فيه(2).

والنّاظر في كلام ابن الأثير منطوقا ومفهوما لا يلمس ما قاله العلويّ، بل يجده حقّا مطابقا للواقع، ذلك أن الكلّ يسلِّم أن العرب قد تحدّثت بهذا الأسلوب ووُجد في القرآن المنزّل باللّسان العربي، ولا أحد ينازع في هذا! و موضوع الدِّراسات البلاغيّة إنّما هو ما عُهد عنهم من عادات وسنن في الكلام، ومنها الالتفات، و بحثه و فقهه إنّما هو في استعمالاته وأسراره.

فإذا تبيّن أن الالتفات من كلام العرب، وأن بحثه إنّما هو في استعمالاته وفوائده،أمكن القول بعد التتبّع لما كُتِب فيه،أن هذه الفوائد عامّة، كان الزّمخشري أوّل من جمعها في إيجاز وتركيز، وتبعه غيره فيها، كالسّكاكي والقارطجنّي والزّركشي والسّيوطي والعلوي وغيرهم (3)..وأخرى خاصّة بحسب الموضع.

و ما ذكره الزّمخشري عن الفائدة العامّة من الالتفات يمكن تلخيصه في أمرين: (4)

الأوّل: من جهة المتكلّم، وهو التفنّن في الكلام وحسن التصرّف فيه وبيان القدرة عليه. ويؤكّد هذا المعنى قول حازم القارطجني:" وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضا يتلاعب المتكلّم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض."(5).

الثّاني : من جهة السامع، و هو تطرية نشاط السامع و إيقاظ و استدرار إصغائه إليه.

وقد انتقد ابن الأثير الزّمخشري فيما كتب عن الفائدة من الالتفات انتقادا شديدا، وحمّل كلامه ما لم يحتمل، بل وربّما كان منه نوع تكلّف ومبالغة في ذلك، و العجيب أنه يَشهد للرجل بالبلاغة والفصاحة! الأمر الذي جعل البعض كابن أبي الحديد يردّ عليه بشدّة منتصرا للزمخشري. (6)

= عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م: ج 1 / ص 263.
(1) ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر: ج2 / ص 171.
(2) ينظر: كتاب الطراز: ص 265.
(3) ينظر: مفتاح العلوم: ص 296، و منهاج البلغاء: ص 348.، والبرهان في علوم القرآن : ج 3 / ص 314، والإتقان في علوم القرآن : ج 2 / ص 109، و كتاب الطراز : ص 265-266.
(4) ينظر: الكشاف:ج1 / ص 64، 224. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .تراجع: ص 15-16 من هذا البحث.
(5) منهاج البلغاء: ص 348. وسبقت الإشارة إلى هذا القول. تراجع: ص 21 من هذا البحث. وقد نقل الزّركشي العبارة نفسها عن حازم القارطجني، مذيلة بزيادة: "و هو ثقل معنوي لا لفظي."ينظر: البرهان في علوم القرآن : ج 3 / ص 314 . يقول محمد الحبيب بن الخوجة: "لعل ما ذكر بعد ذلك – أي الزيادة التي في كتاب البرهان – إنّما هو تعقيب من الزّركشي." . ينظر: منهاج البلغاء: ص 392. و ربما كان قصد الزّركشي – إن كانت الزيادة منه - أن الاستمرار على الأسلوب الواحد و إن كان من جهة اللّفظ و المبنى صحيحا سليما فإنه يثقُل به المعنى في بلوغه إلى السامع.

(6) ينظر: المثل السّائر:ج2 / ص171-172، و الفلك الدائر على المثل السّائر(مطبوع مع المثل السّائر، الجزء الرابع): ص 224-228.

وذكر الزّمخشري إضافة إلى الفائدة العامّة أن لكل موقع فوائد ولطائف تختصّ به،وذلك بحسب غرض المتحدّث من الكلام،وهي التي تتفاوت الأفهام في بلوغها وإدراكها.يقول السّكاكي بعد أن عرّف الالتفات وبيّن فائدته العامّةومثّل له بأمثلة من الشّعر:"وأمثال ما ذكر أكثر من أن يضبطها القلم،وهذا النّوع قد تختصّ مواقعه بلطائف معان،قلّما تتضح إلا لأفراد بلغائهم أوللحذّاق المهرة في هذا الفنّ والعلماء النّحارير، ومتى اختصّ موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق،وأورث السامع زيادة هزّة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحلّ إن كان ممّن يسمع ويعقل(وَقَلِيلٌ مَا هُمْ)(1)،(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ)(2).ولأمر ما وقع التّباين الخارج عن الحدّ بين مفسّر لكلام ربّ العزة ومفسّر، وبين غوّاص في بحر فرائده وغوّاص،وكل التفات وارد في القرآن متى صِرت من سامعيه عرّفك ما موقعه." (3).

وتبقى أكبر فائدة مع هذه الفوائد العامّة والخاصّة للالتفات في القرآن الكريم إظهار الإعجاز والتّحدي به، والذي هو سمة القرآن كلّه، فالالتفات من عادات العرب في شعرهم ونثرهم،وقد تفنّنوا في استعماله، لكن ليس بالمستوى الذي ارتقى إليه القرآن الكريم،وقد أنزل بلسانهم، وهيهات لهم أن يصلوا إلى مستواه!

يقول السّيوطي وقد نقل جملة من عادات وسنن العرب في كلامها والتي من بينها مخاطبة الشاهد بلفظ الغائب أوالعكس:"وقد جاء القرآن بجميع هذه السّنن لتكون حجّة الله عليهم آكد،ولئلا يقولوا:إنّما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السّنن التي نستنّها،فأنزله– جل ثناؤه–بالحروف التي يعرفونها وبالسّنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشعر." (4).

ولا ينبغي إغفال الجانب التّصويري والتّعبيري عند الحديث عن الإعجاز في القرآن،والذي تميّز به الأسلوب القرآنيّ عموما،فلا شك أن آيات كثيرة في القرآن زادها الالتفات، بالإضافة إلى الذّوق البلاغي والبياني،جمالا في التصوير والعرض،ولا شكّ أيضا أنّ لِحسن العرض والتصوير أثرا بالغا في إيصال المعنى وخدمة الغرض من الكلام.

---

(1) سورة ص / الآية 24.
(2) سورة الفرقان / الآية 44.
(3) مفتاح العلوم : ص 299
(4) المزهر في علوم اللّغة و أنواعها: ج 1 / ص 272. و قد أقروا بسموّ ورفعة القرآن، وثبوت عجزهم عن الإتيان بمثله. من ذلك شهادة الوليد بن المغيرة وقد سمع شيئا من القرآن الكريم فكلّما رقَّ له، فقالت قريش:صبأ والله الوليد،ولتصبون قريش كلهم.فأوفدوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه بنسبه وماله ويطلب إليه أن يقول في القرآن قولا يعلم به قومه أنه له كاره. قال:« فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم مني بالشّعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن.والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا. والله إن لقوله لحلاوة،و إن عليه لطلاوةً وإنه لمثمرٌ أعلاه مُغدِقٌ أسفلُه و إنه ليعلو وما يعلى و إنه ليحطّم ما تحته» أخرج الرواية الحاكم والبيهقي عن ابن عباس.ينظر:المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق:مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م:ج2/ص 550، رقم:3372، شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م:ج1/ص 157، رقم: 134.

يقول عبد الفتاح الخالدي:"إن سرّ الإعجاز في التّعبير القرآنيّ أنه يستخدم ألفاظا وتعبيرات معروفة مألوفة، يستخدمها الأدباء البلغاء من البشر،ولكن هذه الألفاظ تبقى ألفاظا جامدة عند البشر،وتدلّ على معانيها دلالة ذهنية عقلية،أو تتحوّل إلى صور ولكنّها

باهتة،أما عندما تتناولها الريشة القرآنيّة المعجزة،فإنها سرعان ما تدبّ فيها الحياة الشاخصة والحركة المتجدِّدة، وتتحوّل إلى ألفاظ وتعبيرات ذات أرواح،فترسم بها هذه الريشة الصّور والمشاهد والمناظر،فتأتي صورا شاخصة ومشاهد حية ومناظر متحركة (إنها الحياة هنا و ليست حكاية الحياة)(1).. فلا ضير ولا خطر في أن يكون التّصوير الفنّيّ في مستوى الصّنعة البشرية ثم يتفرد في القرآن الكريم حتىّ يصل إلى مستوى الإعجاز." (2).

ويقول محمد بركات في دراسة مختصرة لأسلوب الالتفات بين ثلاثة كتب (3):"يلاحظ على الكتب الثّلاثة أنها اتفقت على أهمية الالتفات وبلاغته، وأجمعت على تنوّع أقسامه، وربط ذلك بالمعنى والأسلوب والنّظم والأثر النّفسي، وجماع ذلك كلّه إبراز الإعجاز القرآنيّ الكريم."(4).

ولأجل ذلك وجب التّركيز على الجانب الإعجازي في القرآن الكريم بشقّيه النّظمي والتّصويري والعناية به في الدِّراسات القرآنيّة، لأنه مطيّة الوصول إلى النّفوس وبلوغ أعماقها والتأثير فيها، والقرآن إنّما جاء ليخاطب عقولا وأرواحا ونفوسا بشرية، باختلاف تصوراتها وتقلباتها وانحرافاتها.

ويقول السّكاكي مبيِّنا أن لا سبيل إلى إدراك أسرار القرآن إلا بالإخلاص والتمكّن من علم البلاغة:"واعلم أن مستودعات فصول هذا الفنّ لا تتّضح إلا باستبراء زناد خاطر وقّاد، ولا تنكشف أسرار جواهرها إلا لبصيرة ذي طبع نقّاد، ولا تضع أزمَّتها إلا في يد راكض في حلبتها إلى أنأى مدى، باستفراغ طوق متفوِّق أفاويق استثباتها بقوّة فهم، ومعونة ذوق مولع من لطائف البلاغة بما تؤثرها القلوب بصفايا حبّاتها، وتنثر عليها أفئدة مصاقع الخطباء خبايا محبّاتها، متوسّل بذلك أن يتألّق في وجه الإعجاز في التّنزيل، متنقِّلا مما أجمله عجز المتحدِّين به عندك إلى التفصيل، طامع من ربِّ العزّة والكبرياء في المثوبة الحسنى، والفوز عنده يوم النّشور بالذّخر الأسنى."(5).

---

(1) العبارة التي بين قوسين هي من كلام سيد قطب. ينظر: التصوير الفني في القرآن:سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة، 1982م: ص 36.

(2) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988م: ص 293-294 (بتصرف يسير). وليراجع تفسير سيد قطب لقوله- تعالى-:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ..) سورة يونس / الآيتان22-23، وهو من أشهر ما يمثل به للالتفات، و هو يصور مشهد السفينة و أهلها في البحر، بأسلوبه المبدع الفريد المتميز! ينظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة الثّانية عشرة، 1406هـ-1986م:ج 3 / ص 1773-1774. و لا شك أن مع ذلك الجمال في التّصوير يكون الغرض البلاغي والمقصد من الالتفات– و إن لم يذكره سيد قطب – إلى الغيبة بعد الخطاب أشدّ وقعا و أسرع نفاذا إلى النّفس.

(3) هي : "البديع" لابن أبي الأصبع ، و "البرهان في علوم القرآن " للزركشي و "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي.

(4) دراسات في البلاغة : ص 162.

(5) مفتاح العلوم : ص 356.

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل

التفـات متّفـق عليه ودلالاته

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: دلالات فيها معنى التّرغيب والاعتناء بالأمر.

المبحث الثّاني: دلالات فيها معنى التّرهيب وتهويل الأمر.

المبحث الثّالث: دلالات أخرى.

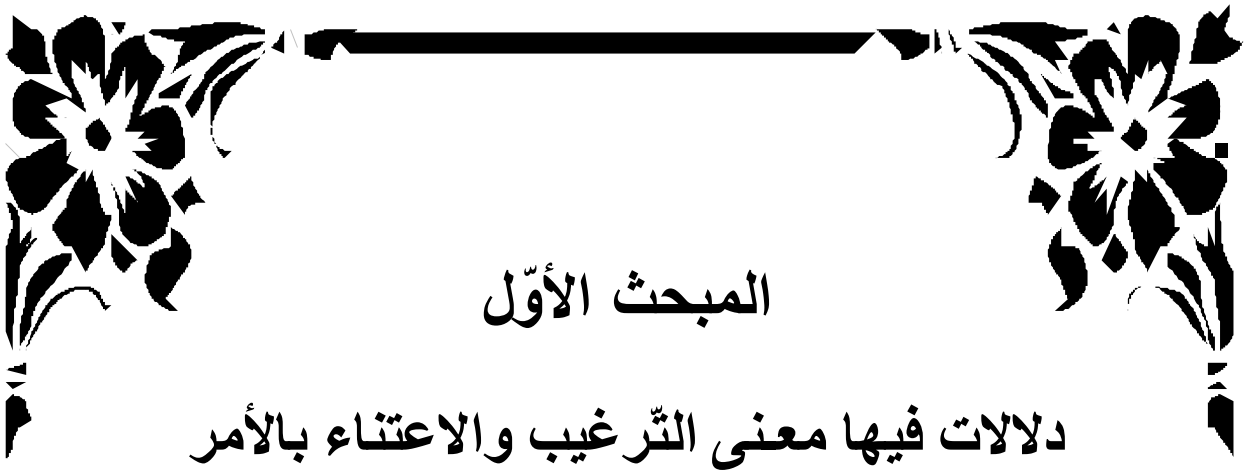

المبحث الأوّل

دلالات فيها معنى التّرغيب والاعتناء بالأمر

- الحثّ على الفعل والاستمالة إليه والعناية بمضمون الكلام.

- ترغيب النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم- وحثّه على الفعل.

ـ بيان العظمة والقدرة والاختصاص وكمال العناية بالفعل.

1ـ لحثٌ على الفعل والاستمالة إليه والعناية بمضمون الكلام:

في القرآن الكريم مواضع كثيرة وقع الالتفات فيها دالاً على التّرغيب في الفعل والاستمالة إليه ووجوب الاعتناء به، منها:

1ـ قوله ـتعالى ـ :(وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ)(1)

الالتفات هو في قوله ـ سبحانه ـ :(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ) إلى الغيبة، من التّكلّم في (جَعَلْنَا) من قوله: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)(2)، لتأكيد وجوب الاعتناء بخلق اللّيل والنهار والشمس و القمر. (3)

2ـ قوله ـ تعالى-:(وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٌ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةً وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾) (4)

قوله ـ سبحانه ـ :(الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) استئناف مسوق لتعليل الأمر في الآية بالصّلاة على تلك الكيفية، والخطاب في (تَغْفُلُونَ) للفريقين والنّبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، و فيه التفات من الغيبة، أي: تمنّوا أن ينالوا منكم غرّة، و ينتظروا الفرصة فيشدّون عليكم شدّة واحدة. (5)

وفي ذلك تنبيه على و جوب الاعتناء بأمر الحيطة و الحذر في الحرب، يقول سيد قطب :" و الأمرالثّانيالذي يلفت النّظر في النّص هو التّعبئة الرّوحية الكاملة تجاه العدوّ.. وهذا الحذر الذي يوصى به المؤمنون تجاه عدوّهم الذي يتربّص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم و أمتعتهم، ليميل عليهم ميلة واحدة! و مع هذا التّحذير و التّخويف، التّطمين و التّثبيت، إذ يخبرهم أنهم يواجهون قوما كتب الله عليهم الهوان﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ .و هذا التقابل بين التّطمين و التّحذير؛ و هذا التوازن بين استثارة حاسة

---

(1) سورة الأنبياء / الآية 33.
(2) سورة الأنبياء / الآية 32.
(3) ينظر: روح المعاني: ج17 / ص 39.
(4) سورة النساء / الآية 102.
(5) ينظر: تفسير أبي السعود:ج2/ ص 227، و روح المعاني:ج5 / ص 136.

الحذر وسكب فيض الثقة، هو طابع هذا المنهج في تربية النّفس المؤمنة والصّف المسلم، و في مواجهة العدوّ الماكر العنيد اللئيم ! " (1)

3- قوله – تعالى-:﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ **(2)**

يستنكر الله- تعالى- على اليهود ويتعجّب من حسدهم النّبيَّ- صلّى الله عليه وسلّم- على ما رزقه من النّبوة العظيمة، فمنعهم حسدُهم ذلك من تصديقه، لأنه من العرب وليس من بني إسرائيل؛ ثم يخبر- سبحانه-متكلّما بنون العظمة، بعد الغيبة في:(عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ)، أنه قد جعل في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزل عليهم الكتب وجعل منهم الملوك، فمنهم من آمن بهذا الإنعام والإيتاء ومنهم من كفر به وصدّ عنه،فلِمَ الحسد وقد آتاكم كلّ ذلك؟ (3)

يقول سيد قطب:" إنه لمن ألأم الحسد أن يَحسُد ذو النِّعمة الموهوب!لقد يَحسدُ المحرومُ ويكون الحسد فيه رذيلة!أما أن يحسد الواجدُ المغمورُ بالنِّعمة،فهذا هو الشّرّ الأصيل العميق!شرّ يهود! المتميز الفريد!"(4)

يقول الألوسي (5):" ﴿فَقَدْ آتَيْنَا﴾ تعليل للإنكار والاستقباح وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر.." (6)

4- قوله – تعالى-:﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ **(7)**

يلتفت الله-عزوجل- إلى المشركين مخاطبا إياهم بأنه لا ينقاد لمقالتكم ولما أنتم عليه من الضلالة والعبادة

---

(1) في ظلال القرآن: ج2 / ص 748.
(2) سورة النساء / الآيتان 54-55.
(3) ينظر: تفسير ابن كثير:ج2 / ص 198.

(4) في ظلال القرآن: ج2 / ص 683 .
(5)هو أبو الثّناء السيّد محمود شهاب الدين الألوسي، ولد في الكرخ ببغداد سنة 1217هـ، نبغ في كثير من العلوم حتى صار علامة القطر العراقي. توفي سنة1270هـ ببغداد. و له عدّة مؤلفات منها تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". ينظر: بحوث في أصول التفسير: ص 157.
(6) روح المعاني: ج3 / ص 57. والكلام نفسه أورده أبو السعود .ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 181. كما أن في هذا الالتفات-من الغيبة إلى التّكلّم- إشارة أخرى هي، بالإضافة إلى إنكار حسدهم النّبيّ – عليه السّلام -والعناية بأمر نبوته ، اختصاصه – سبحانه – بأمر اصطفاء الأنبياء، فهو الملك العزيز الحكيم ، يصطفي من الملائكة رسلا ومن النّاس، و إليه وحده مرجع ذلك .
(7) سورة الصافات / الآيات 161-163.

الباطلة إلا من هو أضلّ منكم ممن ذرئ للنار، وذلك بعد الإخبار عنهم وما جعلوه من مصاهرة بينه- سبحانه-و بين الجنّة وما نسبوه إليه من ولد، ونزّه- سبحانه- نفسه منه وحقّق براءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم بقوله:(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ *إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ)(1)، و في الالتفات إلى الخطاب إظهار لكمال الاعتناء بمضمون الكلام وتأكيد على تحقيقه. (2)

5- قوله- تعالى- :(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ)(3)

وهو في خصوص الميثاق الذي أخذه الله- تعالى- على بني آدم و هم في صلب أبيهم آدم- عليه السّلام- قبل أن يخلقوا. روى الإمام أحمد أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم – سئل عنها فقال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ- عَلَيْهِ السّلام ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِه بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَةً، قَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلْجَنَّةِ وَ بِعَمَل أَهْل الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَةً، قَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلنَّار وَبِعَمَل أَهْل النَّار يَعْمَلُونَ.فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-إِذَا خَلَقَ اللهُ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اِسْتَعْمَلَهُ بِأَعْمَال أَهْل الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَال أَهْل الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ بِهِ الجَنَّةَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّار اِسْتَعْمَلَهُ بِأَعْمَال أَهْل النَّار حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَال أَهْل النَّار فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ.» (4).

وفي الآية التفات من التّكلّم بنون العظمة في (آتَيْنَاكُمْ) من قوله- سبحانه- :(وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (5)، إلى الغيبة في(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ) بإيراد لفظ "الرّب"مضافا إلى ضمير الخطاب العائد إلى النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-.

وفائدة هذا الالتفات هي الاعتناء بشأن الميثاق المأخوذ لما فيه من الإنباء عن الاجتباء والاصطفاء ، وهو السّبب في إسناده إلى اسم "الرّب"، مع ما فيه من التّمهيد للاستفهام الآتي، و إضافته إلى ضميره- عليه السّلام- للتّشريف. (6)

ويمكن القول أيضا بأنه لما كان أخذ الميثاق من بني آدم بعد خلق أبيهم آدم- عليه السّلام-، وبعد ــــــــ

(1) سورة الصافات / الآيات 158-160.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: ج6 / ص 24– 25، و تفسير أبي السعود: ج7 / ص 209، و روح المعاني: ج23 / ص 154.
(3) سورة الأعراف / لآية 172.
(4) مسند الإمام أحمد:أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، (د/ط،ت):ج1 / ص 44، رقم :311. و صحّحه الألباني. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعةالثّانية، 1414هـ: ص 48.
(5) سورة الأعراف / الآية 171.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 300.

إخراجهم من صلبه ونثرهم بين يديه على هيئة الذّر كما ثبتت بذلك الأحاديث، ولمّا كان الخلق من معاني الرّبوبية ناسب إيراد لفظ " الرّب"، لأن الرّب هو السّيد، وعلى العبد أن يرعى الميثاق الذي بينه وبين سيّده. (1)

و لعلّ في إضافة كاف الخطاب للفظ "الرّب" زيادة على تشريفه- عليه السّلام– إيماءً بأن الذي اجتبى واصطفى للجنة أهلها وللنار أهلها يوم أخذ الميثاق هو نفسه–سبحانه– من اجتباك واصطفاك نبيّا ورسولا.

6– قوله– تعالى-:(أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾) (2)

في قوله- سبحانه– (وَأَنْ تَصُومُوا) التفات إلى الخطاب من الغيبة في(فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ)، أي: أن تصوموا أيها المطيقون المقيمون الأصحاء، أو المطوّقون من الشيوخ والعجائز وقد حملتم على أنفسكم وجهدتم طاقتكم، أو المرخّصون في الإفطار من المرضى والمسافرين، فهو خير لكم من الفدية وتطوع الخير وهو الزيادة على مقدار الفدية، أو منهما ومن التأخير للقضاء. ودلالة هذا الالتفات هي الحثّ على الصّوم وهزّ المخاطبين وتنشيطهم له، وجبر كلفة الصيام بلذة المخاطبة. (3)

7- قوله-تعالى-:(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾) (4)

الخطاب في الآية الكريمة، من الله- تعالى-، للمأمورين بالقتال في الآية التي سبقتها، و هي قوله- تعالى:
فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (5)، و هم المؤمنون، وقيل المنافقون. (6)
وسواء أريد بهم المؤمنون أو المنافقون،فإن في العدول عن الغيبة إلى الخطاب تحريضا على القتال وتأكيدا

---

(1) ينظر: روح المعاني: ج9 / ص 100.
(2) سورة البقرة / الآية 184.

(3) ينظر: الكشاف: ج1 /ص 335، و تفسير أبي السعود: ج1 / ص199، و روح المعاني: ج2 / ص 59. و قرأ أبَيّ:" والصَّوْمُ خَيْرٌ لَكُمْ". ينظر: تفسير البحر المحيط : ج2 / ص 44. و جعل الزّمخشري قراءته : "وَ الصِّيَامُ خَيْرٌ لَكُمْ". ينظر: الكشاف: ج1 / ص 335.
(4) سورة النساء / الآية 75.
(5) سورة النساء / الآية 74.
(6) ينظر: تفسير السمرقندي(بحر العلوم): نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت): ج1 / ص 311.

لوجوبه، و ليس ذلك وحسب، بل ومبالغة فيه.(1)

8- قوله- تعالى-:(فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾) (2)

موضع الالتفات هو في قوله-سبحانه- :(نُؤْتِيهِ)، إلى التّكلّم بنون العظمة من الغيبة في قوله:(فِي سَبِيلِ اللَّهِ). و النّكتة فيه توجيهُ العناية إلى أمر القتال في سبيل الله والحثّ عليه والتّرغيب فيه. كما فيه إشارة إلى تكذيب أولئك المبطئين والمتثاقلين الذين سبق الإخبار عنهم في قوله-تعالى-:(وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً) (3)، وأن الله قد وعد من قتل في سبيل الله، كما وعد من عاد غانما بالأجر العظيم، والمعنى: وإن بطأ هؤلاء عن القتال في سبيل الله فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب الآخرة. (4)

9- قوله – تعالى-:(يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾) (5)

في نداء أهل الكتاب من اليهود والنّصارى التفات إلى خطابهم، بعد الإخبار عنهم في:(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(6)،وبيّن أحوالهم وقبائحهم،استمالة لهم إلى الإصغاء ودعوة لهم إلى الإيمان بالرّسالة.(7)

---

(1) ينظر: فتح القدير الجامع بين فنيّ الرّواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت): ج1 / ص 487، و تفسير أبي السعود: ج2 / 201.
(2) سورة النساء / الآية 74.
(3) سورة النساء / الآية 72.
(4) ينظر: تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل و أسرار التأويل): عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: عبد القادر حسونة، دار الفكر، بيروت/ (د.ط)، 1416هـ- 1996م: ج2 / ص 218، و روح المعاني: ج5 / ص 81.
(5) سورة المائدة / الآيتان 15– 16.
(6) سورة المائدة / الآيتان 13-14.

(7) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 17، و روح المعاني: ج6 /ص 96. و ذكر أبو حيان أنه قيل أن الخطاب لليهود خاصّة ولا يمنع القول بالالتفات لسبق التّعبير عنهم . ينظر: تفسير البحر المحيط: ج3 / ص 463.

10- قوله- تعالى-:(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩)(1)

والقول في هذا المثال كالقول في سابقه، ففي قوله- عز وجل-:(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) التفات إلى خطاب أهل الكتاب، اليهود والنّصارى، من الغيبة في قوله- سبحانه-:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) (2) وذلك تلطفا بهم في الدعوة واستمالة لهم إلى الإسلام.(3)

11- قوله- تعالى-:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١) (4)

في الآية التفات إلى الخطاب في قوله- تعالى-(يَا أَيُّهَا النّاس)، بعد الغيبة، إذ بعد أن بيّن-عزّ و جلّ- في الآيات قبلها فرق المكذّبين، وقسّم النّاس إلى مؤمنين وكفار ومنافقين مذبذبين، أقبل عليهم بالخطاب، هزّاً لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي.(5)

وأضاف الرّازي ثلاث فوائد أخرى هي: أوّلا: حصول شرف المخاطبة والمكالمة للإنسان بمباشرة الله – تعالى- له بالخطاب زيادة في إكرامه وتقريبه، بعد أن خاطبهم بواسطة نبيّه – عليه السّلام - .

ثانيا:بيان أن العبد إذاكان مشتغلا بالعبودية فإنه يكون أبدا في الترقي بدليل الانتقال من الغيبة إلى الحضور.

ثالثا: أن الآيات المتقدّمة كانت في حكاية أحوالهم، وأما هذه الآيات فإنها أمر وتكليف، ففيه كلفة ومشقة، ولا بد من راحة تقابل هذه الكلفة،وتلك الراحة هي أن يرفع ملكُ الملوك تلك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته، كما أن العبد إذا ألزم تكليفا شاقّا فلو شافهه المولى وقال: أريد منك أن تفعل كذا، فإنه يصير ذلك الشّاقُّ لذيذا لذلك الخطاب. (6)

ورأى الزّمخشري أن الخطاب خاصٌّ بمشركي مكّة وإن كان ظاهره العموم، بناء على القول بأن كل خطاب فيه(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهو مدني وإن نزل بغير المدينة،وكل خطاب فيه(يَا أَيُّهَا النّاس)فهو مكّيّ

---

(1) سورة المائدة / الآية 19.

(2) سورة المائدة / الآية 18.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود :ج3 / ص21، و قيل الخطاب خاص باليهود. ينظر:روح المعاني: ج6 / ص 103، و تفسير البحر المحيط : ج3 / ص467، و هو لا يمنع من القول بالالتفات لسبق التّعبير عنهم.

(4) سورة البقرة / الآية 21.

(5) ينظر: الدّر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1993م:ج1 / ص 84، و تفسير أبي السعود:ج1 / ص 58، و روح المعاني: ج1 / ص 97.

(6) ينظر: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب): محمد بن عمرو أبو عبد الله فخر الدين الرّازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعةالثّالثة، (د.ت): ج2 / ص 82.

وإن نزل بغير مكّة.(1) و لا التفات على هذا القول وإن كان المشركون داخلين في عموم الكفار المخاطبين في الآيات قبلها. (2)

12- قوله-تعالى-:(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾) (3)

في قوله-سبحانه:(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) التفات إلى الغيبة من التّكلّم، وقد كان مقتضى الظاهر أن يقال: (فآمنوا باللهِ وبِي).و النّكتة في ذلك هي المبالغة في الحثّ على الإتباع ووجوب الامتثال للرّسول– صلّى الله عليه وسلّم– بوصفه رسولا نبيّا، ودفع التّهمة عن نفسه بالعصبية لها، و هو معنى إضافي.

يقول النّسفي(4) :" لم يقل:(آمِنُوا بِاللَّهِ وَبي)، بعد قوله:(إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) لتجري الصفات التي أجريت عليه، ولما في الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشّخص الموصوف بأنه النّبيّ الأمّيّ الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري، إظهارا للنّصفة وتفاديا للعصبية."(5).

13- قوله- تعالى-:(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾) (6)

قال– سبحانه-:(وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ)، و مقتضى الظاهر أن يقال: (وَأَطِيعُونِي). فعدل عن التّكلّم إلى الغيبة بإيراد لفظ "الرّسول"حثّاً على الطاعة و بيانا لعلتها وهي كونه رسولا، و دفعا للتّهمة عنه –صلّى ——

(1) ينظر: الكشاف و حاشية السيد الشريف الجرجاني عليه : ج1 / ص 224.
(2) ونسب أبو حيان القول بعموم الخطاب للجميع إلى ابن عباس، بينما نسب القول باختصاصه بمشركي مكة إلى السّدّي ، و ذكر أن الحسن ومجاهد ذهبا إلى كونه لليهود خاصّة ، وأن مقاتل اختار كونه لهم وللمنافقين ، واختار قول ابن عباس على سبيل الالتفات فيه. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج1 / ص232.
(3) سورة الأعراف / الآية 158.
(4) هو أبو البركات، أحمد بن محمود النّسفي حافظ الدين، إمام في جميع العلوم، كتب في الأصول والفقه والتفسير، تفقه على شمس الأئمة الكردري. من مصنفاته: "المدارك في التفسير"و " كنز الدقائق "و "المنار في أصول الفقه " و " العمدة في أصول الدين ". توفي سنة 710هـ ببغداد .ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي : ج1 / ص 263، و أبجد العلوم: ج3 / ص 119.
(5) تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أحمد بن محمد النسفي، دار النفائس، (د/م.ط.ت) :ج2 / ص 41، و لينظر: روح المعاني:ج9/ص 83، والمثل السّائر:ج2/ص 182. وقال السّيوطي في فائدة الانتقال من الغيبة إلى التّكلّم عموما :" و وجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلّم وقصده من السامع حضر أو غاب،وأنه ليس في كلامه ممن يتلوّن أو يتوجّه أو يبدي في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور". ينظر: الإتقان في علوم القرآن :ج2 / ص 109، و قد ذكر قبله الزّركشي المعنى نفسه. ينظر:البرهان في علوم القرآن:ج3/ص 316-317.
(6) سورة النور / الآية 54.

الله عليه وسلّم- بالتعصّب. يقول الألوسي:"وفي تكرر فعل الإطاعة والعدول عن (أَطِيعُونِي) إلى(أَطِيعُوا الرَّسُولَ) ما لا يخفى من الحثّ على الطاعة، وإطلاقها عن وصف الصّحة والإخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم – أي المنافقون – بما تقدم من أنها معروفة(1) للتنبيه على أنها ليست بشيء."(2)

2– ترغيب النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– وحثّه على الفعل: و من المواضع التي وقع الالتفات فيها دالاً على ذلك:

1- قوله – تعالى-:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ (3)

التفت الله – تعالى – عن التّكلّم بنون العظمة في قوله﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾إلى الغيبة في﴿لِرَبِّكَ﴾ بإيراد لفظ الرّبوبية مضافا إلى ضميره – عليه السّلام-، ومقتضى الظاهر قول:﴿فَصَلِّ لَنَا وَانْحَرْ﴾، للدّلالة على التّأكيد في ترغيبه–عليه السّلام– في أداء ما أمر به على الوجه الأكمل، شكرا للمنعم على امتنانه.(4)

قال ابن عاشور:" و العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ دون ﴿فَصَلِّ لَنَا﴾ لما في لفظ "الرّب" من الإيماء إلى استحقاق العبادة لأجل ربوبيته فضلا عن فرط إنعامه. وإضافة لفظ "الرّب" إلى ضمير المخاطب لقصد تشريف النّبيّ– عليه السّلام– وتقريبه، وفيه تعريض بأنه يربُّه ويرأف به." (5)

كما أن في الأمر مع الالتفات إيحاء بوجوب تخصيص الله الواهب الرازق بالصّلاة والنحر، والإخلاص له في ذلك. يقول ابن كثير فيما نقله عن ابن جرير(6) بعد إيراده الأقوال في معنى الآية:"والصواب قول من قال: إن معنى ذلك:فاجعل صلاتك كلّها لربّك خالصا دون سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصك به. وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرضي(7) وعطاء (8)." (9).

---

(1) و ذلك في قوله-تعالى-:﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾ سورة النور/ الآية 53.

(2) روح المعاني: ج18 / ص 20.

(3) سورة الكوثر.

(4) ينظر: روح المعاني: ج30 / ص 247.

(5) تفسير التحرير و التنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): أ. الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م: ج 30 / ص572.

(6) ينظر: تفسير الطبري: ج30 / ص 328.

(7) هو أبو حمزة، محمد بن كعب بن سليم، القرظي المدني، التابعي. ولد سنة 40هـ، سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة، عالم ثقة حجة، روى عنه الجماعة. توفي بالرّبذة سنة 120هـ ، و قيل قبل ذلك. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن الزّكي عبد الرحمان المزي، دار الفكر، بيروت،لبنان، (د /ط.ت): ج16 / ص 298-303.

(8) هو أسلم بن أبي رباح،ولد بالجند ونشأ بمكة،كان عالما بالقرآن ومعانيه.توفي سنة 115هـ.ينظر:طبقات المفسرين الأدنروي:ج1/ص14.

(9) تفسير ابن كثير:ج7 /ص 108، و قد نقل عن ابن عباس أنها نزلت في العاص بن وائل الذي كان إذا ذكر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة.و قال قوم: إنها نزلت في أبي جهل. و قال =

2 – قوله– تعالى-:﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ (1)

في السّورة التفات في قوله– سبحانه-﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ إلى الغيبة، من التّكلّم بنون العظمة، بالعدول إلى إيراد لفظ "الرّب" مع الاستمرار على خطاب النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم-، ومقتضى الظاهر قول: ﴿وَ إِلَيْنَا فَارْغَبْ ﴾؛ و ذلك للدّلالة على وجوب تخصيصه–

سبحانه– وحده دون غيره بالرّغبة إليه مع حثّه عليها، بعد قوله:(فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ)، أي: فلتجتهد ولتتعب في العبادة بعد فراغك من أمورك وأشغالك الدينية والدنيوية، ولتكن رغبتك ونيتك وعبادتك لربّك خصوصا الممتنّ عليك بتلك النّعم العظيمة الجليلة والتي هي منه وبيده وحده– سبحانه-؛ والذي قوى هذا التخصيص تقديم (إِلَى رَبِّكَ)، والأصل:(فَارْغَبْ إِلَى رَبِّكَ).(2)

3 – بيان العظمة والقدرة والاختصاص وكمال العناية بالفعل : وهي من الدّلالات التي خدمها أسلوب الالتفات في القرآن بقوّة، و من أمثلة ذلك:

1- قوله – تعالى-:(وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩) (3)

في الآية التفات من الغيبة في قوله– تعالى–:(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ) إلى التّكلّم في قوله:(فَسُقْنَاهُ). والنّكتة فيه هي أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميّت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدّلائل على القدرة الباهرة، قال:(سُقْنَا)و(أَحْيَيْنَا) معدولا بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه.(4)

وقال الرّازي:"قال:(أَرْسَلَ) إسنادا للفعل إلى الغائب، وقال(سُقْنَاهُ) بإسناد الفعل إلى المتكلّم وكذلك في قوله:(أَحْيَيْنَا)، وذلك لأنه في الأوّل عرّف نفسه بفعل من الأفعال، وهو الإرسال، ثم لماّ عرّف قال: أنا الذي عرفتني سقتُ السّحاب وأحييتُ الأرض، ففي الأوّل كان تعريفا بالفعل العجيب، وفي الثّاني كان تذكيرا بالنّعمة، فإن كمال نعمة الرّياح و السّحب بالسوق والإحياء. وقوله (سُقْنَاهُ) و(أَحْيَيْنَا) بصيغة _____

= آخرون:بل في عقبة بن أبي معيط. ينظر:تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق:أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعةالثّانية،1372هـ:ج20/ص222-223، والدّر المنثور في التفسير بالمأثور:ج8 /ص651-653.

(1) سورة الشرح.

(2) يراجع هذا المعنى في:تفسير الطبري:ج30/ص237، والكشاف:ج4/ص268،وفتح القدير:ج5/ص462،وروح المعاني:ج30/ص172.

(3) سورة فاطر / الآية 09.

(4) ينظر: الكشاف: ج3 / ص301-302، و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 329.

الماضي يؤيد ما ذكرناه من الفرق بين (أَرْسَلَ) وقوله (تُثِيرُ)."(1).

و يتردّد هذا المشهد في معرض دلائل الإيمان الكونية في القرآن، و هو دليل واقعي ملموس لا سبيل إلى المكابرة فيه،فالذي يقدر على إرسال الرّياح وإثارة السّحب وسوقها إلى حيث يشاء لأحياء الأرض الموات، قادر على إحياء الموتى بعد موتهم ولا يعجزه شيء؛ وهو مشهد يهزّ القلوب حين تتملاّه، و يلمس المشاعر لمسا موحيا حين تتّجه إلى تأمّله، ولذلك ناسب الإتيان بما يدلّ على هذه القدرة وذلك الاختصاص فكان العدول عن الغيبة إلى التّكلّم.(2)

2-قوله- تعالى-:(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ

وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨) (3)

والالتفات في هذا الموضع-كما في السّابق- من الغيبة إلى التّكلّم: الغيبة في قوله- سبحانه-أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ) والتّكلّم في (أَخْرَجْنَا). دلالته بيان العظمة والقدرة وبديع الصنعة وكمال العناية بذلك.

يقول الشوكاني:"ذكر – سبحانه- نوعا من أنواع قدرته الباهرة وخلقا من مخلوقاته البديعة، فقال:(أَلَمْ تَرَ) والخطاب لرسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- أو لكل من يصلح له،(أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) وهذه الرؤية هي القلبية، أي ألم تعلم، وأن واسمها وخبرها سدّت مسدّ المفعولين، (فَأَخْرَجْنَا بِهِ) أي: الماء. والنّكتة في هذا الالتفات إظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنّع البديع .." (4)

و ذكر الرّازي في فائدة هذا الالتفات ثلاثة وجوه: (5)

الأول: أن الجاهل إن سئل عن نزول الماء قال:هو بالطّبع. و أما الإخراج فإنه لا يمكنه أن يقول فيه هو بالطّبع، فهو بإرادة الله، فلمّا كان ذلك أظهر أسنده إلى المتكلّم.

الثّاني: هو أن الله – تعالى- لمّا قال:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ) علم الله قرب المتفكّر فيه فصار من الحاضرين فقال له: (فأخرجنا) لقربه.

الثّالث:أن الإخراج أتمّ نعمة من الإنزال،لأن الإنزال لفائدة الإخراج،فأسند الأتمّ إلى نفسه بصيغة المتكلّم

---

(1) التفسير الكبير: ج26 / ص 227.
(2) ينظر: في ظلال القرآن: ج5 / ص 2928، و ما كتب سيد قطب في تصوير هذا المشهد.
(3) سورة فاطر / الآيتان 27– 28.
(4) فتح القدير: ج4 / ص 347-348.
(5) ينظر: التفسير الكبير: ج26 / ص 20.

وما دونه بصيغة الغائب.(1)

يقول سيد قطب(2) وهو يصوِّر بديع صنع الله من خلال هذه الآية:" إنها لفتة كونية عجيبة من اللّفتات الدّالة على مصدر هذا الكتاب.لفتة تطوف في الأرض كلّها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها، في الثمرات وفي الجبال وفي النّاس وفي الدواب والأنعام..لفتة تجمع في كلمات قلائل بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعا،وتدع القلب مأخوذا بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعا."(3)، إلى أن قال بعد أن تحدّث عن إنزال الماء من السماء، وإخراج الثّمرات المختلفات الألوان، والجبال واختلاف ألوانها وطرائقها وصخورها، واختلاف ألوان النّاس والدواب والأنعام..:"وهذه الصفحات التي قلّبها في هذا الكتاب هي بعض صفحاته، والعلماء هم الذين يتدبّرون هذا الكتاب العجيب، ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية، يعرفونه بآثار صنعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه،ومن ثم يخشونه حقّا ويتقونه حقّا، ويعبدونه حقّا. لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون، ولكن بالمعرفة الدقيقة والعلم المباشر.."(4)

3- قوله – تعالى-:(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾) (5)

والالتفات في هذا النّص أيضا من الغيبة في (أَنزَلَ) و(أَمَّنْ خَلَقَ) إلى التّكلّم بنون العظمة في (أَنبَتْنَا). يقول الزّمخشري عن نكته ودلالته:" فإن قلت: أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التّكلّم عن ذاته في قوله: (فَأَنبَتْنَا)؟ قلت: تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها، بماء واحد، لا يقدر عليه إلا هو وحده، ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله: (مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا) ومعنى الكينونة الانبغاء، أراد أن تأتّي ذلك محال من غيره، وكذلك قوله (بَلْ هُمْ) بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم."(6).

---

(1) أورد أبوحيان في فائدة هذا الالتفات الوجه الأخير، إضافة إلى دلالته على الفخامة والعظمة. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج1 / ص296.

(2) هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم، ولد سنة 1906م بمصر. نفّذ في حقّه حكمٌ بالإعدام سنة 1966م أيام حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، بسبب كتاباته ونشاطه الدعوي ضمن حركة الإخوان المسلمين. من أشهر مؤلفاته: "في ظلال القرآن" و "معالم في الطريق " الذي كان السبب في إعدامه، و " التصوير الفني في القرآن " و " مشاهد يوم القيامة ". ينظر: مباحث في أصول التفسير: ص 61-62.

(3)،(4) في ظلال القرآن : ج5 / ص 2942-2943، و قد بيّن الجانب الفني الجمالي في هذا التصوير لهذه اللفتات الكونية.

(5) سورة النمل / الآيتان 59-60.

(6) الكشاف: ج3 / ص 154-155. و ينظر أيضا: تفسير النسفي: ج3 / ص 218-219 ، و تفسير أبي السعود :ج6 / ص 293.

وأضاف الرّازي نكتة أخرى لهذا الالتفات هي دفع شبهة إسناد الإنبات للإنسان. يقول:"يقال: ما حكمة الالتفات في قوله: (فَأَنبَتْنَا)؟ جوابه: إنه لا شبهة للعاقل في أن خالق السموات ومنزل الماء من السماء ليس إلا الله – تعالى– و ربما عرضت الشبهة في أن مُنبت الشجرة هو الإنسان، يقول: أنا الذي ألقي البذر في الأرض الحرة وأسقيها الماء وأسعى في تشميسها، وفاعل السبب فاعل للمسبّب فإذن أنا المنبت للشجرة. فلما كان هذا الاحتمال قائما لا جرم ، أزال هذا الاحتمال فرجع من لفظ الغيبة إلى قوله: (أنبَتْنَا) لأن الإنسان قد يأتي بالبذر والسقي والتشميس، ثم لا يأتي على وفق مراده فإنه يكون جاهلا بطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها، فلهذه النّكتة حسن الالتفات هنا." (1)

ففي الآية إذا التفات أول من الغيبة إلى التّكلّم مفاده تأكيد معنى الاختصاص بالقدرة ، وثان من التّكلّم إلى الغيبة في (أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ) والظاهر أن يقال: (أَإِلَهٌ مَعَنَا) أو (أَإِلَهٌ مَعِي) وفي العدول إلى إظهار الاسم الجليل الجامع لجميع أوصاف الألوهية تربية مهابة وزيادة تبكيت وإلزام بالحجة، بمعنى: أتجدون لله الذي له هذه القدرة والعظمة في الخلق والإبداع نظيرا أو مثيلا فتعبدونه معه أو من دونه؟. (2)

4- قوله – تعالى-:(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩) (3)

وفي هذا الموضع أيضا التفت من الغيبة في (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ)إلى التّكلّم في(أَخْرَجْنَا). وعن النّكتة في ذلك يقول الألوسي:"(أَخْرَجْنَا) عطف على (أَنزَلَ)، والالتفات إلى التّكلّم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله، وذكر بعضهم نكتة خاصّة لهذا الالتفات غير ما ذكر، وهي أنه– سبحانه– لمّا ذكر فيما مضى ما ينبِّهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجّه إليه حتى يخاطَب، واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلّم وحده لإظهار كمال العناية، فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء ، أي كل صنف من أصناف النبات المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متزايدا في مراتب الزيادة والنقصان .." (4)

---

(1) التفسير الكبير: ج24 / ص206 .
(2) في الآية التفاتان آخران على قراءة أخرى. ينظر: الفصل الثّالث: المبحث الثّاني: ص 201.
(3) سورة الأنعام / الآية 99.
(4) روح المعاني: ج7/ ص 238. و ينظر أيضا: فتح القدير: ج2 /ص 144، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 166، و تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت): ج1 / ص 179. و لذات الدّلالة كان العدول من الغيبة إلى التّكلّم في الآيتين قبلها لبيان العظمة والقدرة واختصاصه – سبحانه- بما لا يشاركه فيه =

5- قوله – تعالى - : (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨) (1)

قال أبو السعود : " و الالتفات إلى نون العظمة في قوله –تعالى– (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)لإبراز كمال العناية بالإنزال، لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح، أي أنزلنا بعظمتنا بما رتّبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة." (2)

6- قوله – تعالى-:(أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ٤٥ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ٤٦) (3)

قال الألوسي:" و الالتفات إلى نون العظمة للإيذان بعظم قدر هذا الجعل لما يستتبعه من المصالح التي لا تحصى، أو لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الظل والشمس من الدوران المطّرد المنبئ عن السّببية من مزيد الدّلالة على عظم القدرة ودقّة الحكمة.(4)

يقول سيد قطب:".. مشهد متكرر يمرّ به النّاس غافلين كذلك، وفي تأمله وتتبّع حركته الوئيدة التي تكاد تتمّ في الخيال– وإن كانت معروضة في العيان – ما يلمس النّفس ويؤثر

في الوجدان، ويتيح الفرصة لألوان شتى من التأملات، ذلك منظر الظل الذي تلقيه الأجرام فيبدو ساكنا، و هو يتحرك ببطء لطيف﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾ وفي هذا المشهد جمال طبيعي يغري الخيال بالجولان، ويملي للخواطر في الهيمان، وكم من المشاهد المألوفة المكرّرة ما يبدو جديدا، كلّما تتملاّه العين أوّل مرّة ،حين تتجّه إليه بالحسّ الشّاعر المتفتّح، والعين المتيقّظة للألوان .." (5) ولاشك أن التّعبير بنون العظمة أبلغ في التأثير من الإخبار بالغيبة، وفيه زيادة جمال في التّصوير.

7- **قوله – تعالى–** :﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا

= أو يقدر عليه أحد غيره، فقال – سبحانه – في الآية / 97 ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فالتفت – سبحانه – عن الإخبار عن نفسه في :(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ) إلى التّكلّم بنون العظمة في﴿صَّلْنَا﴾، كما التفت أيضا في الآية / 98 ، و هي قوله – سبحانه –﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ من الغيبة في﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾إلى التّكلّم بنون العظمة أيضا في﴿صَّلْنَا﴾ .

(1) سورة الفرقان / الآية 48.

(2) تفسير أبي السعود:ج 6 / ص 224، و ينظر: روح المعاني: ج19 / ص 30، و جواهر البلاغة: ص 240.

(3) سورة الفرقان / الآيتان 45-46.

(4) روح المعاني: ج19 / ص 28، و يراجع: البرهان في علوم القرآن:ج3 / ص 323.

(5) التصوير الفني في القرآن:سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة، 1402هـ - 1982م: ص 69-70.

ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (1)

الالتفات في هذه الآية أيضا من الغيبة في (أَوْحَى) المعطوف على﴿قَضَاهُنَّ﴾ إلى التّكلّم بنون العظمة في (زَيَّنَا) للدّلالة– أيضا– على القدرة والاختصاص بالفعل، وهو هنا تزيين السّماء بالمصابيح أي النّجوم وجعلها حفظا؛إضافة إلى نكتة أخرى ذكرها ابن الأثير،هي أن فيه تقريرا للاعتقاد الصّحيح في أمر النّجوم، و الرّد على الطائفة التي تعتقد أن النّجوم ليست في السّماء الدنيا و أنها ليست حفظا ولا رجوما، فالعدول هنا إلى نون العظمة لأنه من مهمّات الاعتقاد، و فيه تكذيب للفرقة المكذّبة.(2)

يقول محمد قطب بخصوص هذه الآية، وهو يتحدّث عن تكرار الحديث عن خلق السموات والأرض في القرآن: "في النّص معلومات جديدة عن خلق السموات والأرض وأنهما مسخرتان بأمر الله، لا يحيدان عن أمره، وأن السّماء كانت في منشإ أمرها دخانا، وأن الله خلق من هذا الدّخان سبع سموات، ثم أوحى في كل سماء ما هي مخلوقة من أجله، وأمرها الذي قدّر لها أن تسير عليه، وأنه زيّن السّماء الدنيا بمصابيح – الشمس والقمر والنجوم – وأن بعض ما تشتمل عليه – وهو الشّهب – من مهامه حفظ السّماء من محاولات الشياطين استراق السمع والاطلاع على الغيب..وهكذا يتجدد العرض في كل مرة ويكون لخلق السموات والأرض في كل مرة شأن غير شأنها السّابق في النّص الآخر،فيتجدّد المشهد ويتجدّد التأثير، وينتنفي التّكرار الذي يؤدي إلى تبلّد الحسّ على المشهد المكرور!" (3)

ويبقى الالتفات في هذه الآيات وما يشبهها مما يجيء بدلائل الإيمان الكونية، الدّاعية إلى التفكّر والتدبّر، وإعمال العقل فيها بصدق، ليهتدي بها الكافر المكذب والمنكر الجاحد، إلى الله – تعالى- و يزداد المؤمن إيمانا وقربا منه- تعالى-، دالاّ على تخصيص الله –

تعالى– بالقدرة وأنه لا يقدر على مثل ذلك أحد، وإن اختصّ بعضها بلطائف بحسب السِّياق الذي وردت فيه،كما ذكر الزّمخشري(4)ونقله عنه السّيوطي(5).

❋ ❋ ❋

---

(1) سورة فصلت / الآية 12.
(2) ينظر: المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: ج2 / ص 176–177. و قد ذكر الزّركشي المعنى نفسه. ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 330.
(3) لا يأتون بمثله: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعةالثّانية، 1425هـ–2004م: ص59– 60.
(4) هو جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر بن أحمد، الزّمخشري،كان إماما في التفسير والنحو واللّغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متفننا في علوم شتى، معتزلي الاعتقاد، حنفي المذهب، ولد بزمخشر في خوارزم سنة 467 هـ ، و توفي بقصبة خوارزم سنة 538 هـ ، وقيل بجرجانيتها. من أشهر مؤلفاته : "أساس البلاغة " و "الكشاف في التفسير" و "الفائق في غريب الحديث" و"المفصل في علم النحو". ينظر: طبقات المفسرين للإمام السّيوطي: ص 120-121، و بحوث في أصول التفسير و مناهجه :ص 152-153.
(5) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 540، و الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110.

المبحث الثّاني

دلالات فيها معنى التّرهيب وتهويل الأمر

- تربية المهابة في النّفوس وتهويل الأمر.

- الإعراض والإسقاط عن رتبة الخطاب.

- الإنكار والتّوبيخ والوعيد.

- عتاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم-.

1- تربية المهابة في النّفوس وتهويل الأمر:

من المواضع في القرآن التي دلّ فيها الالتفات على تربية المهابة في النفوس وتهويل الأمر:

1- قوله – تعالى -: (وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤) (1)

وفيه التفات من التّكلّم بنون العظمة في قوله– سبحانه-(أَغْرَيْنَا) و(أَخَذْنَا) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في قوله– سبحانه- (يُنَبِّئُهُمْ الله) تربية للمهابة و إدخالا للروعة في نفوس أولئك النّصارى الذين أخذ منهم الميثاق فنسوا حظّا منه وتشديدا للوعيد عليهم. (2)

2-قوله– تعالى– :(وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ)(3)

عدل الله-تعالى– في قوله: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) إلى التّكلّم، عن الغيبة في قوله (إِنَّمَاهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) ومقتضى الظاهر قوله: (فَإِيَّاهُ فَارْهَبُوهُ)، وذلك تربية للمهابة وإدخالا للرّهبة في القلوب.

يقول الزّمخشري:"وهو أبلغ في الترهيب من قوله: (فَإِيَّاهُ فَارْهَبُوهُ)، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلّم، أي قول: (إِنَّمَا إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون)."(4).

ويقول الرّازي:"والتقدير أنه لما ثبت أن الإله واحد وثبت أن المتكلّم بهذا الكلام إله، فحينئذ ثبت أنه لا إله للعالم إلا المتكلّم بهذا الكلام، فحينئذ يحسن منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور ويقول: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُون). و فيه دقيقة أخرى و هي أن قوله: (فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) يفيد الحصر وهو ألا يرهب الخلق إلا منه و لا يرغبوا إلا في فضله وإحسانه."(5).

هذا إضافة إلى ما يفيده تقديم الضمير المنفصل وتكرير الفعل من الاختصاص. يقول أبو السعود: "(فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) التفات من الغيبة إلى التّكلّم لتربية المهابة وإلقاء الرّهبة في القلوب،ولذلك قدّم وكرّر الفعل، أي: إن كنتم راهبين شيئا فإيّاي فارهبوا لا غير، فإني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والأرض"(6). و هذا المعنى يخدمه أسلوب التّعبير كلّه، زاده الالتفات حسنا وبلاغة، فقد ابتدأ بالتقرير (وَقَالَ الله)، والتّكرير فأتبع – سبحانه– كلمة إلهين بكلمة اثنين وأتبع النّهي بالقصر(إِنَّمَاهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)، ________________

(1) سورة المائدة / الآية 14.

(2) ينظر:روح المعاني: ج6 / ص 96، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 17.

(3) سورة النحل / الآية 51.

(4) الكشاف: ج2 / ص 413.

(5) التفسير الكبير: ج20 / ص 231.
(6) تفسير أبي السعود:ج5 / ص 119. و لينظر المعنى نفسه في: فتح القدير:ج3 /ص 168، و تفسير النسفي: ج1 / ص 230.

وعقّب على النّهي والقصر بقصر آخر(إِيَّايَ فَارْهَبُون) ثم ذكر الرّهبة زيادة في التّرهيب والتّحذير.(1) ثم التفت مرة أخرى إلى الغيبة في قوله- سبحانه-:(وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ) (2) زيادة في تأكيد هذا المعنى.(3)

3- قوله – تعالى-:(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (4)

و فيه عدول عن الغيبة في قوله- سبحانه-(إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (5) إلى التّكلّم بنون العظمة في قوله- سبحانه- (لِقَاءَنَا) تربية للمهابة باستحضار عظمة المتكلّم-سبحانه-، و زيادة في إجلال وإعظام ذلك اليوم وتهويل أمره.(6)

4- قوله – تعالى-:(إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣) (7)

الالتفات في الآية الكريمة في قوله- سبحانه-(لِيُعَذِّبَ اللهُ) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل، بعد التّكلّم بنون العظمة في(عَرَضْنَا)، تربية المهابة وتهويلا لخطب وأمر التّخلي عن حمل الأمانة وخيانتها.(8)

5- قوله- تعالى-:(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦) (9)

والالتفات في الآية الكريمة من التّكلّم بنون العظمة في قوله- سبحانه- (بَدَّلْنَاهُمْ) إلى الغيبة في(إِنَّ اللَّهَ

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن: ج4 / ص 2176 .
(2) سورة النحل / الآية 52.
(3) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج5 / ص485.
(4) سورة يونس / الآية 07-08.
(5) سورة يونس / الآية 06.
(6) ينظر: روح المعاني: ج 11 / ص 72، و تفسير أبي السعود: ج4 /ص 122.
(7) سورة الأحزاب / الآيتان 72- 73.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود:ج7 / ص 117، و روح المعاني: ج22 / ص 100.
(9) سورة النساء / الآية 56.

كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً)، فبعد أن أخبر– سبحانه– عما يعاقب به من في النار ممن كفر بآياته، و أخبر عن دوام تلك العقوبة و ذلك النّكال، ختم- و بطريق الالتفات إلى الغيبة وإظهار الاسم الجليل- بوصفي العزة والحكمة المنبئين عن كمال القوة والعدل.

يقول أبو السعود:"إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد، حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته، والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل؛ وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم، فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى." (1) ففي هذا الالتفات، مع تربية المهابة وتهويل الأمر، تعليل للحكم.

6- قوله – تعالى-:(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ **) (2)**

والالتفات في هذا الموضع هو إلى الغيبة في قوله– سبحانه – :(مِن دُون اللهِ) بإظهار الاسم الجليل، بعد التّكلّم بنون العظمة في قوله:(نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)،فائدته إضافة إلى إنشاء الرّهبة والمهابة في قلوب المشركين تسفيه عقولهم والاستخفاف بهم، بتحدّيهم ودعوتهم إلى الإتيان بسورة من مثل القرآن، وليستعينوا وليستغيثوا في ذلك بشهدائهم الذين يدعون وهم الأصنام، مع توافر أسباب ودعاوى التّحدي، فهم بشر مثل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – وأهل عربية طالت ممارستهم للخطب والأشعار، وكثرت مزاولاتهم لأساليب النّظم والنثر، وبالغوا في حفظ الوقائع والأيام، ولا ريب في أن القدرة على الشّيء من موجبات الإتيان به! فهو إذن تهكّم بهم وتبكيت وتعجيز وإلزام لهم بالحجّة.(3)

7- قوله – تعالى-:(هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ **) (4)**

التفت– سبحانه– من الإخبار عن الكفرة في قوله:(هَذَا نُزُلُهُمْ) إلى مخاطبتهم في قوله:(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ)، وفي هذا الخطاب معنى القدرة المنشئة للرّهبة في النّفوس، إضافة إلى التبكيت والإلزام للحجّة والتّحضيض على التّصديق، أي: نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون، فهلا تصدّقون بالبعث!(5)

8- قوله– تعالى-:(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ

ج

---

(1) تفسير أبي السعود: ج2 / ص 192.
(2) سورة البقرة / الآية 23.
(3) ينظر: الكشاف وحاشية الجرجاني عليه :ج1 / ص 224- 225، و تفسير أبي السعود: ج1 / ص 65 -66.
(4) سورة الواقعة / الآيتان 56-57.
(5) ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 156، و تفسير البغوي(معالم التنزيل): الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي، تحقيق: خالد العكّ – مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالثّانية، 1407هـ-1987م: ج4 / ص 286.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ **) (1)**

والالتفات في قوله – سبحانه-:(اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) إلى الغيبة من التّكلّم بنون العظمة في قوله: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً). وسواء كانت الجملة معترضة أو حالية، فإن فيه توبيخا للكفرة وتنبيها على فساد رأيهم وجهلهم وعدم علمهم بالحكمة من ذلك النّسخ أو التّبديل؛كما أن في الإسناد إلى الاسم الجليل ما لا يخفى من تربية المهابة وتقويّة معنى الاعتراض. (2)

يقول ابن كثير:" يخبر– تعالى – عن ضعف عقول المشركين وقلّة ثباتهم وإيقانهم، وأنه لا يتصوّر منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشّقاوة، وذلك أنهم إذا رأوا تغيّر الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-:(إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ)، أي كذّاب. و إنّما هو الرّب – تعالى– يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد." (3)

9- قوله- تعالى-:(أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾) (4)

والحديث في الآية عن المشركين المعرضين عن الحق، وقد خاطب الله– تعالى– نبيّه – عليه السّلام – في الآية التي قبلها موجها إياه إلى المضيّ في تبليغ الرّسالة وعدم الانتباه إلى صدهم وإعراضهم، وعدم استعجال عذابه، وأن يترك جزاءهم وحسابهم على الله، إذ قال– تعالى-:(وَإِن نُّرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (5)، ليحتجّ عليهم بعد ذلك بما يدخل الرّعب والمهابة في قلوبهم ويقوّي عزيمة الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم– بما يفتح الله عليه وعلى المسلمين من بلادهم، فينقص من دار الحرب ويزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات النّصرة والغلبة(6) ليطيّب بعد ذلك نفس الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم–و ينفّس عنه بقوله:(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) أي:لا رادّ لحكمه. والمعقّب: الذي يكرّ على الشّيء فيبطله.(7) والجملة اعتراضية فيها التفات من التّكلّم في أول الآية في قوله– تعالى(نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل، وإضافة إلى تربية المهابة في النفوس فإن فيه الدلالة على تأكيد معنى مضمون ما سبق من أنه– تعالى– حكم للإسلام ـــــــ

(1) سورة النحل / الآية 101.
(2) ينظر: روح المعاني:ج14 / ص 231، و تفسير أبي السعود: ج5 / ص 141، و فتح القدير:ج3 / ص 194.
(3) تفسير ابن كثير: ج4 / ص 49.
(4) سورة الرعد / الآية 41.
(5) سورة الرعد / الآية 40.
(6) جاء في معنى الانتقاص من الأرض أقوال كثيرة، أوردها الطبري في تفسيره:ج13 / ص 172-175، و ابن كثير في تفسيره:ج3 / ص 436-437، و الزّمخشري في الكشاف:ج2 / ص 364، و قد رجّح ثلاثتهم أن المراد فتح الأرض للمسلمين وظهورهم على أعدائهم.
(7) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 363-364.

بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، بل وتأكيد معنى الاعتراض نفسه من أن الله إذا حكم فلا رادّ لحكمه.

يقول أبو السعود (1): " وفي الالتفات من التّكلّم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلّة ما لا يخفى، وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها. وقوله:(لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) اعتراض في اعتراض لبيان علوّ شأن حكمه – جلّ جلاله– ، وقيل نصب على الحالية،كأنه قيل: والله يحكم نافذا حكمه، كما تقول: جاء زيد لا عمامة على رأسه. أي:حاسراً." (2)

10- قوله-تعالى-:(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾) (3)

في الآيات التفات في قوله – عزّ وجلّ– :(إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل، من التّكلّم بنون العظمة في قوله:(سَنُقْرِئُكَ)، وعن هذا الالتفات ودلالته يقول أبو السعود:"والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهية المستتبعة لسائر الصفات...(نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) عطف على (نُقْرِئُكَ) ينبئ عنه الالتفات إلى الحكاية، وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التّعليل، وتعليق التّيسير به– عليه السّلام– مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل، كما في قوله: (يَسِّرْ لِيَ أَمْرِي)، للإيذان بقوة تمكينه– عليه السّلام– من اليسرى والتّصرف فيها، بحيث صار ذلك ملكة راسخة له، كأنه– عليه السّلام–جُبِل عليها." (4)

11- قوله– تعالى-:(تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم

---

(1) هو أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، وُلِد بإحدى قرى القسطنطينية سنة 893هـ، و توفي بها سنة 982هـ. لم يكثر من التأليف لانشغاله بالقضاء والفتوى والتدريس. من أشهر مصنفاته: تفسيره المسمى: " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ". ينظر: بحوث في أصول التفسير: ص 156.
(2) تفسير أبي السعود :ج5 / ص 28، و قد حكم الزّمخشري بكونها جملة حالية. ينظر: الكشاف: ج 2 / ص 364.
(3) سورة الأعلى / الآيات 06-08.
(4) تفسير أبي السعود:ج9 / ص 144، (بتصرف يسير). و تراجع الأقوال في معنى "النسيان" في الآية و ما استثني منه في: فتح القدير:ج5 / ص 424، الكشاف: ج4 / ص243، و تفسير الطبري:ج30 / ص 154.

مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾) (1)

في الآية التفات في قوله- تعالى– :(فَضَّلْنَا) من التّكلّم، إلى الغيبة في:(كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ). و النّكتة في هذا الالتفات هي بالإضافة إلى تربية المهابة بإيراد الاسم الجليل، مناسبة إلحاق الأعلى درجة من الرّسل، وهم من كلّم الله ومن رفع بعضهم درجات، باسمه الجليل، لما بين التّكلّم والرّفع وما سبق من مطلق التّفضيل، وما لحق من إيتاء البيّنات والتّأييد بروح القدس من التّفاوت. (2)

ورأى أبوحيان أن النّكتة في هذا الالتفات هي الدّلالة على التّفخيم والتّعظيم بإظهار الاسم الجليل، إضافة إلى زوال قلق تكرار ضمير المتكلّم، في:(فَضَّلْنَا)، (كَلَّمْنَا)، (رَفَعْنَا) و(آتَيْنَا). (3)

وجوابا عن التساؤل عن فائدة هذا الالتفات إلى الغيبة ثم الالتفات ثانية إلى التّكلّم في قوله– سبحانه-:
وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) (4)،قال الرّازي:" والجواب أن قوله:(مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ)أَهيب وأكثر وقعا من أن يقال:(مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمْنَا)، ولذلك قال:(وَكَلَّمَ

اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(5) فلهذا المقصود اختار لفظ الغيبة. وأما قوله: (وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) فإنّما اختار لفظ المخاطبة لأن الضمير في قوله (وَآتَيْنَا) ضمير التعظيم، و تعظيم المؤتي يدلّ على عظمة الإيتاء." (6)

2- الإعراض والإسقاط عن رتبة الخطاب : و يمكن التّمثيل له بالشواهد القرآنية الآتية:

1- قوله – تعالى -:(وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨) (7)

الآية في خصوص أهل الكتاب، جاءت ببيان لون من ألوان قبائحهم وجرائمهم، وهو قولهم أن قلوبهم غلف. قال الزّمخشري:" غُلف جمع أغلَف، أي هي خلقة وجبلّة مغشّاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمّد –صلّى الله عليهوسلّم– و لا تفقهه، مستعار من (الأَغْلَف) الذي لا يختن، كقولهم: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ)(8)، ثم ردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك، لأنها خلقت على الفطرة والتمكّن من قبول الحق، وبأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم،فهم الذين غلّفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ ـــــــ

(1)، (4) سورة البقرة / الآية 253.
(2) ينظر: روح المعاني:ج3 / ص 02، و تفسير أبي السعود:ج1 / ص 246.
(3) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج2 / ص282.
(5) سورة النساء / الآية 164.
(6) التفسير الكبير: ج6 / ص 200.
(7) سورة البقرة / الآية 88 .
(8) سورة فصلت / الآية 05.

عن الفطرة."(1) بطريق الغيبة التفاتا عن الخطاب في الآية التي قبلها وهي قوله– تعالى- :(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ)(2).

يقول أبو السعود:"(وَقَالُوا) بيان لفنٍّ آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعارا بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصّل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم وحكاية نظائرها لكلّ من يفهم بطلانها وقباحتها من أهل الحق .."(3).

وأضاف الطاهر بن عاشور بعد إيراده لهذه النّكتة قائلا:" وقد حسّن الالتفاتَ أنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدّعوة المحمّدية وهو غرض جديد، فإنهم لما تحدّث عنهم بما هو من شؤونهم مع أنبيائهم وجّه الخطاب إليهم، ولمّا أريد الحديث عنهم في إعراضهم عن النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – صار الخطاب جاريا مع المؤمنين وأجري على اليهود ضمير الغيبة."(4).

2- قوله – تعالى-:(وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥) (5)

فيه إخبار عن أهل الكتاب، اليهود والنّصارى، الذين حادوا عن ملّة إبراهيم، وإسحاق ويعقوب من بعده – سلام الله عليهم جميعا-، التفاتا عن خطابهم في قوله– سبحانه-:(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ

آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (6).

ودلالة هذا الالتفات، هي كما في المثال السّابق، الإسقاط عن رتبة الخطاب والإعراض عنهم وتعديد جناياتهم، قد بيّنت الآية فنّاً آخر من فنون كفرهم هو إضلالهم لغيرهم، إثر بيان ضلالهم في أنفسهم.(7)

3- قوله – تعالى- :(وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ

---

(1) الكشاف:ج 1 / ص 295.
(2) سورة البقرة / الآية 87.
(3) تفسير أبي السعود:ج 1 / ص 127.
(4) تفسير التحرير و التنوير:ج 01 / ص 599.
(5) سورة البقرة / الآية 135.
(6) سورة البقرة / الآيتان 133- 134.
(7) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 165. و عن سبب نزول الآية روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس– رضي الله عنهما – أنه قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم -: ما الهُدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يامحمد تهتدِ.وقالت النّصارى مثل ذلك. فأنزل الله فيهم الآية. ينظر: تفسير الطبري: ج1 / ص 564.

بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾) **(1)**

فيه أيضا التفات عن خطاب مشركي مكّة في الآيتين قبلهما(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)(2) إلى الغيبة إسقاطا لهم عن رتبة الخطاب، لما ارتكبوا من جنايات وصدر عنهم من قبائح مضادة لما أريد منهم من استخلاف، بالتكذيب والكفر بالآيات البينات، فعدل عن خطابهم إلى خطاب النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم-.(3)

4- قوله – تعالى-:(وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾) **(4)**

في قوله – سبحانه–(أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً) التفات إلى الحديث عن المشركين غيبة بعد مخاطبتهم بقوله: (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، إعراضا عنهم وإنكارا عليهم في ما اختلفوا فيه من عبادة غيره، بلا دليل ولا حجّة أو برهان، بما يشعر بعظيم جرمهم وما اقترفوه، وهو ما يوحي به أيضا التّهديد والوعيد في قوله– تعالى-: (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ).(5)

5-قوله – تعالى-:(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾) **(6)**

(1) سورة يونس / الآية 15.
(2) سورة يونس / الآيتان 13– 14.
(3) ينظر: روح المعاني: ج11 / ص 83 ، و فتح القدير:ج2 / ص 430.
(4) سورة الروم / الآيات 33- 35.
(5) ينظر: روح المعاني: ج21 / ص 42. وفي قوله – تعالى-:(فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) التفات أيضا من الغيبة إلى الخطاب، مفاده التّهديد والوعيد.وأما على قراءة عبد الله بن مسعود (وَلِيَتَمَتَّعُوا) فيكون الالتفات في(تَعْلَمُونَ). ينظر: تفسير القرطبي: ج14 / ص 33.
و عن الخطاب فيه و عدمه في قوله – سبحانه -:(لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سورة العنكبوت / الآية 66، بعد قوله - سبحانه -:(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) سورة العنكبوت / الآية 65. قال الرّازي :" لما كان الضّرّ المذكور هناك – أي في آية العنكبوت – ضرّا واحدا جاز أن لا يكون في ذلك الموضع من المخلصين من ذلك الضرّ أحد، فلم يخاطب، و لأن المذكور مطلق الضّرّ و لا يخلو موضع من المخلصين عن الضّر، فالحاضر يصحّ خطابه بأنه منهم فخاطب."ا.ه التفسير الكبير: ج25 / ص 122.
(6) سورة البقرة / الآية 57.

الالتفات في الآية الكريمة هو في قوله– سبحانه– وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)، بالعدول إلى الغيبة عن الخطاب في (رَزَقْنَاكُمْ) و(عَلَيْكُمُ)، ومقتضى الظاهر قول:(وَمَا ظَلَمْتُمُونَا وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَظْلِمُونَ).

وعن فائدة هذا الالتفات يقول أبو السعود:"(وَمَاظَلَمُونَا) كلام عدل به عن نهج الخطاب السّابق للإيذان باقتضاء جنايات المخاطبين للإعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثّ ة، معطوف على مضمر قد حذف للإيجاز وللإشعار بأنه أمر محقّق غنيّ عن التّصريح به، أي: فظلموا فكفروا بتلك النّعم الجليلة، وما ظلمونا بذلك لكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران إذ لا يتخطاهم ضرورة؛ وتقديم المفعول (أَنْفُسَهُمْ) للدّلالة على القصر الذي يقتضيه النّفي السّابق، وفيه ضرب تهكّم بهم، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدّلالة على تماديهم في الظّ لم واستمرارهم على الكفر." (1)

وأضاف الألوسي إلى كلام أبي السعود قائلا:"وفي ذكر أنفسهم بجمع القلّ ة تحقير لهم وتقليل، والنّفس العاصية أقل من كلّ قليل." (2)

ولا يخفى ما في هذا الالتفات من حسن، ما كان ليظهر مع الاستمرار على ضمير الخطاب، إذ لا تستوي حال التذكير بالنّعمة من التظليل بالغمام والأكل من طيب الرّزق ممّا أنزل عليهم من المنّ والسّلوى، وحال ما تحقّق منهم من ظلم وكفر ومعصية؛ وقد زاد في بلاغة وحسن الأسلوب تقديم المفعول و إيراد صيغة جمع القلّ ة، فكان ذلك غاية في الإعراض والإنكار والتهكّم و التّحقير.

3- الإنكار والتّوبيخ والوعيد: و من المواضع في القرآن التي يخدم فيها الالتفات هذا الغرض:

1-قوله– تعالى-:(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾)(3)

التفت الأسلوب القرآنيّ في الآية الكريمة إلى خطاب الذين في قلوبهم مرض، بعد أن أخبر عنهم موبّخا إيّاهم في الآيتين قبلها:(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ) (4)وذلك للزّيادة في تأكيد التّوبيخ وتشديد التّقريع.

(1) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 103. و في تفسير التحرير والتنوير : أن الظلم المقدر في نظم الآية هو ضجرهم من مداومة أكل المنّ والسّلوى الذي يأتي ذكره في قوله – تعالى-:(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ)سورة البقرة / الآية 61. و ذلك بعد بيان الالتفات في الآية وحكمته. ينظر: ج1 / ص 512.
(2) روح المعاني :ج1 / ص 264.
(3) سورة محمد / الآية 22.
(4) سورة محمد / الآيتان 20–21.

قال الزّمخشري: "وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد."(1)

2- قوله– تعالى-:(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ **) (2)**

قال ابن كثير:" إن الله يخبر عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد بغير علم، وجعلوا للأوثان نصيبا مما رزقهم الله،فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (3) أي: جعلوا لآلهتهم نصيبا مع الله وفضلوها على جانبه، فأقسم الله– تعالى– بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه وائتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنّم، فقال:(تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ). " (4)

فهو وعيد شديد من الله وتوبيخ لأولئك الكفار،جاء الالتفات إلى الخطاب في قوله– تعالى–: (لَتُسْأَلُنَّ) بعد الإخبار عنهم يؤكّده، إضافة إلى ما في القسم من تأكيد.(5)

3- قوله –تعالى-:(لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ **) (6)**

في الآية الكريمة التفات إلى الغيبة في(ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ) من الخطاب في (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) ، والضمير فيه للمؤمنين من غير الذي تولّى كبر الإفك من الخائضين فيه. (7)

يقول الزّمخشري عن فائدة هذا العدول من الخطاب إلى الغيبة:" فإن قلت: هلاّ قيل: (لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ

---

(1) الكشاف: ج3 / ص 536. و ينظر: روح المعاني: ج26 /ص 68، و فتح القدير: ج5 /ص 38 ، و تفسير النسفي: ج4 / ص 149.
(2) سورة النحل / الآية 56.
(3) سورة الأنعام / الآية 136.
(4) تفسير ابن كثير: ج4 / ص 34.
(5) ينظر: تفسير البغوي: ج3 / ص 72، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 353. هذا بالإضافة إلى ما في العدول إلى إظهار الاسم الجليل في القسم بعدالتكلّم بنون العظمة في(رَزَقْنَاهُم) من تربية اللمهابة و إدخال للروعة في النفوس.
(6) سورة النور / الآية 12.
(7) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص402. و قد أورد أبو حيان فيه القول أيضا بدخول من تولى كبر الإفك في الخطاب في(لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ)، و هو لا يتعارض مع القول بالالتفات لسبق التّعبير عن الجميع في قوله – سبحانه -:(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلّ امْرِئ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة النور / الآية 11.
و كذلك القول بعود الضمير في (لاَ تَحْسَبُوهُ) على القاذفين لا على المؤمنين المخاطبين في (عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)، وهو قول ضعّفه الرّازي و أبو حيان الأندلسي. ينظر: تفسيرالرّازي: ج23 / ص 342، و تفسير البحر المحيط: ج6 / ص 401 ، و لا يمنع من القول بالالتفات المذكور، بل يكون فيه التفات آخر إلى الخطاب بعد الغيبة في (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ).

ظَنَّتْ بِأَنْفُسِكُمْ خَيْراً وَقُلْتُمْ)، و لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة وعن الضّمير إلى الظّاهر؟ قلت: ليبالغ في التّوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرّح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضٍ أن لا يصدِّق مؤمنٌ على أخيه و لا مؤمنةٌ على أختها قول عائب ولا طاعن."(1).

والعدول إلى الغيبة، وإن كان توبيخا لهم، فهو ليس إعراضا عنهم– أي من خاض في حديث الإفك من المؤمنين – و لأجل ذلك جيء بلفظ الإيمان لاستمالتهم وترغيبهم في إتيان المحضَّض عليه.

يقول الألوسي: " واختير الخطاب لتشديد ما في (لَوْلاَ) التحضيضية من التّوبيخ، ولتأكيد التّوبيخ عدل إلى الغيبة في قوله (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً) لكن لا بطريق الإعراض عن المخاطبين و حكاية جناياتهم لغيرهم، بل بالتوسّل بذلك بوصفهم بما يوجب الإتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاءً تامّا و يزجرهم عن ضدِّه زجرا بليغا،و هو الإيمان وكونه يحملهم على إحسان الظن ويكفّهم عن إساءته بأنفسهم أي بأبناء جنسهم وأهل ملّتهم النازلين منزلة أنفسهم." (2)، فهو إذا إنكار فيه معنى التّحضيض والتّرغيب.

4- قوله – تعالى-:(وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾) (3)

في قوله- تعالى(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ) خطاب إلى حفصة وعائشة– رضي الله عنهما– على الالتفات من الغيبة في وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) أي نبأت حفصةُ عائشةَ– رضي الله عنهما – للمبالغة في المعاتبة، إذ المبالغ في العتاب يُصيِّر أوّلا المعاتَب بعيدا عن ساحة الحضور ثم إذا اشتد غضبه توجّه إليه وعاتبه بما يريد. (4)

5- قوله – تعالى-:(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ

---

(1) الكشاف: ج3 /ص 53. و نقل القول عنه النسفي في تفسيره: ج3 /ص 183، ويراجع المعنى نفسه في: تفسيرالجلالين: ج1/ص 495.

(2) روح المعاني: ج18 / ص 117. و يراجع المعنى نفسه في: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 161.

(3) سورة التحريم / الآيتان 03-04.

(4) ينظر: التفسير الكبير: ج30 / ص 44، و تفسير أبي السعود: ج8 / ص 267، و روح المعاني: ج28 / ص152-153، و تفسير النسفي: ج4 / ص 259، و تفسير البيضاوي: ج5 / ص 355. و قال الزّمخشري في: الكشاف :ج 4 / ص 126-127: "فإن قلت: هلا قيل:(إِنْ نَبَّأَتْ بِهِ بَعْضَهُنَّ وَ عَرَّفَهَا بَعْضَهُ)؟ قلت: ليس الغرض بيان المذاع إليه و من المعرَّف، و إنّما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به و إفشائه من قبلها." وليراجع سبب النزول في المصادر المذكورة.

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾) (1)

في الآية التفاتان. الأوّل: من الخطاب في (أَفَتَتَّخِذُونَهُ)إلى الغيبة في (الظَّالِمِينَ). يقول أبو السعود عن دلالته: " و في الالتفات إلى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الإيذان بكمال السخط والإشارة إلى أن ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى .." (2)

والثّاني: من التّكلّم بنون العظمة في (قُلْنَا) إلى الغيبة بإيراد لفظ "الرّب" مضافا إلى الضمير العائد على إبليس، ولعلّ مناسبة ذلك استلزام واقتضاء الاعتراف بربوبية الله على الخلق الطاعة والانقياد، فالذي أمر بالسجود لآدم هو من خلقه وخلق المأمورين من جنّ و ملائكة، وعلى المخلوق أن يطيع الخالق في أمره ونهيه، فذلك مقتضى الرّبوبية، وقد جمع الله– تعالى- بين الخلق والأمر في آية واحدة في قوله:(أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (3).

قال الطاهر بن عاشور:"والعدول في قوله (عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) إلى التّعريف بطريق الإضافة دون الضمير لتفظيع فسق الشّيطان عن أمر الله، بأنه فسق عبدٌ عن أمر من تجب طاعتُه لأنه مالكه."(4).

6- قوله – تعالى-:(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾) (5)

الالتفات في الآية الكريمة إلى الخطاب في قوله–سبحانه– (فَذُوقُوا) بعد الإخبار في:(وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ). قال الشّوكاني:" هذا التفات إلى مخاطبة الكفار، تهديدا لهم ومبالغة في إدخال الرّوعة في قلوبهم، والمراد به عذاب الدّنيا كيوم بدر. " (6)

7- قوله- تعالى-:(إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾) (7)

---

(1) سورة الكهف / الآية 50.
(2) تفسير أبي السعود: ج5 / 228.
(3) سورة الأعراف / الآية 54.
(4) تفسير التحرير والتنوير: ج15 / ص 341.
(5) سورة الأنفال / الآية 35.
(6) فتح القدير: ج2 / ص 306.وذكر ابن كثير أن قريشا كانت تطوف بالبيت عراة تصفّر وتصفّق. والمكاء: الصّفير، والتّصدية: التّصفيق. ورَوَى عن الضحاك وابن جريج وابن إسحاق أن المراد بالعذاب ما أصابهم يوم بدر من القتل والسّبي. ينظر: تفسير ابن كثير:ج3/ص 204.
(7) سورة الأنبياء / الآيتان 92-93.

صرف الله–تعالى–الخطاب الذي كان للناس كافّة في قوله: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ)، إلى الغيبة في: (وَتَقَطَّعُوا)، و مقتضى الظاهر: (وَتَقَطَّعْتُمْ أَمْرَكُمْ بَيْنَكُمْ)، على طريقة الالتفات، لينعى على الذين تفرّقوا في الدّين وجعلوا أمره قطعا موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم إنكارا عليهم، كأنه قيل: ألا ترون إلىعظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافّة الأنبياء – عليهم السّلام-، ثم توعّدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة كلّ إلينا راجعون. (1)

8- قوله – تعالى-:(أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾) (2)

في الآيات التفاتان الأوّل من الغيبة إلى الخطاب في قوله– سبحانه-:(مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) للدّلالة على عظيم السّخط وفظيع الإنكار وشديد الاستبعاد لأقاويل قريش والتعجيب من أن يخطر مثل ذلك على بال، فالآيات ناطقة بتسفيه أحلامهم وتجهيل نفوسهم واستركاك عقولهم مع استهزاء وتهكّم .. (3)

والثّاني من الخطاب إلى الغيبة في قوله– سبحانه-:(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً)، وفائدته الانقطاع عن الجواب بما يقوّي ذلك التهكّم والتّبكيت، وإسقاطهم عن رتبة الخطاب واقتضاء حالهم الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم للآخرين. (4)

9- قوله – تعالى-:(أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾) (5)

بعد أن أخبر الله– تعالى- عن حال أهل الجنّة الدّنيوية وما أصابهم فيها من النِّقمة حين عصوه وخالفوا أمره، وبيّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنّات النّعيم التي لا تبيد ولا ينقضي نعيمها (6) وقرّر – سبحانه – ألا مساواة في الجزاء بين المسلمين والمجرمين، التفت إلى مشركي مكة مخاطبا إياهم (مَا لَكُمْ ــــــ

(1) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 583 ، و التفسير الكبير: ج22 / ص219، و تفسير البيضاوي: ج4 / ص 107، و المثل السّائر: ج2 / ص 182، و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 319 .

(2) سورة الصافات / الآيات 151– 158.

(3) يراجع هذا المعنى في: الكشاف: ج3 / ص 355، غير أن الزّمخشري لم يصرح بالالتفات فيه.

(4) ينظر: تفسير أبي السعود:ج7 / ص 208، و روح المعاني:ج23 / ص 151. و أورد أبو حيان قولا بعود الضمير في(وَجَعَلُوا)لفرقة من كفار قريش والعرب، وأن الجنّة هم الملائكة. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج7 / ص 361. و لا التفات في هذا الموضع على هذا القول.

(5) سورة القلم / الآيتان 35– 36.

(6) تراجع: سورة القلم / الآيات 17– 24.

كَيْفَ تَحْكُمُونَ)؟و قد اعتقدوا أنهم في الآخرة أكثر نعيما من المؤمنين ، إذ كان يرى صناديد قريش وفور حظهم من الدنيا وقلّة حظوظهم منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله به المسلمين قالوا : إن صحّ أنا نبعث كما يزعم محمّد و من معه لم تكن حالهم وحالنا إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلوا علينا ، وأقصى أمرهم أن يساوونا. (1)

والفائدة من هذا الالتفات هي مع الإنكار تأكيد وتشديد ردّ هذا الحكم الذي حكموه والتعجب منه واستبعاده والإيذان بأنه لا يصدر عن عاقل، إذ معنى (مَا لَكُمْ)؟:أي شيء حصل لكم من خلل فكر؟(2)

10- قوله – تعالى - : (فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾) (3)

في الآية خطاب للمشركين، بعد أن أخبر عنهم- سبحانه- بقوله: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ) (4)، وكيف أنهم عبدوا غيره معه، مع أنه هو المنعم المتفضّل الرّازق، و لا يملك شركاؤهم رزق أنفسهم أو غيرهم ولا يستطيعونه، فنهاهم أن يجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا.(5)

وفي هذا الخطاب التفات الحكمة منه،بالإضافة إلى الإنكار عليهم فعلهم، الاهتمام بشأن النهي عن الشرك. يقول أبو السعود: "(فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) التفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النّهي، أي لا تشركوا به شيئا، و التّعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النّهي عن الإشراك به – تعالى- في شأن من الشؤون." (6)

11- قوله- تعالى-:(فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ)(7)

قال أبو السعود عن الآية الأخيرة :" جواب من جهته-تعالى- عن قولهم (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) بطريق الالتفات، و ما بينهما اعتراض." (8)

---

(1) ينظر: الكشاف: ج4 / ص 145-146.
(2) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 33 .
(3) سورة النحل / الآية 74.
(4) سورة النحل / الآية 73.
(5) ينظر: تفسير ابن كثير: ج4 / ص 40.
(6) تفسير أبي السعود: ج5 / ص 128.
(7) سورة الدخان / الآيات 10– 15.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 / ص 61.

وقال الزّمخشري:" (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) :كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب،(وَقَدْ جَاءَهُمْ) ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادّكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على يد رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا، وتولّوا عنه وبهتوه بأن عدَّاسا، غلاما أعجميا لبعض ثقيف، هو الذي علّمه، ونسبوه إلى الجنون. ثم قال(إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) أي: ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم، لا تلبثون غبَّ الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال." (1)

وفائدة هذا الالتفات هي مزيد التوبيخ و التهديد لأولئك المشركين.(2)

12-قوله- تعالى- :(كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ)(3)

و عن فائدة الالتفات إلى الخطاب في قوله- تعالى- (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى)، بعد الغيبة في(إِنَّ الإِنْسَانَ)، يقول الزّمخشري: " (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى)واقع على طريقة الالتفات إلى الإنسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان، و(الرُّجْعَى) مصدر كالبشرى بمعنى الرّجوع." (4)

13- قوله-تعالى-:(وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾) **(5)**

في قوله – عز و جل –(فَإِن تُبْتُمْ) التفات إلى خطاب المشركين، بعد الإخبار عنهم ببراءة الله ورسوله منهم، زيادة في تهديدهم والتّشديد عليهم. (6)

4- عتاب النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم-: وذلك في قوله – عزّ وجلّ-:(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾) **(7)**

وموضع الالتفات هو في قوله-تعالى-(وَمَا يُدْرِيكَ)، إلى الخطاب بعد الغيبة في (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى). فهو– سبحانه– يعاتب نبيّه–عليه السّلام– لإعراضه عن عبد الله بن أم مكتوم– رضي الله عنه–ـــــــ

(1) الكشاف: ج3 / ص 502.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود:ج8 / ص 61.
(3) سورة العلق / الآيات 06-08.
(4) الكشاف:ج4 / ص 271.و ينظر أيضا: التفسير الكبير: ج 32 / ص 223.
(5) سورة التوبة / الآية 03.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 42، و فتح القدير: ج2 /ص 334، و روح المعاني: ج10 /ص 48.
(7) سورة عبس / الآيات01-04.

الأعمى، و لأن المشافهة أدخل في تشديد العتاب كان الخطاب.

يقول الزّمخشري:" وفي الإخبار عما فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار،كمن يشكو إلى النّاس جانيا جنى عليه،ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجها له بالتّوبيخ وإلزام الحجة."(1).

وقال البيضاوي:"و ذكر(الأَعْمَى) للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم – بالقوم، والدلالة على أنه أحقّ بالرأفة والرّفق، أو لزيادة الإنكار، كأنه قال:تولى لكونه أعمى، كالالتفات في قوله (وَمَا يُدْرِيكَ) أي: وأي شيء يجعلك داريا بحاله، لعله يتطهّر من الآثام بما يتلقف منك، و فيه إيماء بأن إعراضه كان لتزكية غيره." (2)

(1) الكشاف: ج4 / ص 218. و عدل أبو حيان عن ذكر الالتفات في (وَمَا يُدْرِيكَ) ليجعله مفهوما بالمخالفة من حديثه عن المجيء بضمير الغائب في(عَبَسَ وَتَوَلَّى)، فقال:"جاء بضمير الغائب في (عَبَسَ وَتَوَلَّى)إجلالا له – عليه الصّلاة والسّلام – و لطفا به أن يخاطبه لما في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى.". ينظر: تفسير البحر المحيط: ج8 / ص419.

(2) تفسير البيضاوي: ج5 / ص 414. و قال القرطبي في المسألة الخامسة من المسائل السِّت التي أوردها في تفسير هذه الآيات:" الخامسة : قال ابن زيد: إنّما عبس النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – لابن أم مكتوم و أعرض عنه لأنه أشار إلى الذيكان يقوده أن يكفّه فدفعه ابن أم مكتوم و أبى إلا أن يكلم النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم –حتى يعلّمه، فكان في هذا نوع جفاء منه و مع هذا أنزل الله في حقّه على نبيِّه –صلّى الله عليه وسلّم – (عَبَسَ وَتَوَلَّى) بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما له، و لم يقل:(عَبَسْتَ وَ تَوَلَّيْتَ).ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال:(وَمَا يُدْرِيكَ)أي: يُعْلِمُكَ، (لَعَلَّهُ) يعني ابن أم مكتوم، (يَزَّكَّى) يعني بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن و الدين.". تفسيرالقرطبي: ج19 / ص 213. فهو رأي نقله القرطبي مفاده أن في هذا الالتفات تأنيسا للنّبيّ – عليه السّلام- لا عتابا له، و هو - عليه السّلام- من كان يقر بعتاب ربِّه له في ابن أم مكتوم – رضي الله عنه -. قال القرطبي في المسألة الثّالثة في الموضع نفسه :" قال الثوري : كان النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – بعد ذلك إذا رأى ابن أمّ مكتوم يبسط له رداءه و يقول:مرحبا بمن عاتبني فيه ربي.و يقول: هل من حاجة ؟ " ا.ه. و قد روى قوله :«مَرْحَبابِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي» الدّيلمي عن أنس بن مالك- رضي الله عنه. ينظر: الفردوس بمأثور الخطاب :ج4 / ص 164، رقم: 6510.

المبحث الثّالث

دلالات أخـــرى للالتفات

- التّعظيم و التّشريف والامتنان.
- التّسلية و التّثبيت والتّلطّف.
- الإشعار بعليّة الحكم.
- التّغليب.
- الجواب عمّا يتبادر من سؤال.
- إظهار الإقرار والمعرفة والتمكّن .
- تقويّة معنى الاعتراض.
- دفع التّهمة.

وهناك دلالات أخرى لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم غير التي ذكرت في المبحثين السابقين ،هي:

1- التعظيم و التّشريف والامتنان: ويمكن التّمثيل لهذه الدّلالة بالآتي:

1- قوله- تعالى-:(وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾) (1)

الالتفات هو في قوله- تعالى-(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى)، من التّكلّم إلى الغيبة في(أَوْرَثْنَا) و(بَارَكْنَا).والآية جاءت في معرض الامتنان على بني إسرائيل من قوم موسى- عليه السّلام – وقد كانوا مستضعفين من فرعون وقومه،فأتمّ الله لهم كلمته الحسنى،أي وعده لهم بالتّمكين ونصرهم على عدوهم وإهلاكه الوارد في قوله:(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)"(2).(3)

وفي لفظ "الرّب" إيحاء بالسِّيادة على كل شيء وملكه له والتصرف فيه، فناسب إيراده توريثه- تعالى- بمنّه وإنعامه قوم موسى- عليه السّلام – بعض ملكه، وهو مشارق الأرض و مغاربها؛ كما أن من معاني الرّبوبية الخلق والرزق والتدبير، وقد كان قوم موسى مستضعفين، والمستضعف بالقهر والإذلال والإفقار إنّما يلجأ إلى خالقه ورازقه والمدبِّر لأمره ليرفع عنه ما هو حالّ به، فكانت المناسبة من هذا الوجه أيضا.

والكاف في (رَبِّكَ) ضمير خطاب للرسول- صلّى الله عليه وسلّم- تشريفا له وإعلاء لمنزلته، وفيه إيحاء بإتمام النِّعمة عليه كما أتمّها على موسى – عليه السّلام – و قومه من قبل.

وقد أورد الألوسي نكتة أخرى في هذا الالتفات فقال:"والتفت من التّكلّم في (أَوْرَثْنَا)و(بَارَكْنَا) إلى الخطاب في قوله(رَبِّكَ)على ما قال الطيبي(4)،لأن ما قبله من القصص كان غير معلوم له- عليه السّلام-، و أما كونه- جل شأنه- منجزا لما وعد ومجريا لما قضى وقدّر فهو معلوم له- عليه الصّلاة والسّلام- . و ذكر في الكشف أنه أدمج في هذا الالتفات أنه ستتمّ كلمة ربك في شأنك أيضا." (5)

---

(1) سورة الأعراف / الآية 137.

(2) سورة القصص/ الآيتان 05-06.

(3) ينظر: تفسير الطبري: ج9 / ص 43-44 ، و تفسير ابن كثير: ج3 / ص 135، و تفسير القرطبي: ج7 / ص 272.

(4) هو الحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدّين الطّيّبي،إمام مشهور وعلاّمة في المعقولات والمعاني والبيان.توفي سنة 743هـ. له مؤلفات كثيرة منها:"تفسير القرآن العظيم" و الحاشية على تفسير الكشاف المسمّاة "فتوح الغيب في الكشف

على مواضع الرّيب" و هي من أجلّ الحواشي، و"التبيان في المعاني" وغيرها. ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي:ج1 / ص 277-278، وكشف الظنون: ج2 / ص 1478.

(5) روح المعاني: ج9 / ص 39. و ليس في(رَبِّكَ) التفات إلى الخطاب بالمعنى المصطلح عليه، بل إلى الغيبة فقط. و المقصود من إيراد هذا القول هنا الوقوف على الدلالة من الخطاب لا إثبات الالتفات إليه، و يلمس من قول الألوسي:"على ما قال الطيبي." عدم موافقته له.

2- **قوله – تعالى-:**﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ (1)

والالتفات في هذا النّص هو من التّكلّم بنون العظمة في(فَتَحْنَا)إلى الغيبة بإيراد الاسم الجليل في(يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ).

قال الطبري في معنى الآيات:"يعني بقوله– تعالى ذكره–لنبيِّه –صلّى الله عليه وسلّم– إِنَّا(فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً)، يقول:إنا حكمنا لك يا محمّد لمن سمعه أو بلغه على من خالفك و ناصبك من كفار قومك، وقضينا لك عليهم بالنّصر والظفر، لتشكر ربك وتحمده على نعمته بقضائه لك عليهم، وفتحه ما فتح لك، ولتسبحه وتستغفره، فيغفر لك بفعالك ذلك ربّك ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخّر بعد فتحه لك ذلك ما شكرته واستغفرته." (2).

فالله يخاطب نبيّه– عليه السّلام –ممتنّا عليه بأنه قضى له بالفتح و النّصر على أعدائه و إتمام نعمته عليه،

و في ذلك من التفخيم لشأن الرسول–صلّى الله عليه وسلّم – و إعلاء شأنه و منزلته ما لا يخفى، و قد دل على هذه الفخامة بالإضافة إلى التّعبير بلفظ الماضي في(فَتَحْنَا)و المراد تحقيقه في المستقبل، الالتفات من التّكلّم إلى الغيبة.(3) كما أن في تقديم الجار و المجرور(لَكَ)على الفاعل وهو لفظ الجلالة (اللهُ)، دلالة على كمال العناية و في ذلك زيادة تشريف له- عليه السّلام -.

وقال أبو حيان:" أسنده تعالى– أي الفتح– إلى نون العظمة تفخيما لشأنه– عليه السلام- ، وأسند تلك الأشياء الأربعة إلى الاسم الظاهر واشتركت الخمسة في الخطاب له–صلّى الله عليه وسلّم– تأنيسا له وتعظيما لشأنه، ولم يأت بالاسم الظاهر لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر."(4)

وفي إظهار الاسم الأعظم الدّال على الألوهية التي معناها العبودية و الطاعة عند ذكر المغفرة و النّصر مناسبة، ذلك أن العبد يرجو عفو و غفران سيِّده عنه عند الزّلل، وعند غضبه و سخطه عليه، و يطمع في إحسانه إليه إذا أدّى ما عليه، وحال الرِّضى عنه؛ والضّعيف المستغيث إنّما يستعين ويستنصر بإلهه ومولاه الذي يراه أقدر و أقوى من كلّ شيء، فيستمدّ منه القوّة و النّصر.

قال الزّركشي:" لم يقل(لِيَغْفِرَ لَكَ)، تعليقا لهذه المغفرة التّامة باسمه المتضمِّن لسائر أسمائه الحسنى، و لهذا ــــــــ

(1) سورة الفتح / الآيات 01-03.

(2) تفسير الطبري: ج26 / ص 67-68، و قد أورد الأقوال في معناها، و بيّن أن اختياره لما ذهب إليه كان بناء على ما أمر به الله نبيّه– عليه السّلام – من الاستغفار و التّسبيح إذا جاءه النّصر و الفتح، في سورة النّصر. و تراجع الأقوال أيضا في: الكشاف: ج3 / ص 540 -541، و فتح القدير: ج5 / ص 44 – 45.

(3) ينظر: الكشاف وحاشية الجرجاني عليه: ج3 / ص 540- 541.

(4) تفسير البحر المحيط: ج8 / ص91.

علق به النّصر فقال:(وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً)". (1)

3- قوله– تعالى-:(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١) **(2)**

وموضع الالتفات في الآية الكريمة هو في قوله – سبحانه- (بَارَكْنَا) إلى التّكلّم بنون العظمة بعد الغيبة في(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) (3)، و مقتضى الظاهر القول :(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَ حَوْلَهُ لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

وعن السِّر في هذا الالتفات يقول الآلوسي:" وصرف الكلام من الغيبة التي في قوله– سبحانه- سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)إلى صيغة المتكلّم المعظّم في(بَارَكْنَا) و(نُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) لتعظيم البركات والآيات، لأنها كما تدلّ على تعظيم مدلول الضمير تدلّ على عظم ما أضيف إليه و صدر عنه، كما قيل: إنّما يفعل العظيمَ العظيمُ. و قد ذكروا لهذا التّلوين نكتة خاصّة هي أن قوله– تعالى–الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً) يدلّ على مسيره –صلّى الله عليه وسلّم – من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، فهو بالغيبة أنسب، وقوله (بَارَكْنَا حَوْلَهُ) يدلّ على إنزال البركات، فيناسب تعظيم المنزل، و التّعبيربضمير العظمة متكفّل بذلك؛وقوله– سبحانه– (لِنُرِيَهُ) على معنى بعد الاتصال و عند الحضور فيناسبالتّكلّم معه." (4).

وقال ابن الأثير:"لما بدأ الكلام بِ(سُبْحَانَ) ردفه بقوله(الَّذِي أَسْرَى)، إذ لا يجوز أن يقال: (الذي أسرينا)، فلما جاء بلفظ الواحد، و الله– تعالى- أعظم العظماء، و هو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع، استدرك الأوّل بالثّاني فقال:(بَارَكْنَا)." (5).

4- قوله – تعالى-:(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ۝٦٤) **(6)**

---

(1) البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 316. و عن عدم إظهار لفظ الجلالة في الفعلين(يُمَّ) و (يَهْدِيَكَ)، قال الرّازي:" أن الأفعال الكثيرة إذا صدرت من فاعل يظهر اسمه في الفعل الأوّل و لا يظهر فيما بعده، تقول : جاء زيد و تكلم، و قام و راح. و لا تقول: جاء زيد وقعد زيد، اختصارا للكلام بالاقتصار على الأوّل، و هاهنا لم يقل:(وَ يَنْصُرَكَ نَصْراً)، بل أعاد لفظ(الله) فنقول: هذا إرشاد إلى طريق النّصو، و لهذا قلّما ذكر الله النّصر من غير إضافة "، و أورد جملة من الآيات التي جاء فيها النّصر مضافا إلى لفظ الجلالة. ينظر: التفسير الكبير: ج28 / ص 79

(2) سورة الإسراء / الآية 01.

(3) في الآية التفاتان آخران على قراءة أخرى. ينظر: الفصل الثّالث: المبحث الثّاني: ص 195-196، من هذا البحث، و رابع مختلف فيه، ينظر: الفصل الثّاني: المبحث الثّاني: ص 126-127.

(4) روح المعاني: ج15 / ص 13-14. و ليراجع في ذلك أيضا: الكشاف: ج2 /ص 437، و تفسير النسفي: ج2 / ص 437.

(5) المثل السّائر: ج2 / ص 175- 176.

(6) سورة النساء / الآية 64.

التفت – سبحانه– من الخطاب في قوله (جَاؤُوكَ)إلى الغيبة في(اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ). و عن السرّ في ذلك يقول الزّمخشري:"و لم يقل:(و اسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) و عدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن الرسول –صلّى الله عليه السّلام – و تعظيما لاستغفاره، و تنبيها على أن شفاعة من اسمه الرّسول بمكان." (1).

5- قوله – تعالى-:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾) (2)

في الآية التفات إلى الخطاب في قوله- سبحانه-:(وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ)عن الغيبة في الآية التي قبلها (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (3)، مفاده بيان شرف و علوّ منزلة السّابقين في الإيمان و الهجرة و الجهاد من المهاجرين و الأنصار.

يقول أبو السعود:"(فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) أي من جملتكم أيها المهاجرون و الأنصار، و هم الذين يقولون: ربّنا اغفر لنا و لأخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ألحقهم الله- تعالى- بالسّابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الإيمان و الهجرة، و في توجيه الخطاب إليهم بطريق الالتفات من تشريفهم و رفع محلهم ما لا يخفى."(4)

6- قوله – تعالى-:(إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾) (5)

التفت – سبحانه- إلى خطاب المؤمنين في قوله(فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ) بعد الغيبة فيما قبله، زيادة في تشريفهم و سرورهم و حثّا لهم على الاستبشار بإظهار السرور.(6)

7- قوله – تعالى-:(إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾

---

(1) الكشاف: ج1 / ص 538. و يراجع في ذلك: تفسير النسفي: ج1 / ص 230 ، ففيه العبارة نفسها، و الإيضاح في علوم البلاغة: ج2 / ص 91-93، و فتح القدير:ج1 / ص 483.

(2) سورة الأنفال / الآية 75.

(3) سورة الأنفال / الآية 74.

(4) تفسير أبي السعود: ج4 / ص 38.

(5) سورة التوبة / الآية 111.

(6) ينظر:روح المعاني: ج11/ص29، وتفسير أبي السعود:ج106/4، وتفسير الجلالين:ج1/ص 201. وذكر أبو حيان، بعد أن بيّن الالتفات،أن صيغة "استفعل" في(فَاسْتَبْشِرُوا) ليست للطلب،بل هي بمعنى "أفعل" كاستوقد و أوقد.ينظر:تفسير البحر المحيط:ج5/ ص106.

شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾) (1)

في النّص التفات من الغيبة في قوله– سبحانه – (اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)إلى التّكلّم في (وَآتَيْنَاهُ) تفخيما لشأن إبراهيم– عليه السّلام – و تشريفا له، و إيذانا بكمال العناية بأمره. (2)

8- قوله – تعالى - :(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ **) (3)**

التفت- سبحانه– من التّكلّم بنون العظمة إلى الإخبار عن نفسه في (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) بإيراد لفظ "الرّب" مضافا إلى كاف الخطاب العائد إلى النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم -.

ونكتة هذا الالتفات هي إرادة تخصيص النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – بالذّكر، و الإشارة إلى أن إنزال الكتاب إنّما هو إليه– عليه السّلام – لحكمة الإنذار و للغاية التي هي رحمته– تعالى- بالعباد، و أنه قد شرفه – عليه السّلام – بحمل ذلك الكتاب و تلك الرّسالة، و تحقيق تلك الحكمة و بلوغ تلك الغاية، ولذلك كانت إضافة ضميره – عليه السّلام – إلى لفظ الرّبوبية (4)، ثم للإيذان باقتضاء الرّبوبية الرّحمة على المربوبين.(5)

ونقل الألوسي قولا مفاده أن الخطاب في الآية خاص بالنّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– أريد به العموم،وأنه تُعقِّب بأن لو كان كذلك لفاتت الفائدة من هذا الالتفات التي هي، مع الاختصاص و التّشريف، مناسبة واقتضاء الرحمة على المربوبين. (6)

9- قوله- تعالى-:(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾**) (7)**

يخبر الله- تعالى– عن حال السّعداء الذين آمنوا بالله و صدّقوا المرسلين، و امتثلوا ما أمروا به فعملوا ــــــــ

(1) سورة النحل / الآيات 120-122.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 149، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 363.
(3) سورة الدخان / الآيات 03-06.
(4) ويؤيد هذا القول تفسير من فسّر الرّحمة بالرّسالة . ينظر: تفسير السمرقندي: ج3 / ص 267 ، و تفسير من فسّرها بالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – نفسه . ينظر: تفسير القرطبي :ج16 / ص 128 .
(5) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج8 / ص34، و تفسير أبي السعود: ج8 / ص 58.
(6) روح المعاني :ج 25 / ص 115.
(7) سورة يونس / الآية 09.

الصالحات، بأنه سيهديهم بسبب إيمانهم في الدنيا و يوم القيامة على الصّراط حتى يجوزوه و يخلصوا إلى الجنة، أو أن هذا الإيمان سيكون لهم معينا أي نورا يمشون به حتى يدخلوا الجنة.(1).

وفي هذا الإخبار التفات إلى الغيبة في (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ) عن التّكلّم في قوله – سبحانه -:(إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).(2).

وفي الالتفات بإيراد لفظ "الرّب" مضافا إلى ضمير(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، تشريف لهم وإشعار بعليّة الهداية و هي الإيمان.(3)

وقال الطاهر بن عاشور:" و في العدول عن اسم الجلالة العلم إلى وصف الرّبوبية مضافا إلى ضمير (الذين آمنوا) تنويه بشأن المؤمنين و شأن هدايتهم، بأن جعل مولى لأوليائه، فشأنها أن تكون عطيّة كاملة مشوبة برحمة و كرامة." (4).

كما أن لفظ "الرّب" مناسب لوصف"الإيمان"، ذلك أن الله أورد في الآيات التي سبقت جملة من الأدلة والبراهين الكونية الدّالة على ربوبيته ووحدانيته وتفرّده بالتّدبير، من خلق السموات والأرض وما فيهن، وإضاءة الشمس و إنارة القمر، و اختلاف الليل و النهار، و ذلك كله من معاني الرّبوبية، فاهتدى من اهتدى إليه،وكفر و أعرض من أعرض، فجازى الرّب السيّد الكافرين الغافلين عن تلك الآيات بالنّار، بينما المؤمنون الذين اهتدوا إلى ربهم بهذه الآيات في الدنيا، هداهم في الآخرة بإيمانهم إلى الجنّة.

10- قوله – تعالى-:(وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣) (5)

في الآية التفات إلى التّكلّم بنون العظمة في (نَزَّلْنَا) بعد الغيبة في قوله– سبحانه–:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (6)، و مقتضى الظاهر القول:(مِمَّا نَزَّلَ عَلَى عَبْدِهِ)، و النّكتة في هذا الالتفات تعظيم وتفخيم وإعلاء منزلة المنزَل و المنزَل عليه لاسيما مع التّعبير بنون العظمة في(نَزَّلْنَا) وفي(عَبْدِنَا) (7) ووصفه– عليه السّلام– بأعظم و أحبّ الأوصاف إليه– سبحانه- و هو وصف العبودية، و قد وصفه به ــــــ

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: ج 3 / ص 312.
(2) سورة يونس / الآيتان 07-08.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 123.
(4) تفسير التحرير و التنوير: ج11 ص 102.
(5) سورة البقرة / الآية 23.
(6) سورة البقرة / الآية 22.
(7) ينظر: روح المعاني: ج1 / ص 193. و قد سبق بيان التفات آخر في الآية، دلالته تربية المهابة والتبكيت. ينظر:المبحث السّابق: ص 57.

في أعلى مكان و أقربه إليه في الإسراء و المعراج فقال:(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) (1).

11- قوله– تعالى-:(ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٩) (2)

يخبر– سبحانه – أنه سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويّا معتدلا و نفخ فيه من روحه، فصار حيا ناطقا،ثم يتوجه إلى النّاس بالخطاب:ثم أعطاكم أيها النّاس السمع تسمعون به الأصوات والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة تعقلون بها الخير من السوء،لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك ولكنكم شكرا قليلا تشكرون.(3)

وفي قوله– سبحانه-:(وَجَعَلَ لَكُمُ) التفات إلى خطاب نوع الإنسان بعد الغيبة في (سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) تشريفا له بالخطاب بعد أن صار أهلا له بنفخ الرّوح فيه.(4)

قال الرّازي:" قال:(وَجَعَلَ لَكُمُ) مخاطبا و لم يخاطب من قبل، و ذلك لأن الخطاب يكون مع الحي، فلما قال: (نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ)، خاطبه من بعده و قال:(وَجَعَلَ لَكُمُ)."(5).

2- التّسلية والتّثبيت والتلطف: ومن المواقع في القرآن التي خدم فيها الالتفات هذه الدّلالة:

1- قوله- تعالى-:(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾) (6)

وفائدة الالتفات من التّكلّم بنون العظمة في (جَعَلْنَا) إلى الغيبة في(رَبُّكَ) بالإضافة إلى ضمير الخطاب العائد إلى النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- هي الإعراب عن كمال اللّطف به- صلّى الله عليه وسلّم- والتّسلية عنه، لما يجده من صدٍّ من المشركين وافتراء عليه.

يقول أبو السعود:"(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ) رجوع إلى بيان الشؤون الجارية بينه و بين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الأنبياء- عليهم السّلام- و بين أممهم، كما ينبئ عنه الالتفات و التعرض لوصف الرّبوبية مع ــــــــ

(1) سورة الإسراء / الآية 01.
(2) سورة السجدة / الآيات07-09.
(3) ينظر: تفسير الطبري: ج21 / ص 93.
(4) ينظر: روح المعاني: ج21 / ص 124، و تفسير أبي السعود: ج7 / ص 82.
(5) التفسير الكبير: ج25 / ص 174.
(6) سورة الأنعام / الآية 112.

الإضافة إلى ضميره المعربة عن كمال اللّطف في التّسلية، أي: و لو شاء ربّك عدم الأمور المذكورة- لا إيمانهم كما قيل- ما فعلوه، أي: ما فعلوا ما ذكر من عداوتك و إيحاء بعضهم إلى بعض مزخرفات الأقاويل الباطلة المتعلّقة بأمرك خاصّة، لا بما يعمّه و أمور الأنبياء – عليهم السّلام – أيضا كما قيل." (1).

2- قوله – تعالى-:(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾) (2)

وموضع الالتفات هو في قوله -سبحانه-:(إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ)بالعدول إلى الغيبة و الظاهر(إِذْ قُلْنَا لَهُ أَسْلِمْ).(3) و إيراد لفظ "الرّب" مضافا إلى الضمير العائد على إبراهيم- عليه السّلام-، بعد التّكلّم بنون العظمة في(اصْطَفَيْنَاهُ) و فيه إظهار لمزيد اللّطف به – عليه السّلام – و الاعتناء بتربيته، و أن إضافة لفظ "الرّب" في الجواب إلى (العَالَمِينَ) للإيذان بكمال قوّة إسلامه،حيث أيقن حين النّظر شمول ربوبيته-تعالى- للعالمين قاطبة لا لنفسه فقط كما هو المأمور به ظاهرا.(4).

3- قوله – تعالى-:(وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾) (5)

التفت – سبحانه– في قوله:(وَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ)إلى الإخبار عن نفسه، بإيراد لفظ"الرّب" مضافا إلى ضمير الخطاب العائد إلى النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم-، بعد التّكلّم بنون العظمة في (عَلِمْنَا).

وحكمة هذا الالتفات هي، بالإضافة إلى التّسلية عن النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – و تثبيته على الحقّ الذي جاء به و قد كذّبه المشركون و عارضوه و وصفوه بالجنون و السِّحر، كما يتبيّن ذلك من المقطع الأوّل من السّورة (6)، بيان علّية الحكم الذي هو الحشر، و هو وصف مناسب للرّبوبية على الخلق، إذ قد بيّن الله – تعالى– في المقطع الثّاني من السّورة (7) بعضا من عظيم خلقه في هذا الكون الدّال على وحدانيته و ربوبيته، و التي لا يمكن لعقل سليم أن يجحدها أو يكذّب بها، و إن كذّب بالكتاب المقروء المنزَّل على ـــــــ

(1) تفسير أبي السعود: ج3 / ص 176.
(2) سورة البقرة / الآيتان 130-131.
(3) تفسير البحر المحيط: ج1 / ص566.
(4) ينظر: روح المعاني: ج1 /ص 388.
(5) سورة الحجر / الآيتان 24– 25.
(6) من الآية 01 إلى الآية 15.
(7) من الآية 16 إلى الآية 22.

محمد –صلّى الله عليه وسلّم– ، و أن الذي بيده الإماتة بيده الإحياء، فمنه وحده – سبحانه– الابتداء
و إليه المصير و الانتهاء.(1)

3– الإشعار بعليّة الحكم : و يمكن التّمثيل لهذه الدّلالة بالآتي:

1- قوله– تعالى-:(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾)(2)

الالتفات في الآية الكريمة هو في لفظ (الرَّسُول)، من التّكلّم إلى الغيبة، بالإظهار بدل الإضمار، ومقتضى الظاهر قول: (وَ أَطِيعُونِي). و دلالة ذلك تعيين حيثية الإطاعة و الإشعار بعلّتها، إذ الإطاعة المأمور بها من موجبات الرّسالة و دواعيها، فإطاعته إنّما هي لأنه رسول لا من حيث ذاته. (3)

2- قوله – تعالى-:(إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾) (4)

في الآية عدول و التفات عن التّكلّم بنون العظمة في قوله- سبحانه-(بِآيَاتِنَا) إلى الغيبة في (رَبِّهِمْ) بإيراد لفظ "الرّب"مضافا.
ودلالة هذاالالتفات هي بيان علّة التّسبيح والتّحميد،وأنه إنّما يفعلون ذلك لإيمانهم بربوبيته– سبحانه– فهم لا يستكبرون عن طاعته و الإذعان له.(5)

3- قوله –تعالى-:(قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾) (6)

التفت الله – عزّ و جلّ– في الآية الكريمة من التّكلّم في قوله (يَا عِبَادِيَ) إلى الغيبة في (رَحْمَةِ اللَّهِ) بإيراد الاسم الجليل و إضافة الرّحمة إليه، و ذلك بيانا للعليّة و المناسبة؛ فإن الاسم الجليل شامل لجميع معاني الأسماء، و سعة رحمته – سبحانه– شاملة، تشمل التائب و غيره..(7)

والعبودية هي معنى الألوهية، إذ الإله هو المعبود، و هو ما يدلّ عليه الاسم الأعظم"الله"، و من صفات ــــــــ

(1) يراجع هذا الالتفات و الحكمة منه في: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 73، و روح المعاني: ج14 / ص 33 ،كما يراجع تفسير المقطعين في: في ظلال القرآن: ج4 / ص 2132– 2135.
(2) سورة آل عمران / الآية 32.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 25، و روح المعاني: ج3 / ص 130.
(4) سورة السجدة / الآية 15.
(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج7 / ص 84، و روح المعاني: ج21 / ص 130.
(6) سورة الزمر / الآية 53.
(7) ينظر: روح المعاني: ج24 / ص 14، و جواهر البلاغة: ص 239.

هذا الإله المعبود الذي له حقّ الطّاعة أنه رحيم، يرحم من قصّر في أداء هذا الحقّ بالمعصية، فناسب إظهار الاسم الجليل هذا المعنى، فكان أبلغ من الإضمار، و زيد في تأكيد هذا المعنى بإظهاره مرة أخرى في قوله –سبحانه- إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً).

قال الرّازي: " قال أوّلا:(يَا عِبَادِيَ)وكان الأليق أن يقول: (لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِي) لكنه ترك هذا اللّفظ و قال: (لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)لأن قولنا (الله) أعظم أسماء اللهو أجلّ ها، فالرّحمة المضافة إليه يجب أن تكون أعظم أنواع الرحمة." (1)

4- قوله – تعالى-:(نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾) (2)

في النّص القرآنيّ التفاتان. الأوّل من التّكلّم في قوله– سبحانه-: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ)إلى الغيبة في (آمَنُوا بِرَبِّهِمْ)، بإيراد لفظ "الرّب" مضافا إليه ضمير الفتية، فائدته بيان علية إيمانهم، التي هي وصف الرّبوبية، و أنهم مربوبون و مملكون له– تعالى- ، قد اهتدوا إلى الإيمان به لما رأوا في هذا الكون من آثار الرّبوبية من خلق السموات والأرض و غيرها، و لم يكن ليحدث لهم ما حدث إلا لأنهم آمنوا بربّهم.

إضافة إلى فائدة أخرى هي التّمهيد، بإيراد وصف الرّبوبية، لما سيصدر عنهم بعدُ من المقالة:(رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ).

وأما الثّاني ففيه عدول عن الغيبة في (رَبِّهِمْ)إلى التّكلّم بنون العظمة في (زِدْنَاهُمْ)و هو الذي عليه سبك
النّظم، و فيه من الامتنان و تعظيم أمر الزّيادة و التّثبيت على الدّين ما فيه.(3)

4- التّغليب : و من الآيات القرآنية التي جاء الالتفات فيها خادما غرض التّغليب:

1- قوله- تعالى-:(وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾) **(4)**

---

(1) التفسير الكبير:ج27 / ص286-287. و أضاف في الموضع نفسه أن في تكرار إظهار الاسم الأعظم في (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً) مقرونا ب(إن) التوكيدية دلالة على المبالغة في الوعد بالرحمة.

(2) سورة الكهف / الآيتان 13-14.

(3) يراجع الالتفاتان و الحكمة منهما في: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 210، و روح المعاني: ج15 / ص 218، و تفسير البحر المحيط: ج6 / ص102. و المجيء بلفظ الإله في (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً) بدل لفظ الرّب، إنّما هو للمناسبة، إذ لم يقولوا: (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ رَبّاً).ذلك أنه لما كان الخلق من معاني الرّبوبية قالوا:(رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض) بإضافة لفظ "الرّب" إلى بعض عظيم مخلوقاته؛ و لمّا كان الدّعاء من العبادة – أو هو العبادة كما في الحديث – التي هي حقيقة الألوهية ناسب أن يقولوا:(إِنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً). وقال الزّمخشري: " شططا : أي قولا ذا شطط، و هو الإفراط في الظلم و الإبعاد فيه من شطّ إذا بعُد.". ينظر: الكشاف: ج2 / ص 474.

(4) سورة النور / الآية 10.

في الآية التفات إلى الخطاب بعد الإخبار عن الرّامين والمرميّات في آيات الملاعنة وهي قوله- سبحانه-: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ*وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (1)

يقول أبو السعود عن فائدة هذا الالتفات:"التفات إلى خطاب الرّامين و المرميّات بطريق التّغليب لتوفية مقام الامتنان حقّه. و جواب لولا محذوف لتهويله و الإشعار بضيق العبارة عن حصره،كأنه قيل: و لولا فضله- تعالى- عليكم و رحمته و أنه- تعالى – مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله و أحكمه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللّعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان." (2)

2- قوله- تعالى-:(وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾) **(3)**

والالتفات هو في قوله- سبحانه-:(ثُمَّ رُدُّوا)،إلى الغيبة، من الخطاب في (أَحَدَكُمُ)و (عَلَيْكُمْ).

يقول أبو السعود: "(ثُمَّ رُدُّوا) عطف على (تَوَفَّتْهُ)، و الضمير للكلّ المدلول عليه ب (أَحَدَكُمُ) وهو السرّ في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا، و الإفراد أوّلا والجمع آخرا لوقوع التّوفي على الانفراد و الرّد على الاجتماع، أي : ثم ردّوا بعد البعث إلى الله أي إلى حكمه و جزائه في موقف الحساب."(4).

وينضاف إلى التّغليب كسرٌ في هذا الالتفات سرٌّ آخر، هو مناسبة صيغة الغيبة للردّ، ذلك أن إرسال الحفظة يكون حال الشّهادة، وكذلك مجيء الموت إذ هو آخر الحياة الدنيا، على خلاف الحشر فهو غيب لا سبيل للحيّ ولا للميّت إلى معرفته، فكونه غيبا ناسبته الغيبة.

ومراعاة للمناسبة نفسها كان الالتفات الثّاني من التّكلّم بنون العظمة في قوله- سبحانه- :(رُسُلُنَا) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في (ثُمَّ رُدُّوا إلى الله)، إضافة إلى أن ملك ذلك

اليوم بيده وحده – سبحانه– وهو غيب، يحكم فيه بين الخلائق بالحقّ و العدل، فيزيد إظهار الاسم الأعظم "الله" من هيبته و مهابة الحاكم– سبحانه- و عظمته و جلاله.

---

(1) سورة النور / الآيات 06-09. و قد نزلت هذه الآيات في هلال بن أميّة – رضي الله عنه- أحد الثّلاثة الذين خلّفوا في غزوة تبوك، و نزل في شأنهم قرآن في سورة التوبة / الآية 118- حين رمى زوجته بالزنا و لم يكن له بيّنة، فكان حكم اللّعان. تراجع القصة كاملة في: تفسير ابن كثير: ج5 / ص 34.

(2) تفسير أبي السعود: ج6 / ص 159. و نقل الآلوسي المعنى نفسه في: روح المعاني: ج18 / ص 110-111.

(3) سورة الأنعام / الآيتان 61-62.

(4) تفسير أبي السعود :ج3 / ص 145، و ذكر الشوكاني المعنى نفسه في: فتح القدير: ج2 / ص 125.

يقول الألوسي:"وذهب بعض المحقّقين إلى أن فيه التفاتا من الخطاب إلى الغيبة ومن التّكلّم إليها،لأن الرّدّ يناسبه الغيبة بلا شبهة،وإن لم يكن الرّدّ حقيقة لأنهم ما خرجوا من قبضة حكمه–سبحانه– طرفة عين."(1)

5- الجواب عما يتبادر من سؤال و الإشعار بتحويل الكلام: ويمكن يستشهد لهذه الدّلالة بقوله – تعالى - : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ **) (2)**

ففي الآية التفات إلى الغيبة في قوله– سبحانه– :(قَالَ)، أي: قال الله– تعالى- ؛ بعد التّكلّم بنون العظمة في قوله: وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (3)

يقول أبو السعود عن دلالة هذا الالتفات: " (قَالَ) استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده، كأنه قيل: فماذا قال الله– تعالى– حينئذ؟ و به يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة، إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة، و فيه فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلّق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق و التّصوير."(4).

6- إظهار الإقرار والمعرفة والتمكّن: و يمكن الاستشهاد في بيان هذه الدّلالة بالالتفات الواقع في قوله – تعالى-:(قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾**) (5).**

والآية في خصوص وفود بلقيس ملكة سبإ على سليمان – عليه السّلام– و إعلانها إسلامها أمامه بعد ما رأت من عظيم و عجيب ما أعطاه الله -تعالى-.

و موقع الالتفات هو قوله-تعالى- على لسان بلقيس:(لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى الغيبة، من الخطاب في: ــــــــ

(1) روح المعاني: ج7 / ص 177. ناهيك عما في الالتفات من التمهيد لما بعده و هو قوله - سبحانه – :(مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ).

(2) سورة الأعراف / الآية 12.

(3) سورة الأعراف / الآية 11.

(4) تفسيرأبي السعود: ج3 /ص 216 . و قد وافق الأستاذ الطاهر بن عاشور أبا السعود في الفائدة من هذا الالتفات.ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج 08: القسم:02 / ص 39.
(5) سورة النمل / الآية 44.

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي)،وكان مقتضى الظاهر أن تقول:(وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لَكَ). و الذّكتة في ذلك هي قصدها إظهار تمكن الإيمان بالله و بألوهيته و ربوبيته من قلبها، و لذلك قالت:(لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، ولم تقل: (لِسُلَيْمَانَ)، بل قالت: (مَعَ سُلَيْمَانَ).(1)

إن ما رأته بلقيس من عظيم ملك، و حكم و سلطان، بيد سليمان – عليه السّلام – جعلها تدرك أنه ملك لا كالملوك و حاكم لا كالحكام، وراءه من هو أعظم منه في ملكه و حكمه، فأدركت أن الإسلام والخضوع إنّما يكون لذلك الملك الحاكم الأعظم! كما أن ما رأت من عظيم الآيات المعجزات، وما سخّر لسليمان – عليه السّلام- من جنٍّ و إنس و طير و وحش، جعلها توقن بأن هذه المخلوقات يستحيل أن تنقاد و تطيع سليمان– عليه السّلام– إلا أن يسخّرها ربُّها وخالقها الذي بيده أمرها، فناسب إيراد وصف الرّبوبية هنا و وصف الألوهية هناك، فكأنها تقول: أسلمت للذي هذه أوصافه: إله و رب للعالمين.

يقول سيد قطب في تعليق جميل على قول بلقيس:" لقد اهتدى قلبها و استنار، فعرفت أن الإسلام لله ليس استسلاما لأحد من خلقه و لو كان هو سليمان النّبيّ الملك صاحب المعجزات، إنّما الإسلام إسلام لله ربّ العالمين، و مصاحبة للمؤمنين به و الدّاعين إلى طريقه على سنّة المساواة .. وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وسجّل السياق القرآنيّ هذه اللّفتة و أبرزها، للكشف على طبيعة الإيمان بالله، و الإسلام له، فهي العزّة التي ترفع المغلوبين إلى صف الغالبين، بل التي يصبح فيها الغالب و المغلوب أخوين في الله، لا غالب منهما ولا مغلوب و هما أخوان في الله .. ربّ العالمين ..على قدم سواء ..

ولقد كان كبراء قريش يستعصون على دعوة رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم– إيّاهم إلى الإسلام، وفي نفوسهم الكبر أن ينقادوا إلى محمّد بن عبد الله، فتكون له الرِّياسة عليهم و الاستعلاء ..فهي ذي امرأة في التاريخ تعلّمهم أن الإسلام لله يسوي بين الدّاعي و المدعوين و بين القائد و التّابعين..فإنّما يسلمون مع رسول الله لله رب العالمين!" (2)

7- تقويّة معنى الاعتراض: وقد يجيء الالتفات مقويّا معنى اعتراض في السّياق كما في قوله-تعالى-: (وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾) (3)

فقوله–سبحانه-: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشّيطان إِلَّا غُرُوراً) جملة اعتراضية ختمت بها الآية، جاء الالتفات فيها ــــــ

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 289، و روح المعاني: ج19 / ص 209.
(2) في ظلال القرآن: ج5 / ص 2643.
(3) سورة الإسراء / الآية 64.

إلى الغيبة مع إظهار اسم الشّيطان بدل إضماره، بعد الخطاب، و مقتضى الظاهر قول:(وَمَا تَعِدُهُمُ إِلاَّ غُرُوراً)؛ للدّلالة على تقويّة معنى الاعتراض، مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه من إعراض و بيان حاله للناس والإشعار بعليّة شيطنته، أي كونه شيطانا لا محالة سيغرِّر بالنّاس، أي: يزيِّن لهم الخطأ بما يوهم أنه صواب.(1)

8-دفع التّهمة: و يمكن إبراز هذه الدّلالة من خلال الالتفات الوارد في قول الله- عزّ و جل- :(قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤) **(2).**

و موقعه هو في قوله – تعالى-:(وأَطِيعُوا الرَّسول) إلى الغيبة من التّكلّم، و الظاهر أن يقال:(أَطِيعُونِي)، وذلك حثّا على الطّاعة و الاتّباع و دفعا لتهمة العصبيّة عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، و المراد:أطيعوا الرّسول بوصفه رسولا، صاحب رسالة، و ليس لشخصه.(3)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 184، و روح المعاني:ج15 /112.
و قد سبق الحديث من قبل عن مثالين جاء الالتفات فيهما مقويّا و مؤكدا معنى الاعتراض، و هما قوله – تعالى-:(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) سورة النحل / الاية 101، و قوله – تعالى-:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) سورة الرعد / الآية 41. يراجع المثالان في هذا الفصل: المبحث الأوّل: ص 97
(2) سورة النور / الآية 54.
(3) سبقت الإشارة من قبل إلى هذه الدّلالة عند الحديث عن هذا المثال و آخر شبيه به هو: قوله – تعالى-:(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) سورة الأعراف / الآية 158.وثالث هو قوله –تعالى-:(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) سورة آل عمران / الآية 32. يراجع المبحث الأوّل: ص 46، والمبحث الثالث:ص 80.

الفصل الثّاني

الفصل الثّاني

التفـــات مختلف فيه

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في فهم الأسلوب

و تحديد طبيعته أو في شرط من شروط الالتفات.

المبحث الثّاني: اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في القول بعود

الضّمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه.
المبحث الثّالث: أسباب أخرى للاختلاف.

المبحث الأوّل

اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته أو في شرط من شروط الالتفات.

أوّلا: الاختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته.

ثانيا: الاختلاف في القول بشرط من شروط الالتفات.

أوّلا: الاختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته:

قد يختلف في القول بالالتفات في موضع من المواضع في القرآن الكريم تبعا للاختلاف في ضبط الأسلوب و تحديد طبيعته، ففي الوقت الذي يراه البعض التفاتا قد يراه آخرون تجريدا أو تغليبا أو تلوينا للخطاب أو غيرها من الأساليب. و من أمثلة ذلك:

1- قوله-تعالى-:(فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾) (1)

قوله-سبحانه-:(فَتَوَلَّى)، أي: شعيب – عليه السّلام - تولّى عن قومه بعد أن أهلكهم الله – تعالى– بالرّجفة، و رأى ما حلّ بهم من العذاب فاشتدّ حزنه عليهم، ثم أنكر على نفسه فقال:كيف يشتدّ حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم؟! أو أراد: لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنّصح والتحذير مما حلّ بكم فلم تسمعوا قولي و لم تصدقوني فكيف آسى عليكم ؟!فهو لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقّاء بالأسى. (2)

وقد قيل إن في قول شعيب – عليه السّلام– (فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) تجريدا، حيث جرّد –عليه السّلام – من نفسه شخصا و أنكر عليه حزنه على قوم لا يستحقونه. (3)

وقيل بل فيه مع التّجريد التفات، حيث التفت عن الخطاب إلى التّكلّم.

وذهب آخرون إلى أنه ليس من الالتفات والتّجريد في شيء،ذلك أن "قال" يقتضي صيغة التّكلّم وهي تنافي التّجريد، إنّما هو رجوع، وهو العود على الكلام السّابق بالنّقض، لأنه إذا كان قوله(لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ) تأسفا فهو ينافي ما بعده، فكأنه بدا له و رجع عن التأسف منكرا لفعله الأوّل.(4)

---

(1) سورة الأعراف / الآية 93.

(2) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 97، و تفسير الطبري: ج9 / ص 6.

(3) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج 09 / ص 15.

(4) يراجع القولان الأخيران عند الألوسي في: روح المعاني: ج9 / ص 08، و قد اختار كونه رجوعا و قال عن نكتته أنها الإشعار بالذهول لشدّة الحيرة بحيث لا يفرق بين ما هو كالمتناقض من الكلام و غيره. وليراجع أيضا مفهوم كل من التجريد و الرّجوع في: جواهر البلاغة:ص 374 – 375، 386 و الرّجوع هو السّلب و الإيجاب عند مؤلفه، و المثل السّائر: ج2 / ص 162-170.

و ذهب يحي العلوي إلى أن التجريد إخلاص الخطاب إلى غيرك و أنت تريد به نفسك، و قد يطلق على إخلاص الخطاب إلى نفسك خاصّة دون غيرها، و الأوّل محض والثّاني تجريد غير محض. ومثل للأول بقول الشّاعر في مطلع قصيدة له:

إلام المجد في زي شاعـــر و قد نحلت شوقا فروع المنابر

كتمتَ بعيب الشّعر حلما وحكمة ببعضها ينقاد صعب المفاخر
إما و أبيكَ الخير لأنك فارس ال مقال و محيي الدّراسات الغوائر
و إنك أعييتَ المسامع و النُّهى بقولك عما في بطون الدفاتر
=

2- قوله – تعالى-:(قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾) (1)

قيل بتلوين الخطاب في قوله – عز و جل-:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)بتوجيه النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– إلى مخاطبة فريقي أهل الكتاب بعد الإخبار عنهم في قوله – عز و جل-:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (2)، ثم تفصيل أحوال كل فريق منهما بعد ذلك.(3)

ويرى أبو السعود أن في الآية مع التلوين التفاتا فيقول:"(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) تلوين للخطاب و توجيه له إلى فريقي أهل الكتاب بطريق الالتفات على لسان النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – بعد إبطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل."(4) .

3- قوله– تعالى-:(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾) (5)

قيل بالتّغليب في قوله-تعالى–(لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) أي تغليب من يتأتّى منهم الزّفير ممّن فيه حياة على غيره من الأصنام، إذ نسب الزّفير للجميع، على أن الضمير في(أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) للعابدين والمعبودين جميعا(6).وقيل المراد الذين ادّعوا الألوهية من أمثال فرعون وأطاعهم النّاس واتبعوهم. وقيل بل المراد الأصنام وجوِّز أن يجعل الله فيها أرواحا فيكون حالها حال من عبدها فلا تغليب.(7)

= و من مثال الثّاني قول القائل: (أقول لها و قد جشأَتْ و جاشَتْ مكانَك تحمدي أو تستريحي). ينظر: كتاب الطراز: ص 434-435. والالتفات الذي يمكن أن يقال به هو في الإظهار بدل الإضمار في قوله- تعالى-:(عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)،وكان مقتضى الظاهر قول:(فكيف آسى عليكم)، فالتفت إلى الغيبة ليتأتى وصفهم بالكفر، فتستبين علّة ترك الحزن والآسى عليهم، زيادة في تعزية نفسه.

(1) سورة المائدة / الآية 77.

(2) سورة المائدة / الآية 68.

(3) ينظر: روح المعاني: ج6 / ص 210. و قيل إنّما أمر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – بتوجيه الخطاب لرؤساء اليهود و النّصارى المعاصرين له دون عمومهم. ينظر: زاد المسير في علم التفسير:عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثّالثة، 1404هـ: ج2 / ص 405 ، وقيل إلى النّصارى خاصّة. ينظر: تفسير البيضاوي:ج2/ ص 355، و تفسير التحرير والتنوير:ج6/ص290.

(4) تفسير أبي السعود: ج3 / ص 68. و الظاهر أن لا التفات فيه، إذ لم يوجِّه الله – تعالى– الخطاب إليهم مباشرة بل أمر نبيّه – عليه السّلام – بمخاطبتهم ، فهو خروج من إخبار عنهم إلى خطاب للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – بتوجيه القول إليهم.

(5) سورة الأنبياء / الآيات 98-100.

(6) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج17 / ص 152، و فتح القدير: ج3 / ص 428.

(7) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص316.

وقيل بل الضمير في (لَهُمْ) عائد على المخاطبين في (إِنَّكُمْ) وهم مشركو مكة فيكون التفاتا من الخطاب إلى الغيبة، ولا حاجة إلى القول بالتّغليب أصلا. وردَّ هذا القول بأنه يوجب تنافرا في النّظم الكريم، إذ في قوله – تعالى– (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) جمع بينهم تغليبا للمخاطبين، فلو خص (لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) للزم التّفكيك، وكذلك في قوله – سبحانه – (وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ).(1)

4- قوله – تعالى-:(وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ **) (2)**

الآيات في قصّة إبراهيم – عليه السّلام- مع قومه. و قد قيل بالالتفات إلى الخطاب في قوله – تعالى-: (إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً) إلى قوله – تعالى-:(وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)، من الغيبة في قوله-تعالى-(وَإِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ).(3)

والظاهر أن هذا القول مبنيٌّ على الخلاف في حدِّ الالتفات نفسه، فمن رأى في الاعتراض التفاتا، قال بالالتفات في هذا الموضع، بمعنى أنه متى خرج عن الكلام الأوّل ثم عاد إليه على وجه يلطف كان ذلك التفاتا؛ وقد خرج الكلام عن الحكاية عن إبراهيم – عليه السّلام - وقومه إلى الخطاب، ثم عاد إلى الحكاية

---

(1) ينظر: روح المعاني: ج17 /ص 97، و فتح القدير: ج3 / ص 428.
(2) سورة العنكبوت / الآيات 16-24.
(3) ينظر: إعجاز القرآن: ص 101، و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 323 –324.
في قوله- سبحانه-:(فَمَا كانَ جَوابَ قَوْمِهِ).
لكن هل المقصود بالخطاب في المنتقل إليه قوم إبراهيم، و هو المتبادر المفهوم من كلام الباقلاّني (1)، أم مشركو مكة من قوم الرسول محمّد –صلّى الله عليه وسلّم – ؟
فأما جعله لأهل مكّة في هذا الموضع فلم يُذكَر- و الله أعلم- عند المفسِّرين؛ و إنّما قيل بخطابهم في قوله-تعالى(وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) إلى قوله:(وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) (2).

وصرّح بكونه- أي الخطاب بين طرفي الحكاية- اعتراضا الزّركشي، لكن إلى قوله- تعالى-:(وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، وذلك عند حديثه عن الاعتراض(3)،الذي قال عنه: "وأسماه قدامة التفاتا."(4).

ومعلوم أن الباقلاّني يجعل الالتفات والاعتراض أمرا واحدا(5). و أما الزّركشي فظاهر مما كتب في باب الالتفات أنه حاول إحاطة القارئ بما كُتِب و ما قيل عنه فجمع ما كان بخصوصه، وإن أبدى ميوله لرأي الجمهور (6)، فأورد – وهو يجمع- هذا المثال في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب الذي ذكره الباقلاّني.

وذهب الزّمخشري إلى احتمال أن يكون قوله- تعالى-: وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) و ما بعده إلى قوله:(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) من جملة قول إبراهيم – عليه السلام- لقومه، أو أن يكون وقع اعتراضا في شأن الرّسول –صلى الله عليه وسلّم- وشأن قريش بين أوّل قصّة إبراهيم و آخرها. (7)

واختار الطّبري القول بالاعتراض، فقال:"فإن قال قائل: وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله(وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ)إلى قوله(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، وترك ضمير قوله(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) و هو من قصّة إبراهيم، و قوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) إلى قوله(فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ؟ قيل: فعل ذلك كذلك لأن الخبر عن أمر نوح و إبراهيم وقومهما و سائر من ذكر من الرّسل و الأمم في هذه السّورة وغيرها إنّما هو تذكير من الله -تعالى ذكره - به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر وتحذير منه لهم أن يحلّ بهم ما حلّ بهم، فكأنه قيل في هذا الموضع: فاعبدوه و اشكروا له إليه ترجعون فكذّبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمّدا كما كذّب أولئك إبراهيم. ثم جعل فكذّبتم: وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم، إذ كان ذلك يدلّ على الخبر عن تكذيبهم رسولهم، ثم عاد إلى الخبر عن إبراهيم وقومه وتتميم قصّته وقصّتهم بقوله:(فَمَا كَانَ جَوَابَ ـــــــ

(1) ينظر: إعجاز القرآن: ص101.
(2) ينظر: تفسير القرطبي: ج13 / 335 ، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 523.
(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 /ص 63.
(4) البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 56.
(5) يراجع: التمهيد: ص 10-11.
(6) يراجع: التمهيد: ص 21.
(7) الكشاف: ج3 / ص 201، و قد أورد الألوسي المعنى نفسه في: روح المعاني: ج20 / ص 145.

قَوْمِهِ)." (1)

ورأى ابن كثير(2) أن الكلام كلّه من إبراهيم- عليه السّلام-، بعد أن أورد القول بالاعتراض و اختيار ابن جرير الطبري له، فقال:" والظاهر من السّياق أن كلّ هذا من كلام إبراهيم الخليل- عليه السّلام – يحتجّ عليهم لإثبات المعاد لقوله بعد هذا كلّه: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) و الله أعلم." (3) وبه أيضا قال البيضاوي(4)وجوّز الاحتمال الثّاني.(5)

كما اختاره أيضا أبو السعود إلاّ قوله- سبحانه- :(أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فرآه من كلام الله – تعالى- لا من كلام إبراهيم – عليه السّلام – ينكر فيه على قوم إبراهيم تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله و سنوح سبيله. و قراءة الخطاب فيه لتشديد الوعيد و تأكيده؛ و أن قوله (قُلْ سِيرُوا أمر من الله لإبراهيم بأن يقول لهم ذلك فيكون من كلامه - عليه السّلام-.(6)

وذهب القرطبي(7) إلى أن الاعتراض إنّما يبدأ من قوله– تعالى-:(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) إلى قوله:(أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) و أن الخطاب فيه للنّبيّ– عليه السّلام– ليقول لقومه ما أمر بقوله تذكيرا و تحذيرا لهم، ثم عاد بعده إلى قصّة إبراهيم– عليه السّلام-.(8)

و ظاهر أن لا التفات على احتمال كون الكلام من إبراهيم -عليه السلام-.(9)

وجملة القول أن الباقلاّني يرى الاعتراض التفاتا فقال به في هذا الموضع، و تبعه في ذلك الزّركشي، وأمّا من لا يراه من الالتفات فسمّاه اعتراضا فقط، و إن اختلف في تحديد موضعه.

---

(1) تفسير الطبري: ج20/ ص 140، و اختاره الشوكاني أيضا و أورد قراءة التّاء في(أَوَلَمْ يَرَوْا) على أن الخطاب فيها من إبراهيم لقومه، أو أنه من الله لقريش. ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 197–198.

(2) هو أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي،البصري ثم الدمشقي.ولد في "بصرى" بالشام سنة 705هـ،رحل في طلب العلم إلى دمشق وله سبع سنين.كان فقيها متقنا، ومحدّثا بارعا، ومؤرخا ماهرا، ومفسّرا ضابطا.توفي سنة 774هـ.من مؤلفاته: "تفسير القرآن العظيم" و " البداية و النهاية " و "جامع المسانيد". ينظر: مباحث في علوم القرآن: ص 386-387، و مباحث في أصول التفسير: ص150.

(3) تفسير ابن كثير: ج3 / ص 409.

(4) هو أبو سعيد و قيل أبو الخير، عبد الله بن عمر، الشيرازي البيضاوي الشافعي.كان إماما مبرزا نظارا، صالحا متعبدا زاهدا. توفي بتبريز سنة 685 هـ.أشهر مصنفاته: تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل".ينظر:طبقات المفسرين للأدنروي: ج1/ص254، وكشف الظنون:ج1 / ص 186.

(5) تفسير البيضاوي: ج4 / ص 311.

(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج7 /ص 34– 35– 36.

(7) هو أبو عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي المالكي، من الأعلام في الفقه و التفسير. من كتبه: "الجامع لأحكام القرآن" في التفسير، وهو من أجل التفاسير. توفي سنة 671هـ. ينظر:طبقات المفسرين للأدنروي: ج1 / ص 246-247.

(8) تفسير القرطبي: ج13 / ص 337 – 338 .

(9) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 201، و روح المعاني: ج20 / ص 145.

5- قوله – تعالى-:(وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾) (1)

اختلف في تحديد طبيعة الأسلوب في الآية الكريمة في قوله – سبحانه – (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) هل هو التفات إلى الخطاب من التّكلّم في (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ) أم محض تعريض و لا التفات؟

فالذين قالوا بالالتفات، وكان مقتضى الظاهر قول(وَإِلَيْهِ أُرْجَعُ)، قالوا: لأن قوله (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تعريض بالمخاطبين، فيكون المعبّر عنه واحدا في الأسلوبين، فهو التفات، ونكتته المبالغة في تهديدهم بتخويفهم بالرّجوع على شديد العقاب مواجهة. (2)

وأما الذين ردّوا القول بالالتفات في الآية و قالوا هو محض تعريض، علّلوا ذلك بعدم اتحاد المعبّر عنه في الأسلوبين، و أن ضمير المتكلّم في (وَمَا لِيَ) ليس مستعملا في المخاطبين. (3)

كما ردّ البعض القول بالالتفات لوقوعه في جملة واحدة، لأن(فَطَرَنِي) و(تُرْجَعُونَ) في كلام واحد، وذلك عند من يشترط وقوعه في جملتين.(4)

وقد صرّح السّكاكي بالتّعريض في قوله(وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ولم يذكر الالتفات، فقال:" المراد: و مالكم لا تعبدون الذي فطركم. و المنبّه عليه هو قوله:(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)، ولولا التّعريض لكان المناسب: و إليه أرجع."(5).

وذهب البعض إلى أنه ليس في الآية التفات و لا تعريض، وأن قوله: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) جواب للملك و قد رفعه –أي حبيب النّجار الذي جاء يسعى – قومه إليه بعد أن قال لهم: (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) ، فسأله: أفأنت تتّبعهم؟ فأجاب قائلا: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) أي: و أي شيء لي إذا لم أعبد خالقي و إليه ترجعون، أي: تردون عند البعث..

و رأى آخرون أن الآية من الاحتباك، و الأصل: (و مالي لا أعبد الذي فطرني و إليه أرجع، و مالكم لا تعبدون الذي فطركم و إليه ترجعون). فحذف من الأوّل نظير ما ذكر في الثّاني، وبالعكس. (6)

وعلى القول الأوّل بالالتفات إلى الخطاب في(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) من التّكلّم في (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ) يتعيّن القول أيضا بالتفات آخر قبله من الخطاب في(اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ،اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

---

(1) سورة يس / الآية 22.
(2) ينظر: روح المعاني: ج22 / ص 226، والإيضاح في علوم البلاغة: ج2 / ص 87، و أسرار البلاغة: ص 09.
(3) ينظر: روح المعاني: ج22 / ص 227، تعليق د.خفاجي على الإيضاح: ج2 / ص 87، و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 315،
و قال السّيوطي بعد أن أورد القولين:" و مع ذلك أفاد فائدة حسنة و هي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه الرّجوع.". ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج2 /ص 109.
(4) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3/ ص 316.
(5) مفتاح العلوم: ص 352.
(6) يراجع القولان الأخيران و ردّ الألوسي لهما في: روح المعاني: ج22 / ص 227.

إلى التّكلّم في (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ) مادام ضمير الخطاب في (اتَّبِعُوا) و(تُرْجَعُونَ) واحدا، و(وَمَا لِيَ) وقعت بينهما تعريضا، فكما عدَّ الانتقال من التكلّم تعريضا إلى الخطاب التفاتا يعدّ أيضا الانتقال من الخطاب إليه كذلك، و يكون مقتضى الظاهر في الأوّل:(وَمَا لَكُمْ لا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعداتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ)، و تكون نكتته هي كون الكلام أخرج مخرج المناصحة لقومه و التلطّف بهم.

يقول الزّمخشري عن هذه النّكتة، و إن لم يذكر الالتفات: " ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطّف بهم و يداريهم، و لأنه أدخل في إمحاض النّصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، و لقد وضع قوله: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) مكان قوله: (وَمَا لَكُمْ لا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ)، ألا ترى إلى قوله (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) و لولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني و إليه أرجع. و لقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: (آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) يريد فاسمعوا قولي و أطيعوني فقد نبهتكم على الصّحيح الذي لا معدل عنه، أن العبادة لا تصحّ إلا لمن منه مبتدؤكم و إليه مرجعكم." (1)

وعن السِّر في قوله: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ) يذكر الرّازي أنّه أراد بقوله (مَا لِيَ) أن لا مانع من جانبي، إشارة إلى أن الأمر من جهة المعبود ظاهر لا خفاء فيه، فمن يمتنع عن عبادته يكن من جانبه مانع و لا مانع من جانبي فلا جرم إذا عبدته. و أنه لو قال:(مَا لَكُمْ لا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ؟) لم يكن في البيان مثل قوله لأنه لما قال (مَا لِيَ)، و أحد لا يخفى عليه حال نفسه، فهو يبين عدم المانع، وأما لو قال (مَا لَكُمْ) جاز أن يفهم منه أنه يطلب بيان العلة

لكون غيره أعلم بحال نفسه. وعن عدوله عن الظاهر الذي هو (وَ إِلَيْهِ أُرْجَعُ) إلى (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فقد رأى السِّر في أنه صار عابدا يعبد الله لكونه إلها مالكا سواء أنعم عليه بعد ذلك أو لم ينعم، كالعبد الذي يجب عليه أن يخدم سيده سواء أحسن إليه أو أساء، فرجوعه إلى الله لا يكون إلا للإكرام و ليس سبب ذلك عبادته بل غيره.(2)

و ذكر عبد المنعم خفاجي في شرحه و تعليقه على كتاب الإيضاح أن في (تُرْجَعُونَ)التفاتا إلى الخطاب من التّكلّم في (مَا لِيَ)على المذهبين، أي مذهب الجمهور و مذهب السّكاكي، و أنّه عند التّحقيق يكون فيه التفات آخر في "مالي" إلى التّكلّم من الخطاب في (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)، و قال: و أما على خلاف التّحقيق فهو التفات واحد." (3)

---

(1) الكشاف: ج3 / ص 319. و ينظر أيضا: المثل السّائر: ج2 / ص 177 فقد نقل ابن الأثير عبارة الزّمخشري نفسها إلى قوله (آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) لكنه جعلها النّكتة في صرف الكلام عن خطاب نفسه في (مَا لِيَ)إلى خطابهم في (تُرْجَعُونَ) ، و الظاهر أن هذه النّكتة خاصّة بالانتقال الأوّل على النّحو المذكور.

(2) ينظر: التفسير الكبير: ج26 / ص 55-56.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة: ج2 / ص 87.

وفي القول بكونه التفاتا عند الجمهور – بإطلاق- و السّكاكي نظر، لأنه و إن سلّم ذلك على مذهب السّكاكي فلا يسلَّم على مذهب الجمهور، لكون الضمير في التّعبيرين ليس واحدا، على نحو ما بُيِّن. ثم إن قوله:" و على خلاف التّحقيق فهو التفات واحد في(تُرْجَعُونَ)" يوحي بالاتفاق على الالتفات المذكور، بينما هو مختلف فيه.

وخلاصة القول هي أنه بالتّخريج على مذهب الجمهور لا التفات في الموضعين لعدم تحقّق شرط اتحاد المعبّر عنه خاصّة.

وأما بالتّخريج على مذهب السّكاكي- و قد سبق القول بأنه صرّح بالتّعريض في هذا الموضع و لم يذكر الالتفات– الذي يكتفي بمخالفة مقتضى الظاهر و التّعبير بإحدى الصّيغ الثّلاثة فيما حقّه التّعبير بأخرى منها، من غير اشتراط سبق الذّكر للمعبّر عنه، فيكون الالتفات في الموضعين.

وامّا من قال بالالتفات في الموضع الثاني فيلزمه القول به أيضا في الأول مادام المخاطَب واحدا، و مادام هذا المخاطب مرادا بالتّعريض.

ثانيا: الاختلاف في شرط من شروط الالتفات:

إن من أهمّ أسباب الاختلاف في القول بالالتفات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم الاختلاف في اعتبار شرط من شروطه الثلاثة.

1- اشتراط اتحاد المُعبَّر عنه بين المنتقل إليه والمنتقل عنه: ومن أمثلة ما اختلف فيه تبعا للاختلاف في هذا الشرط:

1- قوله – تعالى-:(كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ **) (1)**

قيل بالالتفات في الآية في قوله – تعالى-:(أَمْ حَسِبْتُمْ) إلى الخطاب بعد الغيبة في (كَانَ النّاسأُمَّةً وَاحِدَةً) حيث لما ذكر– سبحانه– ما كان عليه الأمم من الاختلاف علىالنّبيّين بعد مجيء البينات تشجيعا للرسّول –صلّى الله عليه وسلّم –و المؤمنين على الثّ بات و الصّبر على الذين اختلفوا عليه من المشركين و أهل الكتاب و إنكارهم لآياته و عداوتهم له، قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلَغُ(حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) (2) و القول بالالتفات في هذا النّص القرآنيّ يصحّ مع عدم اشتراط سبق التّعبير عن الملتفت إليه في الملتفت عنه، مع مخالفة الظاهر، و أما مع الشرط فلا يتحقّق، لأن قوله – تعالى-:(كَانَ النّاسأُمَّةً وَاحِدَةً) إخبار عن الأمم الماضية و حالها مع أنبيائها، فإنه وإن كان فيه تشجيع و تثبيت و تسرية عن النّبيّ –صلّى الله عليهوسلّم – و المؤمنين، إلا أنه ليس إخبارا عنهم، فلا يكون التفاتا؛ و لذلك حاول الألوسي الجمع بين القول به والقول بعدمه نظرا لعدم تحقّق الشرط، فقال هو التفات غير صريح من الغيبة إلى الخطاب، وسمّاه التفات معنى!.(3)

2- **قوله – تعالى-:(** ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(1) سورة البقرة / الآيتان 213– 214.
(2) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 355، و تفسير النسفي: ج1 / ص 102.
(3) ينظر: روح المعاني: ج2 / ص 103، و قد أورد في أربعة مواضع أخرى من تفسيره التفاتات أسماها: التفاتات معنى، أي ليست على وفق ما اصطلح عليه، هي: ج16 / ص 98، ج22 / ص 144، ج23 / ص 219 ، و ج25 / ص 05.

شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ **(1)**

يبيّن الله –تعالى– مخاطبا نبيّه– عليه السّلام – بأن ذلك الفعل من ضرب الكفرة فوق الأعناق وضرب كلّ بنان منهم جزاءٌ لهم بشقاقهم الله ورسوله وعقابٌ لهم عليه،وأن من يشاقق الله ورسوله بمخالفة أمرهما وفراق طاعتهما فإن له شديد العقاب في الدّنيا والآخرة.ثم يخبر الله– تعالى-مخاطبا الكفّار بأن هذا العذاب الذي عجّل لهم في الدّنيا بأيدي أوليائه المؤمنين يذوقونه عاجلا و أن لهم في الآجل والمعاد عذاب النّار.(2)

وذكر الزّمخشري أن في قوله – عز وجل-(ذَٰلِكُمۡ) التفاتا إلى خطاب الكفرة بعد الإخبار عنهم في (شَاقُّوا)(3)، إلا أنه ممّا اختلف فيه للاختلاف في جواز الرّبط بالضمير، بمعنى:هل يشترط أن يكون الخطاب الملتفت إليه اسما ظاهرا أم يمكن أن يكون ضميرا عائدا على الغائب الملتفت إليه؟(4)

وعلى القول بالالتفات فظاهر أن نكتته المبالغة في التّوبيخ و زيادة التّهديد و الوعيد.(5)

3- **قوله– تعالى-:**(وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ

فَٱرۡهَبُونِ)(6)

في الآية التفاتان: اتفق على واحد – سبقت الإشارة إليه – هو في قوله – عز و جل– فَإِيَّايَ فَارْهَبُون) إلى التّكلّم من الغيبة في (إنّماهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) (7) و اختلف في الآخر– وسبقت الإشارة إليه أيضا – هو من التّكلّم إلى الغيبة في (إنّماهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) بناء على الاختلاف في القول بشرط الالتفات، و هو سبق التّعبير عن المفهوم الملتفت إليه بطريق غير التي عبّر بها عنه ؛ فمن اكتفى في الأسلوب الملتفت عنه بحقّ التّعبير أو الكلام و إن لم يتحقّق قال بالالتفات، وهو رأي السّكاكي. وأما الجمهور فيخالفونه الرأي و يقولون باشتراط سبق التّعبيرلا بمجرد الأحقيّة، فلذلك ما قالوا بالالتفات في الموضع الأوّل و قالوا به في الثّاني.

4- **قوله – تعالى-:**(قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ

أَنتَ قَاضٖۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ

(1) سورة الأنفال/الآيتان 13– 14.والمقصود تحديدا بهذا المثال بيان مسألة هي أنه قد يتّفق أحيانا على كون المعبّر عنه واحدا إلا أنه وبسبب الاختلاف حول طبيعة الرّابط بين التعبيرين:أيكون اسما ظاهرا أم يمكن أن يكون ضميرخطاب عائدا على غائب؟قد يختلف في القول بالالتفات.
(2) ينظر: تفسير الطبري: ج9 / ص 200.

(3) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 148.
(4) قال الألوسي بعد أن بيّن الأوجه الإعرابية ل(تَلِدُكُمْ) وربطها بما سبقها، قال:"و الإنصاف أنها ظاهرة في كون المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا، والخطاب فيها مع الكفرة على طريق الالتفات من الغيبة في(شَاقُّوا) إليه، ولا يشترط في الخطاب المعتبر في الالتفات أن يكون بالاسم الظاهر كما هو المشهور بل يكون بنحو ذلك أيضا، بشرط أن يكون خطابا لمن وقع الغائب عبارة عنه كذا قيل وفيه كلام."ينظر:روح المعاني: ج9/ص 180. ورأى أبو حيان في الكاف في(تَلِدُكُمْ)، التفاتا إلى خطاب الكفار بعد الإخبار عنهم في قوله- تعالى(سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ..) الأنفال / الآية 12، إن لم يكن خطابا للرسول – عليه السّلام- أو لكل سامع. ينظر: تفسير البحر المحيط:ج4 /ص466.
(5) ينظر: تفسير القرطبي:ج7/ص379.كما يمكن القول بالتفات آخر من الخطاب في(تَلِدُكُمْ) إلى الغيبة في (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ).
(6) سورة النحل / الآية 51.
(7) يراجع: التمهيد: ص 32-33، و الفصل الأوّل: المبحث الثّاني: ص 55-56.

أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾) (1)

مثّل البعض بهذا المثال لنوع من أنواع الالتفات، هو الالتفات من الخطاب إلى التّكلّم،قال عنه السّيوطي بأنه لم يقع في القرآن الكريم، وقال عن المثال: "و هذا المثال لا يصحّ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد واحدا في الأسلوبين."(2)، و هو ما لم يتحقّق، إذ الضمير في(فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) عائد على فرعون، بينما الضمير في(إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا) عائد على السّحرة الذين آمنوا بعد رؤيتهم معجزة موسى- عليه السّلام-.

5- قوله- تعالى – : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾) (3)

قيل بالالتفات في قوله- تعالى- على لسان نبيِّه لوط – عليه السّلام -: (تَجْهَلُونَ) إلى الخطاب من الغيبة في(قَوْمٌ)، فائدته التّعيير والتّوبيخ،وأن مقتضى الظاهر أن يقال:(بل أنتم قوم يجهلون).وردَّ هذاالقول بأن ليس المراد بالقوم قوم لوط حتى يكون المعبّر عنه واحدا في الأسلوبين فيتحقّق الالتفات لأنّه من شرطه.

وقيل إن الخطاب فيه صفة لقوم،أي على تقدير:(أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)و"قوم"اسم ظاهر من قبيل الغائب، و بمراعاة المعنى ولأنه متّحد مع (أَنْتُمْ) حُمِلَ(تَجْهَلُونَ) على الخطاب.وقيل هو من الغائب الذي غلّب فيه الخطاب. كما قيل إن في(أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) تجوّزا في الخطاب باعتبار الخطاب للقوم، وقد ردّ بالقول بأن المخاطبون هم "أنتم" على الحقيقة، فلا تجوُّز و لا مسوِّغ للقول بأن اللّفظ مستعمل في غير محلّه..(4)

2- اشتراط كون الكلام في جملتين: و من أمثلة ما اختلف فيه بسبب الاختلاف في هذا الشرط:

1- قوله – تعالى-:(وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾) (5)

ذكر الألوسي أن في قوله – سبحانه-:(ٱسْتَأْذَنَكَ) التفاتا(6) أي من الغيبة في (رَسُولِهِ) إلى الخطاب.

---

(1) سورة طه / الآيتان 72– 73.

(2) الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 109. و ليراجع: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 317، و من أسرار البلاغة:ص 08.
(3) سورة النمل / 54– 55.
(4) تراجع الأقوال في توجيه الخطاب في الآية و مناقشتها في: روح المعاني: ج19 / ص 216-217.: و اختار الزّمخشري و أبو حيان القول بتغليب الخطاب على الغيبة في (تَجْهَلُونَ). ينظر: الكشاف: ج3 / ص 153، تفسير البحر المحيط: ج7 / ص83. و رأى الطاهر بن عاشور أن الخطاب بالتّاء و الإخبار بالياء كليهما مقتضى الظاهر. ينظر: التحرير و التنوير: ج19 / ص 289.
و الخطاب أقوى دلالة. ولعل قول القائل بالالتفات في هذا الموضع كالقول به في(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلا أنه من الخطاب إلى الغيبة، لمناسبة الخطاب للنداء، و الظاهر أن يقال:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنتُم).و قد سبقت الإشارة إلى ذلك. يراجع: التمهيد: ص30.
(5) سورة التوبة / الآية 86.
(6) ينظر: روح المعاني: ج10 / ص 156.

و بالنظر إلى شروط الالتفات فإنه قد يعترض عليه من وجهين:

الأوّل: هو أن كاف الخطاب العائد إلى رسول الله –صلّى الله عليهوسلّم – في (اسْتَأْذَنَكَ) لم يكن هو المعبّر عنه بالكلام فيما انتقل عنه، وإنّما كان التّعبير و الإخبار عن السّورة، أي إذا أنزلت سورة فيها الأمر بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله – عليه السّلام– استأذن أولئك، فلا اتحاد-في التّعبيرين- عن المعبّر عنه.

الثّاني: أنه على فرض القول بالالتفات، فقد وقع في جملة واحدة من شرط وجوابه، ووقوع الالتفات في الجملة الواحدة غير متّفق عليه.

فإذا قيل بالالتفات فلا وجه له إلا أن يكون القائل به ممّن لا يعتبر الشرطين و يكتفي بسبق الذّكر.

2- قوله – تعالى-:(قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا **) (1)**

اختلف في الالتفات في قوله – سبحانه-:(جَزَاؤُكُمْ) إلى الخطاب بعد الغيبة في قوله(فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) ، وذلك للاختلاف في ضمير الخطاب في (جَزَاؤُكُمْ): هل يصلح للرّبط بين المنتقل إليه و المنتقل عنه أم لا؟ هذا بناء على أنّه عائد على التابعين.

فذهب الزّمخشري، و تبعه غير واحد إلى جواز الرّبط به، والقول بالالتفات.(2) لكن هذا لم يسلّم له واعترض، و كان ممّن اعترضه ابن هشام في تذكرته.(3)

وقد يعترض القول بالالتفات،وإن سلّم بجواز الرّبط بضمير الخطاب مادام عائدا على غائب وقع اسماً ظاهرا، لوقوعه في جملة واحدة، أي بين الشرط وجوابه، و هو مما اختلف فيه. (4)

وأما على القول بأنه عائد على التّابعين و المتبوع فإنه تغليب للمخاطب على الغائب رعاية لحقّ المتبوعية و لا التفات. (3)

وأورد الزّركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)(5) عشرة مواضع ذكر أنه قيل بالالتفات فيها وقد وقعت في جملة واحدة، سبق الحديث عن اثنين منها (6) وسيكون الحديث عن ثلاثة في الفصل اللاّحق (7)،

---

(1) سورة الإسراء / الآية 63.
(2) ينظر:الكشاف:ج2/ص 456،وتفسير البيضاوي:ج3/ص456، والبرهان في علوم القرآن:ج3/ص332، و روح المعاني:ج15/ص 46.
(3) ذكر ذلك الألوسي و نقل قوله، ولم يوافقه فيه. ينظر: روح المعاني: ج 15 / ص 110. وقد سبق الحديث عن الربط بضمير خطاب عائد على غائب في مثال سابق هو الآيتان 13-14 من سورة الأنفال.يراجع هذا المبحث: ص97-98.
(4) يراجع: التمهيد: ص 33.

(5) ينظر: ج3 / ص 332-334.
(6) هما في: سورة يس / الآية 22، وسورة الإسراء / الآية 63. يراجع هذا المبحث: ص 94-96، ص 100.
(7) هي: قوله – تعالى– (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) سورة الفرقان /الآية 17، و قوله(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ) سورة آل عمران /الآية 151، و قوله: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) سورة البقرة / الآية 281. يراجع: الفصل الثّالث: المبحث الأوّل: ص 168، 205، و المبحث الثّاني: ص 188-189.

و أما الخمسة الأخرى فهي:

1-قوله– تعالى-:(وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ)(1)

قيل بالالتفات إلى التّكلّم بنون العظمة في قوله – عز وجل – (وَبَعَثْنَا)، جريا على سنن الكبريا ء، بعد الغيبة في(لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ) (2) وذكر الزّركشي أن القول بوقوعه في جملة واحدة مبنيٌّ على أن الواو للحال، وقد نسب ذلك إلى التّنوخي(3) في" الأقصى القريب"، وكأن التقدير:(و لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل باعثا – أو باعثين – منهم اثني عشر نقيبا..).

2- قوله – تعالى-:(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩) (4)

والالتفات المقصود هو من الغيبة في(رَبُّكَ) إلى التّكلّم بنون العظمة في(آيَاتِنَا).قال ابن عاشور: "وإسناد الخبر إلى الله– تعالى– بعنوان ربوبيّته للنّبيّ– عليه الصّلاة والسّلام – إيماء إلى أن المقصود بهذا الإنذار هم أمّة محمّد الذين كذبوا،فالخطاب للنّبيّ– عليه الصّلاة والسّلام – لهذا المقصد ولهذا وقع الالتفات عنه إلى ضمير المتكلّم في(آيَاتِنَا) للإشارة إلى أن الآيات من عند الله وأن الدِّين دين الله."(5)

وقال الشّوكاني (6) في معنى الآية: " أي: و ما صحّ و لا استقام أن يكون الله مهلك القرى الكافرة، أي: الكافر أهلها، حتى يبعث في أمِّها رسولا ينذرهم و يتلو عليهم آيات الله النّاطقة بما أوجبه الله عليهم وما أعدّه من الثّواب العظيم للمطيع و العقاب للعاصي، و معنى أمّها: أكبرها و أعظمها، و خصّ الأعظم فيها بالبعثة إليها لأن فيها أشراف القوم و أهل الفهم و الرأي و الأكابر، فصارت بهذا الاعتبار كالأمّ لما حولها من القرى...و جملة يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) في محلّ نصب على الحال، أي: تاليا عليهم و مخبرا لهم أن العذاب سينزل بهم إن لم يؤمنوا." (7).

---

(1) سورة المائدة /الآية 12.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 14، و روح المعاني: ج6 / ص 85، و تفسير التحرير و التنوير: ج6 / ص138، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 138.
(3) هو زين الدين محمد بن محمد التنوخي، المتوفى سنة 748هـ. ينظر:كشف الظنون: ج1 / ص 137.
(4) سورة القصص / الآية 59.
(5) تفسير التحرير و التنوير: ج20 / ص 151، و قال في الموضع نفسه: "و قد حصل في هذه الجملة تفنّن في الأساليب إذ جمعت الاسم الظاهر و ضمائر الغيبة و الخطاب و التّكلّم.".
(6) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشّوكاني، الفقيه المجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد سنة 1172هـ و قيل سنة 1173هـ، كما قيل أيضا سنة 1177هـ، نشأ بصنعاء وولي قضاءها ومات حاكما بها،له مائة وأربعة عشر مؤلّفا، من أشهرها: "نيل الأوطار" و" فتح القدير"

و"إرشاد الفحول". توفي في شهر جمادى الآخرة سنة 1250هـ.ينظر: أبجد العلوم: ج3 / ص 201-205، والقراءات القرآنيّة:عبد الحليم ابن محمد الهادي قابة، إشراف ومراجعة وتقديم:د.مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م:ص20.

(7) فتح القدير: ج4 / ص 181.

و جملة(يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) الحالية، مقصودة في السّياق لتأدية الغرض، و هو تنزيه الله – عزّ وجلّ – عن الظّلم، وتأكيد عدله – سبحانه-، وكأن هذا المعنى لا يتمّ بمجرّد بعثة الرّسل، بل وبثبوت و تمام البلاغ ببيان مراد الله- تعالى- منهم، و للغرض نفسه يكون السؤال يوم القيامة للذين كفروا و هم يساقون إلى جهنم، فيسألون عن مجيء الرّسل إليهم و عن إبلاغهم إياهم ما أرسلوا به، فيقرون بذلك ويشهدون على أنفسهم بما كذّبوا و عصوا فيحقّ العذاب عليهم. يقول الله- تعالى-:(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) (1) فكان الكلام بهذا المعنى جملة واحدة.(2)

3- قوله – تعالى-:(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾) (3)

وعلى القول بالالتفات فهو من الغيبة في(آياتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ) إلى التّكلّم في (رَحْمَتِي) (4) ، للدّلالة على اختصاصه- تعالى- يوم القيامة بالرّحمة، أي: يوم لا رحمة ترجى إلا رحمتي،كما أن فيه من الوعيد والتّهديد للذين كفروا بآيات الله و كذّبوا بالبعث ما لا يخفى. (5) و قد وقع الملتفت إليه فيما أخبر به عن الذين كفروا، فكان الأسلوب جملة واحدة، فلا يعدّ من الالتفات عند من يشترط كونه في جملتين.

4- قوله –تعالى-:(وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ) (6)

قيل بالالتفات إلى الغيبة بإيراد لفظ "النّبيّ" في قوله – سبحانه-:(إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبيّ) بعد خطابه–صلّى الله عليه وسلّم – في الآية نفسها في قوله – تعالى-يَا أَيُّهَا النّبيّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً) تكرمة للنّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– و تشريفا له، و بيانا لمناط الحكم

(1) سورة الزمر / الآيتان 71-72.

(2) و قيل أن المقصود بأم القرى مكّة، و بالرّسول محمّد –صلّى الله عليه وسلّم – و نقل ذلك عن قتادة. ينظر: زاد المسير: ج6 / ص 234، والكشاف: ج3 / ص 186، و اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره: ج20 / ص 95. و على هذا القول يكون الالتفات من الخطاب في (رَبُّكَ) إلى الغيبة في (رَسُولاً) .

(3) سورة العنكبوت / الآية 23.

(4) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج20 / ص 234.

(5) الكشاف: ج3 / ص 203.

(6) سورة الأحزاب / الآية 50.

و اختصاصه به و هو النّبوة، أي أن علّة هذا الإحلال كونك نبيّا.(1)

يقول الزّمخشري:" فإن قلت: لما عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (نَفْسَهَا لِلنّبيّ إِنْ أَرَادَ النّبيّ) ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خصّ به و أوثر، و مجيئه على لفظ النّبيّ للدّلالة على أن الاختصاص تكرمة له، و تكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوّته." (2).

فإحلال المرأة المؤمنة للنّبيّ – عليه السّلام – على شرطين، الأوّل: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا)، والثّاني: إيرادة النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- استنكاحها.

يقول الزّمخشري أيضا:" فإن قلت: ما معنى الشرط الثّاني مع الأوّل؟ قلت: هو تقييد له، شرط في الإحلال هبتها نفسها و في الهبة إرادة استنكاح رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-، كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها و أنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول الهبة و ما به تتمّ." (3) و بناء على أن الشرط و جوابه جملة واحدة لم يقل بالالتفات في هذا الموضع من يشترط كونه في جملتين.(4)

5- قوله – تعالى-: (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩) (5)

والالتفات المقصود هنا هو من التّكلّم بنون العظمة في(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) إلى الغيبة في (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ)، ومن الخطاب في (أَرْسَلْنَاكَ) إلى الغيبة في(رَسُولِهِ). و قد قرأ أبو جعفر و أبو عمرو و ابن محيصن بالياء في(لِيُؤْمِنُوا) و ما بعده.(6) و مقتضى الظاهر على قراءة التّاء: (لِتُؤْمِنُوا بِنَا وَ رَسُولِنَا) إن كان الرسول – عليه السّلام – داخلا في الخطاب مع المؤمنين أو النّاس، على الخلاف في تحديد المقصود به، و (لِتُؤْمِنُوا بِنَا وَ بِكَ) إن لم يكن داخلا في الخطاب. و أمّا على قراءة الياء فمقتضى الظاهر:(لِيُؤْمِنُوا بِنَا وَ بِكَ).

ولمّا كانت العلّة من الإرسال بالإضافة إلى إقامة الشّهادة على النّاس و تبشيرهم بالجنّة وإنذارهم النّار، القيام بحقّ الألوهية والرّسالة من الإيمان و ما عطف عليه من التّعزير و التّوقير و التّسبيح، و هو مقصود بالإخبار ، فكان الكلام واحدا و جملة واحدة، و لأجل ذلك يمنع القول بالالتفات من لا يرى القول به في الجملة الواحدة.(1)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج7 / ص109-110.

(2) الكشاف: ج3 / ص 268، و أضاف الألوسي إلى المعنى الذي ذكره الزّمخشري، أن قوله – تعالى-(خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)– يتضمّن أن هبة الواهبة نفسها لم تكن حرصا على الرّجال و قضاء الوطر بل على الفوز بشرف خدمته –صلّى الله عليه وسلّم – و النزول في معدن الفضل. ينظر: روح المعاني: ج22 / ص 60.

(3) الكشاف: ج3 / ص 268.

(4) أما على قراءة "أَن "بالفتح في (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا) و بها قرأ الحسن – رضي الله عنه – و ذلك على التعليل بتقدير حذف اللام،أو على جواز كونه مصدرا محذوفا معه الزمان، كقول: اجلس مادام زيد جالسا، بمعنى وقت دوامه جالسا، ويكون المعنى: وقت هبتها نفسها، فلا يكون الشرط إلا في الموضع الثّاني ؛ وكذلك على قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – و قد قرأ بغير " إن " في (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا). ينظر: الكشاف: ج3 / ص 268 .و يبقى قيد هبة المرأة نفسها مقصودا في الكلام فلا يتمّ إلا به، فكأنه متضمن لمعنى الشرط، فيصير- على القراءتين - الكلام جملة واحدة.و لعلّه يمكن القول بالالتفات إلى الخطاب في(لَكَ) من قوله – سبحانه -(خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) بعد الغيبة في لفظ (النّبيّ) على تقدير القول:(و إحلالنا لها خالصة لك).أي أنه بعد أن بيّن – سبحانه – إحلال المرأة له –صلّى الله عليه وسلّم – بالشرطين، بيّن أن هذا الإحلال خالص له من دون المؤمنين. و ربما هذا الذي فهمه ابن حجّة الحموي فقال بالالتفات في هذا الموضع. ينظر: خزانة الأدب: ج1 / ص 134.

(5) سورة الفتح / الآيتان 08-09.

(6) ينظر: تفسير الطبري: ج26 /ص 74، و تفسير القرطبي: ج16 /ص 266.

ويرى الطاهر بن عاشور(2) جواز انتهاء الكلام عند قوله – تعالى-:(نَذِيراً) و أن تكون جملة (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ) معترضة، و اللام في (لِتُؤْمِنُوا) لام أمر لا لام تعليل، فتكون الجملة استئنافا للأمر كما في قوله – تعالى-:آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (3).

3- اشتراط مخالفة ظاهر الكلام:

1- قوله – تعالى-:(يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾) (5)

الاتّفاق على أن قوله– سبحانه-:(بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) هو على لسان الملائكة ومن قولهم، وإن اختلف بعد ذلك في معنى النّور وكيفية سعيه بين الأيدي و بالأيمان.(6)

ورأى أبو حيان (7) أن في الكلام التفاتا من ضمير الخطاب في(بُشْرَاكُمُ) إلى ضمير الغيبة في (خَالِدِينَ)

---

(1) لم يتّم الوقوف أثناء البحث على قول بالالتفات في هذا الموضع، سوى ما أشار إليه الزّركشي، و كل ما يمكن أن يوقف عليه هو حديث عن الانتقال من خطاب الفرد في(أَرْسَلْنَاكَ) إلى خطاب الجماعة في (لِتُؤْمِنُوا)، والانتقال من الماضي في الأوّل إلى المضارع في الثّاني، إضافة إلى الحديث عن المقصود بالخطاب، هل هم المؤمنون أم عموم النّاس ؟ و هل الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم – داخل فيه أم لا ؟ و هل الضمائر في الأفعال المعطوفة على (تُؤْمِنُوا) عائدة إلى الرسول –صلّى الله عليه وسلّم – أم إلى الله – تعالى- ؟ أم أن بعضها إليه و البعض الآخر إلى الله – تعالى- ؟ و ما انبنى على ذلك من خلاف في وجوب الوقف على (وَ تُوَقِّرُوهُ) أو عدمه، فضلا عن الخلاف في معاني التّعزير والتّوقير و التّسبيح..ينظر: تفسير الطبري: ج26 / ص 74-75، و الكشاف: ج5 / ص 542-543، و تفسير القرطبي: ج16 / ص 267، و تفسير البغوي: ج4 / ص 190، و زاد المسير: ج7 /ص 427.

(2) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج26 / ص 156.

(3) سورة الحديد / الآية 07.

(5) سورة الحديد / الآية 12.

(6) تنظر الأقوال في ذلك في: تفسير الطبري: ج27 / ص 222-223 ، تفسير ابن كثير: ج4 / ص 309، تفسير القرطبي: ج17 / ص 243 – 244.و ذهب الألوسي إلى أن قوله – سبحانه-: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) من كلام الله، و جوّز أن يكون من كلام الملائكة المتلقّين لهم، أي على تقدير القول في: (بُشْرَاكُمُ) أي مقولا لهم: بشراكم. ينظر: روح المعاني: ج27 / ص 175.

(7) هو أبو عبد الله،محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي حيان، ولد في إحدى قرى غرناطة سنة 654 هـ، و توفي في القاهرة سنة745هـ.كان من الأعلام بالنحو و اللّغة والتفسير والقراءة و الحديث.من مصنفاته: " تفسير البحر المحيط" و " النّهر المادّ من البحر". ينظر: بحوث في أصول التفسير:ص 155-156.

و أنه لو جرى على الخطاب لكان التركيب:(خالدا أنتم فيها).(1)

وقد يُردّ هذا القول بأنه لا التفات في (خَالِدِينَ) بتقدير محذوف هو (بشراكم دخول جنات) فتكون حالا من (الدخول) لا من (بُشْرَاكُمُ). قال القرطبي:" التقدير:يقال لهم:(بشراكم اليوم دخول جنات)، و لابدّ من تقدير حذف المضاف لأن البشرى حدث و الجنّة عين فلا تكون هي هي. (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)أي أنهار اللّبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنها،(خَالِدِينَ فِيهَا)حال من الدخول المحذوف، التقدير: بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الأنهار، مقدّرين الخلود فيها؛ و لا تكون الحال من (بُشْرَاكُمُ) لأن فيه فصلا بين الصّفة والموصوف. ويجوز أن يكون ممّا دلّت عليه البشرى،كأنه قيل:تبشرون خالدين."(2)

2- قوله – تعالى-:(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤) (3)

الخطاب موجه إلى النّبيّ– عليه السّلام– بطريق التّلوين، بعد خطاب المؤمنين في قوله -تعالى-:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (4)، للتّعجيب من حال المنافقين الذين يتولّون اليهود،(مَا هُمْ) أي المنافقون (مِنكُمْ) أيّها المؤمنون (وَلا مِنْهُمْ) أي اليهود. (5)

وقد ذكر الألوسي أنه قيل بالالتفات في(مِنكُمْ)، وردّه بالقول:إن غلّب في(مِنكُمْ) خطاب الرسول ــــــــ

(1) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج8 / ص220.

(2) تفسير القرطبي: ج17 / ص 244، و لينظر أيضا: فتح القدير: ج5 / ص 170. و قد قيل بجواز التبشير بالجنة نفسها و إن كانت عينا لا حدثا. ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 / ص 299، و روح المعاني: ج27 / ص 175.

(3) سورة المجادلة / الآية 14.

(4) سورة المجادلة / الآيتان 12– 13.

(5) ينظر:تفسير أبي السعود: ج8 / ص 221، فتح القدير: ج5 / ص 191–192. وجاء في تفسير القرطبي: ج17 / ص 304 في سبب نزول هذه الآية:" قال السّدّي و مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي و عبد الله بن نبتل المنافقين كان أحدهما يجالس النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – في حجرة من حجراته إذ قال:« يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان. فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللّحية. فقال– عليه السّلام -:علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل. فقال النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم -:فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبّوه، فنزلت هذه الآية.» و أخرجه بغير هذا اللّفظ الإمام الطبراني و الإمام أحمد عن ابن عباس– ر ضي الله عنهما -، و جعلاه سببا في نزول قوله – تعالى-:(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) سورة المجادلة / الآية 18.ينظر:المعجم الكبير:سليمان ابن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم و الحكم، الموصل، الطبعةالثّانية، 1404هـ-1983م:ج12 / ص 07، رقم:12307. ومسند الإمام أحمد:ج1 / ص 240، رقم:2147، 2407.

–صلّى الله عليه وسلّم – فظاهر أن لا التفات فيه، إذ هو جار مجرى الخطاب، و كذلك إن لم يغلّب فلا

التفات لعدم مخالفة الظاهر، لسبق خطاب المؤمنين قبله.وقال: وفي جعله التفاتا على رأي السّكاكي نظر.(1)

(1) ينظر: روح المعاني: ج28 / ص 32.و جعله التفاتا على رأي السّكاكي لا يستقيم مع تعريفه للالتفات من أنه:الانتقال من إحدى الصيغ الثّلاثة الحكاية و الخطاب و الغيبة إلى واحد منها.و هو نفسه رأي الجمهور و إن خالفهم في عدم اشتراط سبق التّعبير عن المعنى الملتفت إليه. يراجع: التمهيد: ص 30 ، اللّهم إلا أن يفهم رأيه على أنه مطلق الانتقال، و إن من خطاب فرد إلى خطاب جماعة كما هو الحال في هذا المثال بالانتقال من خطاب النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – إلى خطاب المؤمنين و الظاهر (مِنكَ) فيكون ذلك التفاتا، وهو ما لا يحتمله تعريفه للالتفات.

المبحث الثّاني

اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في القول بعود الضّمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه

أوّلا: اختلاف في عود ضمير خطاب في المنتقل إليه على المنتقل عنه.

ثانيا: اختلاف في عود ضمير غيبة في المنتقل إليه على المنتقل عنه.

يعدّ الاختلاف في تحديد مرجع الضمير في المنتقل إليه و عوده على المنتقل عنه أهمّ أسباب الاختلاف في القول بالالتفات في آيات كثيرة من القرآن، بل إن أكثر ما اختلف فيه من المواضع هو لهذا السبب، وعليه يتوقّف تحقّق شرط اتحاد التّعبيرين.

أوّلا:اختلاف في عود ضمير خطاب في المنتقل إليه على المنتقل عنه:ومن أمثلته:

1- قوله – تعالى-:(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ تُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ **) (1)**

قيل الخطاب في الآية لليهود، وفيه التفات عن الغيبة في قوله- سبحانه-:(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَيَقُولُونَ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(2).

قال أبو حيان:" وهذا الخطاب فيه التفات لأن الكلام قبل كان بصورة الغيبة، ألا ترى إلى قوله: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) إلخ وفائدة هذا الالتفات أن الإنكار إذا توجّه إلى المخاطب كان أبلغ من توجّهه إلى الغائب لجواز ألا يصله الإنكار بخلاف من كان مخاطبا فإن لإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أنكر عليه." (3)

فالالتفات إذن للمبالغة في الإنكار، و التعجّب من كفرهم مع ما هو بيِّنٌ من أدلّة واضحات عدِّدت على وحدانية الله وعظيم قدرته المستوجبة للإيمان به والإذعان له.

يقول الزّمخشري: " معنى الهمزة التي في (كَيْفَ) مثله في قولك: أتكفرون بالله، و معكم ما يصرف عن الكفر و يدعو إلى الإيمان؟، و هو الإنكار و التعجب، و نظيره قولك: أتطير بغير جناح ؟ و كيف تطير بغي جناح؟. فإن قلت: قولك: أتطير بغير جناح؟ إنكار للطيران لأنه مستحيل بغير جناح، وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء. قلت: قد أخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصّارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان. فإن قلت: فقد تبيّن أمر الهمزة و أنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه أو لقوّة الصّارف عنه، فما تقول في (كَيْفَ) حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم؟ قلت:حال الشّيء تابعة لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال،فكان إنكار حال الكفر

لأنها تبيع ذات الكفر و رديفها إنكارا لذات الكفر و ثباتها على طريق الكناية و ذلك أقوى لإنكار الكفر و أبلغ."(4)

وقيل الخطاب ليس لليهود بل للنّاس المخاطبين في قوله- تعالى-:(يَا أَيُّهَا النّاس اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)(5)، _____

(1) سورة البقرة / الآية 28.
(2) سورة البقرة / الآيتان 26-27.
(3) تفسير البحر المحيط: ج1 / ص392.
(4) الكشاف: ج1 / ص 269.
(5) سورة البقرة / الآية 21.

و هو ما اختاره صاحب التّحرير و التّنوير، و ذهب إلى أن ما بين الخطابين جملٌ معترضة، و أن ليس في الكلام التفات لعدم تناسبه مع قوله – سبحانه-:(إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا) (1) و ما بعده مما حكى عن الذين كفروا قولهم:(مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً) (2) فلا يكون الانتقال في قوله(تَكْفُرُون) التفاتا. و المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها هي اتحاد الغرض بعد استيفاء ما تخلّل و اعترض، و أنه من بديع المناسبة و فائق التفنّن في ضروب الانتقالات في المخاطبات أن كانت العلل التي قرن بها الأمر بعبادة الله في قوله:(يَا أَيُّهَا النّاس اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) هي العلل التي قرن بها ضدّ العبادة، و هو الكفر به، في قوله – تعالى- هنا:(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ)، فقال فيما تقدم:(الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(3) و (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) (4)، و قال هنا: (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ) (5) و أن ذلك كان مبدأ التخلّص إلى ما سيَرد من ابتداء إنشاء نوع الإنسان وتكوينه وأطواره؛فخلص إلى أن الخطاب في(تَكْفُرُون) متعيِّنٌ رجوعه إلى "النّاس" و هم المشركون لأن اليهود لم يكفروا بالله و لا أنكروا الإحياءالثّاني.(6)

2- قوله – تعالى-:(إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾) (7)

موضع الالتفات المختلف فيه هو في قوله- سبحانه-:(إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ). فإذا كان ضمير الخطاب عائدا على عيسى– عليه السّلام – و الطائفتين، الذين اتبعوه و الذين كفروا، فهو تغليب على الأظهر لا التفات فيه ؛ أما إن كان عائدا على الطائفتين فقط، ففيه التفات فائدته الحرص على إيصال الثواب لأصحابه والعقاب لأصحابه، لدلالة الخطاب على الاعتناء. (8)

3- قوله – تعالى-:(مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ

(1)،(2) سورة البقرة / الآية 26.
(3) سورة البقرة / الآية 21.
(4) سورة البقرة / الآية 22.
(5) سورة البقرة / الآيتان 28-29.
(6) تفسير التحرير و التنوير: ج01 / ص 373.
(7) سورة آل عمران / الآية 55.

(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 44، و روح المعاني: ج3 / ص 184. و بالالتفات قال الطبري لكن لا بلفظه بل بلفظ الصّرف، قال:" و هذا من الكلام الذي صرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطب، ذلك أن قوله (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) قصد به الخبر عن متّبعي عيسى والكافرين به، وتأويل الكلام: وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجع الفريقين الذين اتبعوك و الذين كفروا بك فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.". ينظر: تفسير الطبري: ج3 / ص 293.

ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾) (1)

اختلف في ضمير الخطاب في قوله – تعالى– (عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) بعد الغيبة في (الْمُؤْمِنِينَ) أهو للمؤمنين فقط أو للخلّص منهم، أو للمنافقين أو هو للمؤمنين و المنافقين أو الخلّص منهم و المنافقين أو للكفّار أو للكفّار والمنافقين ؟

وعلى القول بأنه للمؤمنين أو للخلّص منهم يكون فيه التفات و تلوين خطاب، وكذلك على القول بأنه للمؤمنين أو الخلّص منهم و المنافقين، وذلك لاعتبار أن المنافقين بحسب الظاهر تجري عليهم أحكام الإسلام كالمسلمين، فيشملهم لفظ الإيمان جميعا؛ و يكون المعنى على الوجه الأوّل:أي ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط بالمنافقين حتى يميز بينكم. و أما على الوجه الثّاني:أي ما كان الله ليترككم يا معشر المؤمنين والمنافقين على ما أنتم عليه من الاختلاط حتى يميز بعضكم من بعض.. وأما على اختيار كون الخطاب للمنافقين فقط أو للكفار فقط أو لهما، فيكون فيه تلوين خطاب فقط من غير التفات لتغاير الضميرين في المنتقل إليه و المنتقل عنه.(2)

4- قوله – تعالى-:(وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾) (3)

قيل إن الخطاب في قوله – سبحانه-:(وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) للطائفة المذكورة التي كانت تذيع ما تسمع من أخبار من المنافقين قبل التثبّت منها، فيكون فيه التفات من الغيبة، أي: لولا فضل الله–تعالى- و رحمته بإرشادكم إلى طريق الحقّ الذي هو المراجعة في مظانّ الاشتباه إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – و أولى الأمر لاتبعتم الشّيطان و عملتم بآراء المنافقين.

وقيل بل الخطاب للناس، أي: ولولا فضل الله –تعالى- بالنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – و رحمته بإنزال القرآن لاتّبعتم الشّيطان وبقيتم على الكفر والضّلالة إلا قليلا منكم قد تفضّل الله عليهم بعقل راجح ـــــ

(1) سورة آل عمران / الآية 179.

(2) تراجع هذه الأقوال و نسبتها في: تفسير أبي السعود: ج2 / 118، و فتح القدير: ج1 / ص 404، و روح المعاني: ج4 / ص 136، وفيه أن دلالة هذا الالتفات هي وعد المؤمنين و وعيد المنافقين. و اختار الطبري عود الضمير على لمؤمنين، بينما اختار الزّمخشري عوده على المؤمنين الخلّص و المنافقين. ينظر: تفسير الطبري: ج4 / ص 187، و الكشاف: ج1 / ص 483.

(3) سورة النساء / الآية 83.

فاهتدى إلى الحقّ و عصم من الشّيطان.. (1)

5- قوله – تعالى-: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾) (2)

اختلف في الخطاب في الآية، فقيل هو لمن أظهر الإيمان من مخلص و منافق، و قيل هو للمنافقين الذين تقدّم ذكرهم في قوله – سبحانه-:بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (3)، فيكون التفاتا بعد الغيبة.(4)

وعلى القول بالالتفات فإن فائدته تشديد التّوبيخ على المنافقين الذي يستدعيه جرمهم، و تعديد جناياتهم، وما إضافة الآيات إلى الاسم الجليل إلا لبيان خطرها و تهويل أمر الكفر و الاستهزاء بها.(5)

6- قوله – تعالى-:(وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾) (6)

اختلف في الخطاب في قوله – سبحانه-:(وَقالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ)، أهو لبني إسرائيل أم للنّقباء منهم؟ وقيل بالالتفات من الغيبة في(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ) إن حمل على أنه لبني إسرائيل، تربية للمهابة وتأكيدا لما يتضمّنه الكلام من الوعد. و لأن بني إسرائيل هم الأكثر حاجة من النّقباء لما ذكر من التّرغيب و التّرهيب يكون القول بعود الضمير إليهم أولى، ويزيد في تأكيده الالتفات. (7)

وبالتخريج على هذا الرأي والقول برجوع الضمير إلى النّقباء فإنّ الالتفات يتحقّق أيضا لسبق التّعبير عنهم غيبة، فيبقى الخلاف في تحديد عود الضمير غير مؤثر في القول بالالتفات.

لكن عند التحقيق وبإمعان النظر لا يمكن القول بالالتفات لجري السياق في(وَقالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 209، و روح المعاني: ج5 / ص 95، و تفسير ابن كثير: ج2 /ص 216 – 217.

(2) سورة النساء / الآية 140.

(3) سورة النساء/ الآيتان 138-139.

(4) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج3 / ص389.

(5) ينظر: روح المعاني: ج5 / ص 172.و يتحقق بذلك التفات آخر إلى الغيبة في:(إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَالْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً).

(6) سورة المائدة / الآية 12.

(7)ينظر:تفسير أبي السعود:ج3/ص15،وروح المعاني:ج6/ص87.وأورد الشوكاني القولين في:فتح القدير:ج2/ص21 من غير ذكرللالتفات.

على الإخبار، أي أنه- تعالى- يخبر أنه أخذ من بني إسرائيل الميثاق وبعث منهم النقباء وقال لهم إني معكم..فيكون الأسلوب باقيا على الغيبة ولا انتقال فيه إلى الخطاب.(1)

7- قوله – تعالى-:(يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ١٥) (2)

اختلف في الخطاب في الآية، فقيل هو لليهود خاصّة، و قيل هو عام لليهود و النّصارى. (3)

وعلى القول بعموم الخطاب لأهل الكتاب من اليهود و النّصارى يكون في الآية التفات بعد الإخبار عنهم بتعديد جناياتهم و ظلمهم في قوله- تعالى(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(4).

وعن نكتة هذا الالتفات يقول الألوسي: "(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) التفات إلى خطاب الفرد و الإثنين و ما فوقهما، والتّعبير عنهم بأهل الكتاب للتشنيع، فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه."(5)

8- قوله – تعالى-:(إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ

---

(1) و يمكن الإشارة إلى أن في الآية التفاتا آخر، هو من الغيبة في قوله – سبحانه-:(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيل) إلى التّكلّم بنون العظمة في (وَبَعَثْنَا) جريا على سنن الكبرياء. ينظر: تفسير الجلالين: ج1 / ص138، و روح المعاني: ج6 / ص 85، تفسير أبي السعود: ج3 / ص 14. و عدّ الزّركشي – كما سبق بيانه - هذا الالتفات واقعا في جملة و احدة بناء على ما نقله عن التنوخي من أن الواو في (وَبَعَثْنَا) للحال، و وقوع الالتفات في الجملة الواحدة مما اختلف في اعتباره. يراجع هذا المبحث: ص101. ثم التفات إلى الغيبة مرة أخرى بإظهار الاسم الجليل في(وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) تربية للمهابة و إشعارا بأهمية الكلام، ثم من التّكلّم في(إِنِّي مَعَكُمْ) إلى الغيبة مرة أخرى في(وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ) بإظهار الاسم الجليل، ثم إلى التكلم في (لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ). فيكون في الكلام أربع التفاتات- من غير المختلف فيه-،وكان مقتضى الظاهر القول:(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيل بَعَثَ مِنْهُمْ اِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قَالَ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصّلاة وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ و أَقْرَضْتُمُونِي قَرْضاً حَسَناً لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيل).

(2) سورة المائدة / الآية 15.

(3) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج3 / ص463.

(4) سورة المائدة / الآيتان 13-14.

(5) روح المعاني: ج6 / ص 96-97 . و رأى الأستاذ الطاهر بن عاشور أن في الالتفات موعظة، إذ بعد أن ذكر من أحوال أهل الكتاب وأنبائهم ما لا يعرفه غير علمائهم و ما لا يستطيعون إنكاره، أقبل عليهم بالخطاب بالموعظة، إذ قد تهيأ من ظهور صدق الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – ما يسهل إقامة الحجّة عليهم، و لذلك ابتدأ وصف الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – بأنه يبيّن كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب، ثم أعقبه بأنه يعفو عن كثير. ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج6 / ص150.

لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾) (1)

قيل أن الخطاب في قوله- تعالى-:(فَلا تَخْشَوُا النّاس) هو لحكام المسلمين، و قيل هو لبني إسرآئيل على سبيل الحكاية و القول لعلمائهم، أي أن العلماء قالوا لهم ذلك. و قيل هو ليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بآية الرّجم واخشوني في كتمانه، قاله مقاتل. وقيل هو خطاب لعلماء بني إسرآئيل يتناول علماء الأمة المسلمة. و قيل هو خطاب لهذه الأمة.(2) و لا التفات على جميع هذه الأقوال.

وقيل هو لرؤساء و علماء اليهود على طريقة الالتفات، أي من الغيبة في(يَحْكُمُ بِهَا النّبِيّنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرّبانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)(3)، أو على تقدير القول، أي: قلنا لهم: فلا تخشوا النّاس.(4)

9- قوله – تعالى-:(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾) (5)

اختلف في الضمير في(خَلَقَكُمْ) أيعود على الذين كفروا خاصّة أم على النّاس عامّة ؟ أم على آدم – عليه السّلام– و أخرج الخطاب مخرج الجميع لأنهم من ولده.(6)

وعلى القول بإرادة خصوص الذين كفروا و إن كان ظاهره العموم، يكون في الكلام التفات من الغيبة في(ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، دلالته زيادة التّوبيخ لهم و التشنيع عليهم بسبب كفرهم.(7)

---

(1) سورة المائدة / الآية 44.

(2) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج3 / ص503، و قد اختار أبو حيان القولالثّاني.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 42، و روح المعاني: ج6 / ص 146، و فيهما أن تناول الخطاب لحكام المسلمين هو بطريق الدلالة لا العبارة.

(4) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج6 / ص203 ، و قد رأى الأستاذ الطاهر بن عاشور أنه على القول بكون الخطاب لليهود المعاصرين لنزول الآية تكون الجملة معترضة.

(5) سورة الأنعام / الآيتان 01-02.

(6) ينظر: تفسير الطبري: ج7 / ص 146، و تفسير النسفي: ج1 / ص 313، و قال الشوكاني: "و هو – أي القول الأخير من أن المعني آدم و الخطاب للجميع – الأشهر و به قال الجمهور.". ينظر: فتح القدير: ج2 / ص 99.

(7) ينظر: روح المعاني: ج7 / ص 87، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 106.

10- قوله – تعالى-:(أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦) (1)

اختلف في ضمير الخطاب في قوله – تعالى-:(مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) أهو للكفرة المكذّبين من أهل مكة؟ أم للمؤمنين؟أم للنّاس جميعا مؤمنهم و كافرهم ؟

فعلى القول بكونه للمؤمنين لا التفات، وكذلك قيل إن كان للنّاس جميعا، و يكون الخطاب خطاب تلوين فقط.(2)

و أما على القول بكون الخطاب للمكذّبين من كفار مكة، ففيه التفات عن الغيبة في(أَلَمْ يَرَوْا)، نكتته المواجهة بضعف حالهم و بيان شأن الفريقين، وفي ذلك تبكيت لهم. و نكتة أخرى هي دفع الاشتباه عن مرجع الضميرين في قوله – تعالى-:(مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ).(3)

قال الطبري: " فإن قال قائل: فما وجه قوله:(مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ)؟ومن المخاطب بذلك ؟ فقد ابتدأ الخبر أوّل الآية عن قوم غيب بقوله:(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ). قيل:إن المخاطب بقوله:(مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) هو المخبر عنهم بقوله:(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ)، ولكن في الخبر معنى القول، ومعناه:(قل يا محمد لهؤولاء القوم الذين كذّبوا بالحقّ لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم). والعرب إذا أخبرت خبرا عن غائب و أدخلت فيه قولا فعلت ذلك، فوجّهت الخبر أحيانا إلى الخبر عن الغائب و أحيانا إلى الخطاب، فتقول: قلت لعبد الله: مَا أَكْرَمَهُ. و قلت لعبد الله: مَا أَكْرَمَكَ. و تخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب، وتخبر على وجه الخطاب له ثم تعود إلى الخبر عن الغائب، و ذلك في كلامها و أشعارها كثير."(4)

11- قوله – تعالى-:(ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢) (5)

قيل الضمير في قوله – عزّ وجلّ-:(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) عائد إلى المشركين المعهودين، فيكون فيه التفات

---

(1) سورة الأنعام / الآية 06.

(2) ينظر: تفسير البغوي: ج2 /ص 85. و نسب أبو حيان هذا القول إلى ابن عطية. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج4 / ص 80.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 111، و روح المعاني: ج7 / ص 95، و تفسير التحرير و التنوير: ج 7 / ص 136 ، و تفسير البحر المحيط: ج4 / ص 80.

(4) تفسير الطبري: ج7 / ص 149-150.

(5) سورة الأنعام / الآية 102.

إلى خطابهم بعد الإخبار عنهم غيبة في قوله – سبحانه-:(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ)(1).(2)

و قيل هو لجميع النّاس(3).

12- **قوله – تعالى-:**(وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾) (4)

الخطاب في قوله – سبحانه- :(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) لقوم موسى- عليه السّلام-، و"دار الفاسقين" هي مصر، (والفاسقون) فرعون وقومه، و في الكلام ترغيب لهم في أسباب توريثهم إياها، وترهيب لهم مما نال فرعون وقومه لما فسقوا، كي لا يفعلوا بفعلهم فينالهم ما نالهم. وقيل (الدّار) مصر ومنازل عاد و ثمود، و (الفاسقون) القرون الذين أهلكهم الله لفسقهم. و إراءتهم إيّاها: مرورهم عليها في أسفارهم. (5)

وذكر أبو السعود أن في هذا الخطاب تلوينا والتفاتا عن الغيبة، دلالته حملهم على الجدّ في الامتثال لما أمروا به، على نهج الوعد و التّرغيب إن كانت الدّار مصر، أو الوعيد و التّرهيب إن كانت الدّار مصر وديار عاد و ثمود و غيرهم من القرون الماضية الذين أهلكوا بذنوبهم.(6)

وبإمعان النظر في إثبات الالتفات في هذا الموضع فإنه قد يعترض بالقول بعدم اتحاد الضميرين بين المنتقل عنه والمنتقل إليه،إذ في قوله- تعالى-(فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا) خطاب لموسى- عليه السّلام – من الله- تعالى- بأن يأخذ ما أمر بأخذه بجدّ، وأن يأمر قومه بالأخذ بأحسنها، وليس خطابا لقومه. و أما في التّعبير الثّاني، و هو قوله – سبحانه-:(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) فالخطاب فيه لقوم موسى- عليه السّلام- ، فالمعبّر عنه في التّعبيرين ليس واحدا و إن كان المُعبِّر فيهما هو الله- تعالى؛ بل و حتى على القول بدخول موسى- عليه السّلام- في الخطاب،لا يستقيم القول بالالتفات لاستقرار الأسلوب على الخطاب؛ وعليه فلا التفات في هذا الموضع اللّهم إلا أن يكتفى بفهم سبق التّعبير دون تحقّقه (7).

---

(1) سورة الأنعام / الآية 100.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 169.
(3) ينظر: روح المعاني: ج7 / ص 243.
(4) سورة الأعراف / الآية 145.
(5) ينظر: تفسير الطبري: ج9 / ص 59، وتفسير ابن كثير: ج3 / ص 139، والكشاف: ج2 / ص 117، وفتح القدير:ج2 / ص 244.
و ذهب الرّازي في تفسيره: ج14 / ص 238 إلى أن في قوله – سبحانه-:(سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) وجهان: الأوّل: أن المراد التّهديد والوعيد على مخالفة أمر الله – تعالى- ، و على هذا التقدير يكون في تأويل الدار وجهان:الوجه الأوّل: أنها جهنم، و هو مروي عن ابن عباس و الحسن و مجاهد. الوجه الثّاني: مروي عن قتادة، أنها منازل الكافرين بالشام من الجبابرة و العمالقة، أو منازل عاد و ثمود و القرون الذين أهلكهم الله. الثّاني: أن المراد الوعد و البشارة بأن الله سيورثهم أرض أعدائهم و ديارهم.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 271. وتبعه الألوسي في ذلك وقال:التفات من الغيبة إلى الخطاب حسن موقعه قصد المبالغة في الحثّ.ا.ه روح المعاني: ج9 / ص 60.
(7) فيمكن القول به حينها، لكن ليس على وفق ما اصطلح عليه الجمهور.

13– **قوله – تعالى-:(** وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾) (1)

اختلف في ضمير الخطاب في قوله-تعالى-: (عَلَيْكُمْ)، فقيل هو للكفار المشركين على سبيل الالتفات بعد الإخبار عنهم و الإنكار عليهم شركهم في قوله:(أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ)(2)، و ضمير المفعول في(أَدَعَوْتُمُوهُمْ) عائد على الأصنام. وقيل هو للرسول–صلّى الله عليه وسلّم– و المؤمنين و ضمير النّصب للكفار.(3)

والفائدة من الالتفات، على القول الأوّل، هي مزيد الاعتناء بأمر التّوبيخ والإنكار و التّبكيت الذي يدلّ عليه السّياق و اللّحاق بعده (4)،أي:وإن تدعوا الأصنام أيّها المشركون إلى أن يرشدوكم إلى تحصيل المنافع أو دفع المضار و المكاره لا يتبعوكم على مرادكم و لا يجيبوكم، فسواء لديها من دعاها و من دحاها.(5)

14- قوله – تعالى-:(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾) (6)

اختلف في الخطاب في قوله – سبحانه – : (أَجَعَلْتُمْ) أهو للمشركين أو لبعض المؤمنين المؤثرين للسّقاية وعمارة المسجد الحرام على الهجرة والجهاد؟

و على القول بأنه للمشركين يكون فيه التفات من الغيبة في قوله – تعالى-:(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ) (7).(8)

وانتصر أصحاب هذا القول لرأيهم بكونه المتبادر من النّظم و بتخصيص ذكر الإيمان في جانب المشتبه به، كما استدلّوا بما أخرجه ابن أبي حاتم و ابن مردويه عن ابن عبّاس– رضي الله عنهما– أن المشركين قالوا:عمارة بيت الله و القيام على السِّقاية خير من الإيمان والجهاد. فأنزل الله الآية، و بما أخرجه ابن جرير عن الضّحاك قال: أقبل المسلمون على العبّاس و أصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيِّرونهم بالشِّرك، فقال ـــــــ

(1) سورة الأعراف / الآية 193.
(2) سورة الأعراف / الآيتان 191-192.
(3) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج4 / ص439.
(4) يقول – سبحانه-:(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ) سورة الأعراف / الآيتان 194-195.
(5) ينظر: تفسير ابن كثير: ج3 / 169-177، وروح المعاني: ج9 / ص 143.
(6) سورة التوبة / الآية 19.
(7) سورة التوبة / الآية 17.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 51-52.

العباس: أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام و نفكّ العاني و نحجب البيت ونسقي الحاج.فأنزل الله الآية.

واستدلّ من اختار كون الخطاب لبعض المؤمنين بما في الصحيح (1)عن النعمان بن بشير(2) – رضي الله عنهما – قال: « كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ –صلّىاللهُ عَلَيْهِ وسلّم–، فَقَالَ رَجُلٌ: بَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَسْقِيَ الحَاجَّ، وَ قَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَ قَالَ آخَرُ:بَلِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ،فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَ قَالَ:لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ –صلّى اللهُ

عَلَيْهِ وسلّم – ، وَ هُوَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَ لَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ .» . و ظاهر أن لا التفات على هذا القول. (3)

15- قوله – تعالى-:(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾) (4)

قيل إن ضمير الخطاب في قوله – تعالى-:(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) عائد على المنافقين و الكفار السّابق ذكرهم، فيكون فيه التفات من الغيبة لتقريعهم والتّشديد عليهم.(5)

وقيل بل هو عائد على مجموع الأمّة فلا التفات فيه، بل في(أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) إلى الغيبة والضمير حينها عائد على الخائضين المستمتعين من هذه الأمة.(6)ويؤيّده ما روي عن ابن عباس– رضي الله عنهما– من أنه قال:ما أشبه اللّيلة بالبارحة(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هؤلاء بنو إسرائيل شبّههنا بهم(7). وما ـــــــ

(1) ينظر: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د/ط.ت): ج3 / ص 1499، رقم: 1879.

(2) هو أبو عبد الله، النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، الأنصاري الخزرجي، أمّه عمرة بنت رواحة، له و لأبويه صحبة، ولد سنة 02 هـ

روى عنه الجماعة. توفي بحمص سنة 65هـ، وعمره أربع وستون سنة. ينظر: تهذيب الكمال: ج18 /ص 355-360، وتقريب التهذيب: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د /ط.ت):ج2 / ص303.

(3) يراجع الاستدلال على القولين في: روح المعاني: ج10 /ص 67. و قد أورد الإمام الطبري الرّوايات الثلاث و أخرى غيرها في القولين، وكان اختياره القول الثّاني، بينما اختار الزّمخشري الأوّل. ينظر: تفسير الطبري: ج10 /ص 95، و الكشاف: ج2 / ص 80.

(4) سورة التوبة / الآيتان 68– 69.

(5) ينظر: التفسير الكبير: ج16 / ص 128-129، و تفسير البحر المحيط: ج5 / ص69، و روح المعاني: ج10 / ص 133.

(6) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: تقيّ الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م: ص 23.

(7) أخرجه ابن جرير و ابن أبي حاتم و ابن المنذر و أبو الشّيخ. ينظر: تفسير الطبري: ج10 / ص 176، فتح القدير: ج2 / ص 380.

روي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – من أن النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم– قال: لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ وَبَاعًا بِبَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ قَالُوا: وَ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ أَ هُلُ الكِتَابِ؟ قَالَ: فَمَنْ ؟».(1)

ومن قال بالالتفات في الموضع الأوّل جعل الخطاب في(أُولَئِكَ) من باب التّلوين لأنه يعمّ المشبَّهين والمشبّه بهم ممّن عُدَّت أوصافهم،وقد تقدّم التّعبير عن المشبَّهين بالخطاب وعن المشبَّه بهم بالغيبة،فلا التفات.

ورأى البعض أن(أُولَئِكَ) عائد على المشبّه بهم، ورُدّ عليهم بأنه لو كان كذلك لاقتضى أن يكون حبوط أعمال المشبّهين و خسرانهم مفهومين ضمنا لا تصريحا، و لأدى إلى خلوّ

تلوين الخطاب عن الفائدة، إذ الظاهر حينئذ أن يقال:(أُولَئِكُمْ) والخطاب حينئذ للنّبيّ– عليه السّلام– أو لكل من يصلح للخطاب.(2)

وأورد ابن عاشور(3) قولا آخر، بعد إيراده القول بالالتفات، مفاده أن قوله– سبحانه– :(وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) هو من بقيّة المقول الذي أمر النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– بتبليغه المنافقين في قوله–تعالى–(قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ) (4) و ما بينهما اعتراض، و هو قوله – تعالى–(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) (5)، و أن ضمير الخطاب لهم جار على مقتضى الظاهر بدون التفات.(6)

16- قوله – تعالى-:(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) (7)

اختلف في ضمير الخطاب في الآية: أهو لعموم النّاس أم للمشركين؟ فقيل هو للمشركين المخبر عنهم في قوله – سبحانه–(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ ــــــــ

(1) مسند أحمد:ج2 / ص 327، رقم:8322 ، وسنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت): ج2 / ص 1322، رقم:3994، وقال عنه محمد فؤاد عبد الباقي: حسن صحيح. وهو في الصّحيحين عن أبي سعيد الخدري،لكن بغير هذا اللّفظ. ينظر: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق:د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، الطبعة الثّالثة، 1407هـ- 1987م: ج3 /ص 1274، رقم: 3269، و صحيح مسلم: ج4/ص 2054، رقم: 2669.

(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4/ ص 81.

(3) هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، رئيس المفتين بتونس و شيخ جامع الزّيتونة و فروعه. ولد بالمرسي ضواحي مدينة تونس شهر سبتمبرمن عام 1879م،وتوفي سنة 1973 ،ودفن بمقبرة الزلاّج بتونس،خلّف أكثر من أربعين كتابا مطبوعا، من أشهرها تفسيره "التحرير والتنوير" و " مقاصد الشريعة الإسلامية" و "موجز البلاغة". ينظر: بيان موقف شيخ الإسلام الطاهر بن عاشور من الشّيعة من خلال تفسيره" التحرير والتنوير": خالد أحمد الشّامي، مركز إحياء تراث آل البيت، تونس، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م: ص 17-33.

(4) سورة التوبة / الآية 65.

(5) سورة التوبة / الآية 67.

(6) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ج10 / ص 256-257.

(7) سورة المؤمنون / الآية 78.

الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ *وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ *وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ *حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ)(1) على سبيل الالتفات ،والقلّة المنفيّة محمولة على ظاهرها أو على النّفي الكلّي. وقيل هو للناس جميعا وتكون القلّة المنفيّة على ظاهرها بتغليب المؤمنين على عموم النّاس. (2)

17- قوله – تعالى-:(لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾)(3)

اختلف في ضمير الخطاب في قوله – تعالى-:(سَمِعْتُمُوهُ). فقيل هو عائد إلى الخائضين في الإفك جميعهم. وقيل إلى الخائضين من دون الذي تولّى كبره منهم. و قيل الخطاب للمؤمنين أو لعموم النّاس.

وعلى القولين الأوّل والثّاني يكون في الكلام التفات إلى الخطاب، بعد الغيبة في(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (4) لتشديد التّوبيخ و الإنكار عليهم. (5)

وأمّا على القول بكون الضمير للمؤمنين أو عموم النّاس فلا التفات، لجري الكلام على الخطاب السّابق في قوله – سبحانه-:(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) أي منكم أيّها المسلمون أو المؤمنون أو النّاس على إرادة عموم المجتمع.(6)

18- قوله – تعالى-:(أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾) (7)

أرجع البعض الضمير(أَنْتُمْ) إلى عموم المكلّفين. و قيل بل هو عائد على المنافقين، فيتحقّق الالتفات من الخطاب في (أَنْتُمْ) إلى الغيبة في (يُرْجَعُونَ) للدّلالة على الإعراض عنهم و إسقاطهم عن رتبة الخطاب، زيادة في توبيخهم. (8)

---

(1) سورة المؤمنون / الآيات 68-77.

(2) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص57 وقد اختار الألوسي القولبكون الضمير للمشركين مع جواز كون القلّة على ظاهرها، و ردّ قول من قال أن الضمير للمؤمنين، و لم يعتبره لبعده. كما قال بعوده على المشركين الطبري في تفسيره: ج4 / ص 164 والشوكاني في: فتح القدير: ج3 / ص 394، و الطاهر بن عاشور في: تفسير التحرير و التنوير: ج18 / ص 104 و أورد قولا ثالثا باحتمال كونه للمسلمين والغرض التعريض بالمشركين.كما أورده أيضا أبو حيان و كان اختياره عموم الخطاب الناس. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص 385.

(3) سورة النور / الآية 12.

(4) سورة النور /الآية 11.

(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 161، روح المعاني: ج18 / ص 117.

(6) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص 117. واختار الطبري في تفسيره: ج18 / ص 86 كون الخطاب للناس.

(7) سورة النور / الآية 64.

(8) ينظر: الكشاف: ج3 /ص80، وتفسير النسفي: ج3 /ص159، وتفسير أبي السعود: ج6 /ص199، وتفسير الجلالين: ج1 /ص470.

وأشار الألوسي إلى التفات قبله هو من الغيبة في:(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1) إلى الخطاب في (أَنْتُمْ).(2)

19- قوله – تعالى-: (وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾) (3)

قيل الخطاب في(ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) للإنسان بطريق الالتفات من الغيبة في: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) (4) و(ذَلِكَ) إشارة إلى "الموت"(5). وجُوِّز أن يكون (ذَلِكَ) إشارة إلى "الحقّ" و الخطاب للفاجر ، كما جوِّز أن يكون الخطاب للنّبيّ – صلى الله عليه وسلّم-(6) ولا التفات.

20– **قوله – تعالى-:**(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١) (7)

قيل إن الخطاب في قوله – سبحانه-: (لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً) للمتعدِّي بطريق الالتفات من الغيبة في(وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)، للدّلالة على مزيد الاهتمام بالزّجر عن التّعدِّي. و قيل بل هو للنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – و لا التفات فيه.(8)

21- **قوله – تعالى-:**(وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣) (9)

الالتفات هو في قوله – سبحانه-:(وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ) إلى الخطاب بعد الغيبة في قوله: (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا

______

(1) سورة النور / الآية 63.

(2) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص 228. و الملاحظ أنه عند التعرض للقول بعود الضمير(أَنْتُمْ) على عموم المكلفين، لا يذكر أ يكون في الكلام على هذا التقدير التفات أم لا؟ والظاهر أن الجواب:نعم، على مذهب من يرى أن التعبير عن جماعة بطريق من الطرق الثلاثة ثم التعبير عن بعض منها بطريق أخرى منها من الالتفات.والضمير في(يُرْجَعُونَ)للمنافقين،وهم جزء من عموم المكلفين المخاطبين في قوله-تعالى-(قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)،فيكون التفاتا،أما على مذهب الجمهور فلا.وقد أشار إلى الخلاف في هذه المسألة الألوسي في:روح المعاني:ج3/ص 98.

(3) سورة ق / الآية 19.

(4) سورة ق / الآية 16.

(5) ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 / ص 228، وتفسير أبي السعود: ج8 / ص 130، و تفسير النسفي: ج4 / ص 172.

(6) ينظر: الكشاف: ج4 / ص 07.

(7) سورة الطلاق / الآية 01.

(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 /ص 261، و روح المعاني: ج28 / ص 134.و ظاهر ما اختاره الطبري و ابن كثير أن الخطاب للمتعدِّي. ينظر: تفسير الطبري: ج28 / ص 135، و تفسير ابن كثير: ج7 / ص 19.بينما اختار الشّوكاني كونه للنّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– وأن جملة (لاَ تَدْرِي) مستأنفة لتقرير ما قبلها و تعليله. ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 241.

(9) سورة الملك / الآية 13.

بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ* تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ* قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ* وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ* فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) (1) ، بناء على أن الضمير للمشركين الكافرين (2).

و يؤيد هذا القول رواية ابن عباس– رضي الله عنهما – من أنهم كانوا ينالون من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – فيخبره جبريل – عليه السّلام– بما قالوا. فقالوا فيما بينهم: أسرّوا قولكم لئلاّ يسمع إله محمّد. فنزلت الآية.(3)

وأما على قول من قال بعموم الضمير للناس و المكلّفين (4) فلا التفات.

22- قوله- تعالى- :(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾) (5)

الضمير في (إِلَيْكُمْ) قيل هو للكافرين المكذّبين من أهل مكة فيكون فيه التفات إلى الخطاب من الغيبة في قوله – سبحانه-:(وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعمةوَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) (6).و قيل بل يعود على كل المكلّفين، ولا التفات فيه. (7)

ورأى الطاهر بن عاشور أن الخطاب للمشركين و لا التفات فيه، بل هو استئناف ابتدائي. قال: " نقل الكلام إلى مخاطبة المشركين بعد أن كان الخطاب موجَّها إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم –.و المناسبة لذلك التخلُّص إلى وعيدهم بعد أن أمره بالصّبر على ما يقولون و هجرهم هجرا جميلا إذ قال له: (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) إلى قوله: (عَذَاباً أَلِيماً) (8). فالكلام استئناف ابتدائي، و لا يعدّ هذا الخطاب من الالتفات لأن الكلام نقل إلى غرض غير الغرض الذي كان قبله، والخطاب فيه على مقتضى الظاهر. و المقصود من هذا الخبر التعريض بالتّهديد أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ممن كذبوا الرسل، فهو مثل مضروب ــــــــ

(1) سورة الملك / الآيات 06-11.
(2) ينظر، روح المعاني: ج29 / ص 13.
(3) ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 262، و تفسير النسفي: ج4 / ص 265، و زاد المسير: ج8 / ص 321.
(4) ينظر: تفسير الطبري: ج29 /ص 6، و تفسير الجلالين: ج1 / 755.
(5) سورة المزمل / الآية 15.
(6) سورة المزمل / 11.
(7) ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 318، روح المعاني: ج29 / ص 108. و قد اختار الطبري في تفسيره: ج29/ ص 136 كون الخطاب للعموم، بينما اختار الرّازي في تفسيره: ج30 / ص 182 كونه لأهل مكة.
(8) سورة المزمل / الآيات11-13.

للمشركين، وهذا أول مثل ضربه الله للمشركين للتهديد بمصير أمثالهم على قول الجمهور في نزول هذه السورة."(1).

23- قوله –تعالى-:(فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾) (2)

الخطاب في قوله – تعالى – : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين) للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- بمعنى: فأي شيء يكذّبك دلالة أو نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدّلائل النّاطقة به ؟ أو أن "ما" بمعنى (مَن).

وقيل هو للإنسان فيكون فيه التفات من الغيبة في قوله– سبحانه-:(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (3) لتشديد التّوبيخ و التّبكيت، أي: فما يجعلك كاذبا أو مكذّبا بعد هذه الدّلائل؟.(4)

ثانيا: اختلاف في عود ضمير غيبة في المنتقل إليه على المنتقل عنه:ومن أمثلته:

1- قوله – تعالى-:(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾) (5)

اختلف في المراد ب أ(ولَـٰئِكَ) تبعا للاختلاف في الاسم الموصول (الَّذِينَ) أهو للجنس فيشمل أهل الكتاب؟ أم للعهد فيشمل مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام أو الأربعين الذين عادوا مع جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – من الحبشة على ما قيل؟ أم هل المراد أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – و الكتاب القرآن؟ أو الأنبياء والمراد بالكتاب الجنس أي ما أنزل عليهم من كتب متفرقة؟ فيكون تحديد المراد منأ(ولَـٰئِكَ) بعده بحسبه..
وقد جوّز قوم عود الضمير في (بِهِ) على (الهُدَى) في قوله-تعالى-:﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى) (6)، وقيل هو عائد إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – أو إلى الله- تعالى- ؛ فإذا كان المراد به النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم – كان فيه التفات إلى الغيبة بعد الخطاب في ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) (7) وإن أريد به الله – تعالى– كان الالتفات إلى الغيبة بعدالتّكلّم ـــــــ

(1) تفسير التحرير و التنوير: ج29 / ص 272.
(2) سورة التّين / الآيتان 07-08.
(3) سورة التّين / الآية 04.
(4) ينظر القولان في: تفسير الطبري: ج30 /ص 249، و تفسير البيضاوي: ج5 / ص 508، و فتح القدير: ج5 / ص 466، و تفسير أبي السعود: ج9 / ص 176.و اختار الزّمخشري القولالثّاني. ينظر: الكشاف: ج4 / ص 269.
(5) سورة البقرة / الآية 121.
(6)، (7) سورة البقرة / الآية 120.

بنون العظمة في (آتيناهم). (1)

2- قوله – تعالى-:(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾)(2)

والخلاف في الآية في تقدير عود الضمير في قوله – سبحانه– (يَعْرِفُونَهُ)، أهو عائد إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – أم إلى غيره؟ فإن كان عائدا إلى النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- كان الالتفات إلى الغيبة بعد الخطاب في ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (3).
يقول البيضاوي: "(يَعْرِفُونَهُ) الضمير لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– و إن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه، وقيل للعلم أو القرآن أو التّحويل﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) يشهد للأول، أي يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. عن عُمر أنه سأل عبد الله بن سلام (4) عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – فقال: أنا أعلم به منّي بابني. قال: ولم ؟ قال: لأني لست أشكّ في محمّد أنه نبيّ، فأمّا ولدي فلعلّ والدته قد خانت."(5) و عليه فلا التفات على إرادة العلم أو القرآن أو تحويل القبلة.
يقول أبو السعود: " و الالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن المراد ليس معرفتهم له من حيث ذاته و نسبه بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنّعوت التي من جملتها أنه- عليه السّلام– يصلّي إلى القبلتين، كأنه قيل: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه)، وبهذا يظهر جزالة النّظم الكريم."(6)

وقال الزّمخشري - و قد اختار القول الأوّل – عن الإضمار في(يَعْرِفُونَهُ) بدل الإظهار: " و مثل هذا الإضمار فيه تفخيم و إشعار بأنه لشهرته و كونه علَما معلوم بغير إعلام." (7)

3- قوله – تعالى-:(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠) **(8)**

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 153، و روح المعاني: ج1 / ص 372-373، و فيهما ترجيح كون المراد ب(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) مؤمني أهل الكتاب سواء كان الموصول للجنس أو للعهد، وأن الضمير في (بِهِ) عائد على "الكتاب " فهم يؤمنون به دون المحرفين منهم، و استبعد الألوسي بعض تلك الوجوه بالقول: و لا يخفى ما في بعض هذه الوجوه من البعد البعيد ا.ه

(2) سورة البقرة / الآية 146.

(3) سورة البقرة / الآية 145.

(4) هو أبو يوسف، عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي مشهور، كان اسمه الحصين فسماه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم – عبد الله،وشهد له بالجنة.كان من أحبار اليهود قبل إسلامه، وقد روى عنه الجماعة. توفي بالمدينة سنة 43هـ. ينظر:تهذيب الكمال:ج9/ص142.

(5) تفسير البيضاوي: ج1 / ص 423-424.

(6) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 176.

(7) الكشاف: ج1 / ص 321.

(8) سورة البقرة / الآية 170.

قيل إن الضمير في(لَهُمُ) عائد على(النّاس) في قوله– تعالى-:يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَايَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ)(1) فيكون فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، دلالته تسجيل كمال الضلال و الجهل عليهم المستوجب الانصراف و الإعراض عنهم و توجيهه إلى العقلاء، وكأنه يقول: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون؟ و قيل بل الضمير عائد على اليهود لما روي عن ابن عباس– رضي الله عنهما – من أن الآية نزلت بخصوصهم، وقيل بل نزلت بشأن المشركين، والجملة مستأنفة غير موصولة بما قبلها،وعليه فلا التفات.(2)

4- قوله – تعالى-:(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠)**(3)**

اختلف في الضمير في (يَعْرِفُونَهُ) ، فعلى القول بعوده إلى النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – يكون في الكلام التفات إلى الغيبة من الخطاب في قوله -سبحانه-قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَاهُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) (4) و أما إن كان عائدا إلى الكتاب فلا التفات.(5)

5- قوله – تعالى-:(وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ

هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾) (6)

اختلف في الضميرين: الذي في محلّ رفع (هم)و الذي في محلّ جرّ في (عنه) من قوله – تعالى-:(وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ). فقيل الأوّل للمشركين والثّاني للقرآن.(7) وعلى هذا القول لا التفات.

---

(1) سورة البقرة / الآيتان 168– 169.
(2) ينظر: تفسير البيضاوي: ج1 / ص 447، تفسير النسفي: ج1 /ص 84، تفسير أبي السعود: ج1 /ص 188. و قد رد الألوسي هذا القول بأن النزول في حق اليهود أو المشركين لا يقتضي تخصيص الضمير بهم و أنه شاع القول بأن عموم المرجع لا يقتضي تخصيص الضمير،
و أن نظم القرآن الكريم يأبى ذلك. ينظر: روح المعاني: ج2 / ص 40.
(3) سورة الأنعام / الآية 20.
(4) سورة الأنعام / الآية 19.
(5) ينظر: فتح القدير: ج2 / ص 105، و روح المعاني: ج7 / ص 119.
(6) سورة الأنعام / الآيتان 25-26.
(7) تفسير التحرير و التنوير: ج7 / ص 182.

وقيل الأوّل للمشركين والثّاني للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم -، أو أن الأوّل لأبي طالب و من معه من عشيرته الذين كانوا يدفعون عن النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– أذية قريش، والثّاني للنّبيّ– عليه السّلام-. وعلى هذين القولين يتحقّق الالتفات من الخطاب في (جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ) إلى الغيبة في (عَنْهُ).(1)

6- قوله –تعالى-:(هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾) (2)

هذه الآية من أشهر ما يمثّل به للالتفات، و موضعه في قوله – تعالى- (بِهِمْ) إلى الغيبة، بعد الخطاب في (كُنْتُمْ)، فائدته الإيذان بسوء الحال الموجب للإعراض عنهم و تعديد جناياتهم لغيرهم فيستدعي ذلك التعجب منها و إنكارها.. (3)
وقيل أيضا إن نكتة هذا الالتفات بيان بعدهم في المكان وغيابهم عن المخاطبين، فعبّر عنهم بلفظ الغائب، وكأن القارئ يتصوّر بعدهم في البحر و عزلتهم.. ثم حدث الذي حدث.. حيث لا ناصر ولامغيث..ولا منجي غير الله – تعالى- ..فهو أمام مشهد يتخيّله و يتصوّره بكلّ أحداثه و مراحله..وما كان ليتصوّره بذلك الشمول و تلك الإحاطة لو استعمل ضمير الخطاب، وكان التّعبير:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُتُمْ بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَكُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ أُحِيطَ بِكُمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فقد يتصوّر نفسه معهم و يتخيّل الشّدّة المحيطة بهم ! فلا يكون همّه إلا التّفكير في الخلاص، فينسى بذلك ما كان من أحداث قبل، و تضيع بذلك حلقات من المشهد.(4)

قال الزّركشي: " و قيل إن الخطاب كان أوّلا مع النّاس مؤمنهم و كافرهم بدليل قوله: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فلو قال:(وَجَرَيْنَ بِكُمْ) للزم الذّم للجميع، فالتفت عن الأوّل للإشارة إلى الاختصاص بهؤولاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، فعدل عن الخطاب العام إلى الذّم الخاص ببعضهم و هم الموصوفون بما أخبر عنهم. وقيل لأنهم وقت الرّكوب حضروا و لأنهم خافوا الهلاك و تقلبّ

---

(1) ينظر: فتح القدير: ج2 / ص 110، و روح المعاني: ج7 / ص 126 – 127، و تفسير البحر المحيط: ج4 / ص104.
(2) سورة يونس / الآية 22.
(3) ينظر: المثل السّائر: ج2 / ص 181، و الكشاف: ج2 / ص 231، و فتح القدير: ج2 / ص 435.و رأى الإمام الرّازي أن فيها دلالة على التّعيد و المقت و الطّردو أن ذلك هو اللاّئق بحال أولئك و حال كل من كانت صفته مقابلة إحسان الله – تعالى – إليه بالكفران ؛ و أن هذه الصّورة للالفتات هي عكس ما دل عليه الالتفات في قوله – سبحانه – إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) من الغيبة إلى الحضور من علو الدّرجة وكمال القرب من خدمة رب العالمين.ينظر: التفسير الكبير: ج 17/ ص 240
(4) يراجع: التصوير الفني في القرآن: ص 48.

الرّياح فناداهم نداء الحاضرين، ثم إن الرّياح لما جرت بما لا تشتهي النفوس وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان، على ما هي عادة الإنسان أنه إذا أمن غاب، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فكّرهم الله بصيغة الغيبة و قال (وَجَرَيْنَ بِهِمْ)." (1).

وقال الطاهر بن عاشور: "و من بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النّعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السّامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضّرّاء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخصّ المشركين فقال:(وَجَرَيْنَ بِهِمْ) على طريقة الالتفات أي: و جرين بكم. و هكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال:(فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحّض ضمير الغيبة هذا للمشركين."(2)

وقال قوم ليس فيه التفات، لأن معنى (إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ): إذا كان بعضكم فيها. إذ الخطاب للكلّ

ومنهم المسيَّرون في البرّ، فالضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدّر(بعض)كما في قوله – تعالى-:(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ)(3) و التقدير: (أَوْ كَذِيظُلُمَاتٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ). (4)

وقد رأى المبرّد في كتابه "الكامل" أن المخاطبة في الآية كانت للأمة ثم انصرفت إلى النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – إخبارا عنهم، و انتقد بالقول بأن ما ذهب إليه ليس مفهوما من الآية.

يقول رابح دوب: " و نحن لا نوافق المبرّد على هذا التّفسير، لأن المفهوم من الآية أن الخطاب موجّه إلى النّاس بطريق الخطاب، ثم أخبر عنهم بطريق الغيبة، فالالتفات في قوله (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) و ليس كما زعم المبرّد بأن الالتفات في قوله (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ) باعتبار أن الخطاب كان موجها إلى الأمة ثم انصرف إلى الرسول–صلّى الله عليه وسلّم -. و من هنا استحق المبرّد النّقد اللاّذع الذي وجهّه إليه المرصفي و هو يعقّب عليه بقوله: و هذا هذيان من أبي العباس و غفلة عن سياق الآية، و إنّما الخطاب فيها للناس لا للنّبيّ – عليه السّلام -، قال – تعالى-:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ) ثم صرف الخطاب إلى الغيبة فقال:(وَجَرَيْنَ بِهِمْ) كأنه يريد أن يؤكّد حالهم لمن بعدهم فينكروه و يستقبحوه."(5).

7- **قوله – تعالى-:**(سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَـٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١) **(6)**

---

(1) البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 318.
(2) تفسير التحرير و التنوير: ج11 / ص 135.
(3) سورة النور / الآية 40.
(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 134، روح المعاني: ج11/ ص 96.
(5) الدّرس البلاغي عند المفسرين: رابح دوب، دار الفجر للنشر و التوزيع - الهرم، مصر، الطبعةالثّانية، 1999م: ص 169. و عن انتقاد المرصفي للمبرّد أحال إلى كتاب: رغبة الأمل. و للوقوف على قول المبرّد ينظر: الكامل في اللّغة والأدب: ج2 / ص 332-334.
(6) سورة الإسراء / الآية 01.

اتّفق على الالتفات – كما سبق – في قوله – سبحانه-:(بَارَكْنَا) إلى التّكلّم بعد الغيبة في(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى) (1). و اختلف في القول به في قوله – سبحانه – :(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) بالعدول إلى الغيبة بعد التّكلّم في(مِنْ آيَاتِنَا) للاختلاف في تحديد مرجع الضمير، أيرجع إلى الله – تعالى- فيتحقّق الالتفات، أم إلى الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – فلا التفات لجريه على أسلوب الغيبة في(لِنُرِيَهُ)؟.

قال الألوسي بعد أن بيّن الالتفات الأوّل: "و أما الغيبة في قوله – سبحانه-:(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) على تقدير كون الضمير له – تعالى – كما هو الأظهر و عليه الأكثر فليطابق قوله – تعالى – (بِعَبْدِهِ) ويرشّح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه، وينطبق عليه التّعليل أتمّ انطباق، إذ المعنى قربه وخصّه بهذه الكرامة."(2).

وقال ابن الأثير:"(إِنَّهُ هُوَ) عطف على(أَسْرَى)وذلك موضع متوسط الصفة،لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره، وتلك حال متوسطة فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب."(3)

8- **قوله – تعالى-:(** وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦) **4)**

في الآية نهي عن الاتّباع بغير علم في القول أو الفعل.(5) و(كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) إشارة إلى الأعضاءالثّلاثة، أجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها. و الضمير في (كَانَ) يرجع إلى (كُلُّ) و كذلك الضمير في (عَنْهُ)، أي:(كان كل من ذلك مسؤولا عن نفسه: هل استعملك صاحبك فيما خلقت له أم لا ؟) و على هذا القول لا التفات.(6)

وجوّز البعض أن يكون الضمير في (كَانَ) عائدا على (الْقَافِي) المدلول عليه بقوله(وَلا تَقْفُ)، فيكون فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، و مقتضى الظاهر القول:(كُنْتَ عَنْهُ مَسْؤُولاً).(7)

9- **قوله – تعالى-:(** كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ۝٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وِزۡرًا ۝١٠٠) **(8)**

(1) يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الثّالث: ص 74.
(2) روح المعاني: ج15 / ص 13، و نقل أقوالا في توجيه الكلام على تقدير كون الضمير للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم - .و اختار الأستاذ الطاهر بن عاشور كونه للنّبيّ – عليه السّلام – و أن جمهور المفسرين على أنه لله – تعالى- .ينظر: تفسير التحرير و التنوير:ج15 / ص46.
(3) المثل السّائر: ج2 / ص 176.
(4) سورة الإسراء / الآية 36.
(5) ينظر: تفسير الطبري: ج3 / ص 227، و الكشاف: ج2 / ص 449.
(6) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 449، و تفسير النسفي: ج2 / ص 286.
(7) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 /ص 172، و فتح القدير: ج3 / ص 227، و تفسير البحر المحيط: ج6 / ص33.
(8) سورة طه / الآيتان 99-100.

المقصود بالذّكر في الآية القرآن، و الضمير في (عَنْهُ) عائد إليه.(1) وعلى هذا القول لا التفات. وقيل الضمير لله – تعالى – على سبيل الالتفات إلى الغيبة من التّكلّم بنون العظمة في (آتَيْنَاكَ).(2)

10- قوله – تعالى-:(وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾) (3)

جاء في تفسير هذه الآية أن المقصود ربا المعاملة، أي: ما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة ليزيد و يزكو في أموال النّاس، فلا يربو عند الله أي: لا يبارك فيه. و قيل المعنى: و ما أعطيتم أيها النّاس بعضكم بعضا من عطية أو هدية لتزداد في أموال النّاس برجوع ثوابها إلى المعطي فلا يربو عند الله، أي: فلا يزداد ذلك عند الله، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجه الله. و أن ما آتيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فأولئك، أي: الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله، هم المضعفون، أي: في الأجر و الثواب. (4)

وفي قوله – عز و جل-(فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) التفات إلى الغيبة بعد الخطاب. يقول الزّمخشري: "هو التفات حسن، كأنه قال لملائكته و خواص خلقه:(فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون) فهو أمدح من أن يقول:(فَأَنْتُمْ الْمُضْعِفُونَ)." (5).

وسواء جعلت (ما) موصولة أو شرطية لابد من تقدير الراجع، و لا يتحقّق الالتفات على تقدير:(فَمُؤْتُوهُ أُولَئِكَ). يقول الألوسي:"و على تقدير (مُؤْتُوه) العام لا يكون هناك التفات بالمعنى المتعارف عليه، و اعتبار الالتفات أولى." (6).

وقد يعترض القول بالالتفات مع اعتبار (ما) شرطية، إذ الجملة الشرطية كلام واحد، و الالتفات في ــــــــ

(1) ينظر: تفسير الطبري: ج16 / ص 209، و الكشاف: ج2 / ص 552، و فتح القدير: ج3 / ص 385.
(2) و قد استبعد الألوسي هذا القول و اعتبره "خلاف الظاهر جدا".ينظر: روح المعاني: ج16 / ص 259.
(3) سورة الروم / الآية 39.
(4) ينظر: تفسير الطبري: ج21 /ص 45، و تفسير ابن كثير: ج5 / ص 219، و تفسير البيضاوي: ج4 /ص 337.
(5) الكشاف: ج3 / ص 224. و أضاف في الموضع نفسه قائلا:"و المعنى:(المضعفون به) ، لأنه لابدّ من ضمير يرجع إلى (ما). و وجه آخر هو أن يكون تقديره:(فمؤتوه أولئك هم المضعفون)، و الحذف لما في الكلام من الدّليل عليه، وهذا أسهل مأخذا. والأوّل أملأ بالفائدة.".
(6) روح المعاني: ج21 / ص 46، و نقل قول الزّمخشري من أن الكلام عليه أملأ بالفائدةو علّل ذلك من وجوه: أوّلها: الإشارة بـ(أُولَئِكَ) للتعظيم.الثّاني: تقريع الملائكة – عليهم السّلام – بمدحهم. الثّالث: ما في نفس الالتفات من الحسن.الرابع ما في(أُولَئِكَ) على هذا من الفائدة المقررة في نحو:(فذلك إن يهلك فحسبي ثناؤه). و هذا بخلاف ما إذا جعل و صفا للمؤتين، فيفيد ذلك التقدير تعظيم الفعل لا الفاعل و إن لزم بالعرض. و بيّن أن الأسلوب كله يخدم هذا

الغرض، غرض التعظيم، بالمجيء بالجملة الإسمية مصدّرة باسم الإشارة مع ضمير الفصل قصد المبالغة، بما يثبت لهم المضاعفة التي هي أبلغ من مطلق الزّيادة على طريق التّأكيد بالاسمية و الضمير و حصر ذلك فيهم بالاستحقاق، مع ما في الإشارة من التّعظيم لدلالته على علوّ المرتبة ، و ترك ما أتوا و ذكر المؤتي، وبالالتفات كأنه – سبحانه – خاطب بذلك الملائكة – عليهم السّلام – و خواصّ الخلق تعريفا لحالهم.".

الكلام الواحد مما اختلف في القول به.(1)

وقد حاول النّسفي الجمع بين القولين فقال:'فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) التفات حسن لأنه يفيد التّعميم، كأنه قال: من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين."(2).

والظاهر أنه لا يمكن القول بالالتفات و التّعميم معا – و إن كان المعنى الذي ذهب إليه وجها محتملا في تفسير الآية - لعدم تحقّق الشّرط المذكور و هو اتحاد الضمير بين المنتقل إليه و المنتقل عنه.

11- قوله – تعالى-:(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٣١ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢) (3)

قيل بالالتفات إلى الغيبة في(غَشِيَهُمْ) من الخطاب في (لِيُرِيَكُمْ).(4)

وقال الألوسي: " و ضمير(غَشِيَهُمْ) إن اتحد مع ضمير المخاطبين قبله ففي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة و إلا فلا التفات." (5) و هو كلام مجمل، يوحي بتردّده في الفصل في شأن الضمير في (غَشِيَهُمْ) أهو عائد على الكفار؟ أم على المؤمنين؟ أم هو على العموم ؟و ذلك لارتباطه بضمير الخطاب في (لِيُرِيَكُمْ) و لم يحدّد المقصود به أيضا، فلذلك فضّل العموم، و إن مال إلى القول بأن قوله – تعالى-: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو في المؤمن.(6)

وبالنظر إلى ظاهر الآية الأولى فإن فيها إيحاء بالعموم، لكن ختامها وهو قوله – سبحانه-:(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) يوحي بأنه للمؤمنين ؛ و أما بالنظر إلى الآية التي قبلها و هي قوله - تعالى-:(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (7) و ختام التي بعدها و هو قوله – تعالى-:(وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) (8) و الختر أقبح الغدر، تجد أن ذلك يوحي بأنها في خصوص الكفار.(9)

---

(1) تراجع: شروط الالتفات في: التمهيد:ص 33، و أمثلة لالتفاتات مختلف فيها بسبب الاختلاف في هذا الشرط، في: الفصل الثّاني: المبحث الأوّل: ص 99-104.

(2) تفسير النسفي: ج3 / ص 275.

(3) سورة لقمان / الآيتان 31-32.

(4) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج7 / ص188-189.

(5) روح المعاني: ج21 / ص 105.

(6) ينظر: المصدر نفسه: ج21 / ص 105.

(7) سورة لقمان / الآية 30.

(8) سورة لقمان/ الآية 32.

(9) ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 / ص 352 وفيه القولان أي إيرادة العموم أو إرادة خصوص المؤمنين،وتفسير أبي السعود: ج7 /ص77 =

وعلى القول بأن الخطاب في(لِيُرِيَكُمْ) عام، وأن المقصود ب(صَبَّارٍ شَكُورٍ) المؤمن، وأن لإخبار في(غَشِيَهُمْ) عن الكفار(1) وهم خصوص من ذلك العموم، يتحقّق الالتفات على

مذهب من يرى أن التعبير عن جماعة بإحدى الطرق الثلاثة ثم التعبير عن بعضها بطريق أخرى منها من الالتفات، وهو ما يخالف مذهب الجمهور.

وعليه فإن التفصيل أن يقال: إنه متى أريد بالضمير في الموضعين العموم أو خصوص المؤمنين أو خصوص الكفار يكون في الكلام التفات على مذهب الجمهور، وهو ما أجمله الألوسي في قوله. وكذلك إن أريد بالثّاني الخصوص و بالأوّل العموم، لكن على غير مذهب الجمهور، وأما على العكس فلا. (2)

12- قوله – تعالى-:(وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾) (3)

اختلف في الضمير في قوله-تعالى-(قُلُوبِهِمْ) فقيل هو عائد إلى الشّافعين و المشفوع لهم بالإذن، وقيل هو للملائكة، وقيل هو للمشركين المخاطبين في قوله – تعالى-:(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) (4).(5)

وعلى القول بعود الضمير إلى المشركين يكون في الكلام التفات إلى الغيبة بعد الخطاب في قوله – سبحانه-: (زَعَمْتُمْ). (6)

13- قوله – تعالى-:(قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾) (7)

الالتفات المختلف فيه هو في قوله– سبحانه-:(آتَيْنَاهُمْ)، إلى الغيبة بعد الخطاب في(أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمْ) فمن رأى أن الضمير"هم" في(آتَيْنَاهُمْ) عائد على المشركين قال بالالتفات،وكان مقتضى الظاهر: (آتَيْنَاكُمْ ـــــــ

= وفيه أن الخطاب للمؤمنين. و رأى الرّازي العموم في الموضعين. ينظر: التفسير الكبير: ج25 / ص 162.

(1) ينظر: تفسير الطبري: ج21 / ص 84-85، و هو أيضا ظاهر ماذهب إليه الشوكاني . ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 244-245.

(2) و يبقى متفقا على الالتفات في قوله – سبحانه-(بِآيَاتِنَا) بالانتقال من الغيبة إلى التّكلّم بنون العظمة. ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج21 / ص 192.

(3) سورة سبإ / الآية 23.

(4) سورة سبإ / الآية 22.

(5) ينظر: تفسير الطبري: ج22 / ص 89 –92، و تفسير البيضاوي: ج4 / ص 400، و تفسير البغوي: ج3 / ص 566.

(6) ينظر: روح المعاني: ج22 / ص 139.

(7) سورة فاطر / الآية 40.

كِتَابًا فَأَنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ)، دلالته الإعراض عنهم و إسقاطهم عن رتبة الخطاب. و من رأى أنه عائد على الشّركاء فظاهر عدم الالتفات فيه.(1)

14- قوله – تعالى-:(وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾) (2)

اختلف في الضمير في قوله – تعالى-:(ثَمَرِهِ). فقيل يعود على المجعول و هو الجنات. و قيل على الماء، لدلالة العيون عليه، أو لكون الكلام على حذف مضاف، أي: ماء العيون. و قيل على النخيل، و اكتفي به للعلم باشتراك الأعناب معه في ذلك، و قيل على التّفجير المفهوم من(فَجَّرْنَا).(3)

وذهب الزّمخشري إلى أن الضمير له – عز و جل-، و إضافةالثّمر إليه – سبحانه– لأنه خالقه، فكأنه قيل: ليأكلوا ممّاخلقه الله من الثّمر.(4)

وعلى هذا الأخير يكون في الكلام التفات منالتّكلّم بنون العظمة في(فَجَّرْنَا) إلى الغيبة.(5) واعترض بأن الأولى ضمير الواحد المطاع لما فيه من الدّلالة على العظمة والقدرة والاختصاص. و أجيب بأن ما سبق أفخم، و هي أفعال عامّةالدّفع ظاهرة في كمال القدرة و الاختصاص، والحبّأو الثّمر أحطّ مرتبة، وخلقه و إن كان من الله فكماله بفعل الآدمي. (6)

15- قوله – تعالى-:(وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾) (7)

قيل إن الضمير في قوله – سبحانه-:(فَلَمَّا حَضَرُوهُ) للقرآن. وقيل هو للرّسول–صلّى الله عليهوسلّم– على الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في (إِلَيْكَ). و قيل الأوّل أظهر.(8)

* * *

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج7 / ص 155، و روح المعاني: ج22 / ص 203.
(2) سورة يس / الآيتان 34 – 35.
(3) ينظر: روح المعاني: ج23 / ص 08.
(4) ينظر:الكشاف: ج3 / ص 321.
(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج7 / ص 165، و تفسير البحر المحيط:ج7 / ص320-321.
(6) ينظر: روح المعاني: ج23 / ص 08.
(7) سورة الأحقاف / الآية 29.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 / ص 88، و فتح القدير: ج5 / ص 25، و روح المعاني: ج26 / ص 30. و قال الزّمخشري:" و يعضدالثّاني قراءة من قرأ(لَمَّا قَضَى) أي: أتم قراءته و فرغ منها." . ينظر: الكشاف: ج3 / ص 526.

المبحثالثّالث

أسبـــاب أخرى للاختلاف

أوّلا: الاختلاف في نسبة الكلام و جهة صدوره.
ثانيا: الاختلاف في وصل الكلام الذي وقع فيه المنتقل إليه بما قبله.
ثالثا: الاختلاف في حمل الكلام في المنتقل إليه على الظّاهر أو على تقدير القول.
رابعا: الاختلاف في القول بعطف المنتقل إليه على المنتقل عنه.
خامسا: الاختلاف في حمل اللّفظ في المنتقل إليه على العموم أو على الخصوص.
سادسا: الاختلاف في حمل الفعل في المنتقل إليه على المضيّ أو على الاستقبال.

هناك أسباب أخرى للاختلاف في القول بالالتفات في بعض المواضع من القرآن الكريم، غير الاختلاف في فهم و ضبط الأسلوب أو عدم الاتّفاق على شرط من شروط الالتفات،أو الاختلاف في عود الضمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه، منها:
أوّلا: الاختلاف في نسبة الكلام و جهة صدوره: ما يترتّب عليه تحقّق شرط اتحاد المتكلّم أو عدمه، فإن كان المتكلّم واحدا كان الالتفات و إلا فلا. و من أمثلة ذلك:
1- قوله – تعالى-:(وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤) **(1)**

اختلف في قوله – تعالى-:(فَتَابَ عَلَيْكُمْ) هل هو تابع لقول موسى– عليه السّلام – أو هو من كلام الله؟ وعلى القول الثّاني يكون فيه التفات إلى الغيبة من التّكلّم في (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (2).

يقول الزّمخشري و هو يجيب عن التّساؤل عن الفاء الأخيرة – أي التي في (فَتَابَ)- من الفاءات الثّلاثة في الآية:" و الثّالثة متعلقة بمحذوف، و لا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلّق بشرط محذوف،كأنه قال:(فلئن فعلتم فقد تاب عليكم) و إما أن يكون خطابا من الله – تعالى– لهم على طريقة الالتفات، فيكون التقدير:(ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم." (3).

وقال أبو السعود في بيان الدلالة من هذا الالتفات: "(فَتَابَ عَلَيْكُمْ) عطف على محذوف على أنه خطاب منه– سبحانه– على نهج الالتفات من التّكلّم الذي يقتضيه سباق النّظم و سياقه فإن مبنى الجميع على التّكلّم إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير(بَارِئِكُمْ) المستتبع للإيذان بعلية عنوان البارئية والخلق و الإحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل، تقديره:(فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم) و إنّما لم يقل:(فتاب عليهم) على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم." (4).

2- قوله – تعالى-: (وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾) (1)

---

(1) سورة البقرة / الآية 54.
(2) سورة البقرة / الآية 53.
(3) الكشاف: ج1 / ص 281. و يراجع هذا المعنى في: تفسير البيضاوي: ج1 / ص324، و فتح القدير: ج1 / ص 86.
(4) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 102، و قد أورد القول الثّاني أيضا.

في قوله – تعالى-:(مِنْ رِزْقِ اللَّهِ) التفات إلى الغيبة بإيراد الاسم الجليل من التّكلّم في(فَقُلْنَا)و ذلك تعظيما للمنّة التي امتنّ الله بها على قوم موسى – عليه السّلام– و تشريفا لهذا الرّزق الذي رزقهم الله إياه.

يقول الألوسي:"وفي ذكر الرّزق مضافا تعظيم للمنّة وإشارة إلى حصول ذلك لهم من غير تعب ولا تكلّف، وفي هذا التفات إذ تقدّم (فَقُلْنَا اضْرب) و لو جرى على نظم واحد لقال: من رزقنا." (2)

وأضاف أبو السعود نكتة أخرى هي الإشارة إلى أن من توجّه إليهم بالخطاب في (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ) هو موسى– عليه السّلام – ولذلك ناسب إضافة الرّزق إلى الرزّاق وهو الله، لا إلى ضمير المتكلّم فيكون هو موسى– عليه السّلام- دفعا للّبس والتوهّم؛ يقول: "وإضافته إليه مع استناد الكل إليه خلقا وملكا إما للتّشريف وإما لظهوره بغير سبب عادي، وإنّما لم يقل (مِن رزْقِنَا)كما يقتضيه قوله – تعالى -(فَقُلْنَا) للإيذان بأن الأكل والشّرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى- عليه السّلام– "(3).

وقيل باحتمال كون الكلام من موسى- عليه السّلام– ،أي: فقال لهم موسى: كلوا و اشربوا من رزق الله. فلا يكون في الكلام حينها التفات.(4)

3- قوله– تعالى-:(رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ)(5)

هو من قول الرّاسخين في العلم الذين هداهم بإيمانهم وعلّمهم التوجّه إلى الله بالدّعاء، في قوله-سبحانه-: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاس)(6).

وفي الالتفات إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في قوله:(إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَاد) بعد الخطاب في (رَبَّنَا إِنَّكَ) وكان مقتضى الظاهر: (إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعَادَ) دلالة على تعظيم الموعود، و زيادة في الإجلال النّاشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل و الإشعار بعليّة الحكم من أن الألوهية منافية للإخلاف.(7)

وقيل باحتمال كون قوله تعالى-:(إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَاد) من كلام الله– تعالى- لا من كلام الرّاسخين، و أن كلامهم قد تمّ عند:(لا رَيْبَ فِيهِ)، فلا التفات حينئذ.(8)

---

(1) سورة البقرة / الآية 60.
(2) روح المعاني: ج1 / ص 271.
(3) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 106.
(4) ينظر: التفسير الكبير: ج3 / ص 97-98، و تفسير البحر المحيط: ج1 / ص 392 .
(5) سورة آل عمران / الآية 09.
(6)سورة آل عمران / الآيات 07-09
(7) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 09، روح المعاني: ج3 / ص 91، و جواهر البلاغة:ص 240.
(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 331، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 66، و روح المعاني: ج3 / ص 91. و في الفرق بين =

4- قوله – تعالى-:(قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧) (1)

قيل الضمير في (قَالَ) لله -تعالى – وما بعده حكاه الملك جبريل– عليه السّلام– عنه – سبحانه– إما بلا تغيير فيه فيكون في الكلام التفات إلى الغيبة، ومقتضى الظاهر التّكلّم أي:(أخلقُ ما أشاءُ إذا قضيتُ أمرا فإنّما أقولُ له كن فيكون)، و إما بتغيير فلا التفات، أي أن الله تكلم على ما يقتضيه الظاهر ولما حكاه الملك غيّره على ما تقتضيه الحكاية. و هذا القول مبنيّ على أن الله لم يكلّم غير الأنبياء بل غير خاصّتهم – عليهم السّلام- .

وقيل بل قال الله لها ذلك مباشرة بلا واسطة ملك. و على هذا التقدير يكون في الكلام التفات أيضا من التّكلّم إلى الغيبة في (اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ).

وقيل القائل جبريل – عليه السّلام – و ليس على سبيل الحكاية و القرينة عليه ذكر الملائكة قبله (2).(3)

وبناء على القول الأخير قال البعض:إن المراد بنداء مريم – عليها السّلام– "ربّ" جبريل– عليه السّلام– أي: سيّدي. (4)

5- قوله – تعالى-:(وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤) **(5)**

اختلف في تحديد الأمّة القائلة.فرأى البعض أنها طائفة من الصّلحاء الواعظين النّاصحين للعادين في السبت تقول لأخرى منها، ولا التفات على هذا القول، ويكون الضمير في(يَتَّقُونَ) عائدا على العادين لا ــــــــ

= إظهار الاسم الجليل في هذا الموضع في أول السورة و الإتيان بضمير الخطاب في آخر السورة في قوله – تعالى-: (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) سورة آل عمران/ الآية 194،قيل:إن الاتصال في المقام الأوّل لفظي فقط حيث لم يتقدّم ذكر الوعد أو الميعاد، أما في المقام الثّاني فإن الاتصال لفظيّ و معنويّ لتقدّم لفظ الوعد، فناسب في الأوّل الإظهار و في الثّاني الإضمار. ينظر: روح المعاني: ج3 / ص 91.

كما قيل: إن المقام الأوّل يقتضي ذلك لأن الألوهية تقتضي إنصاف الظالم من المظلوم و الخيّر من الشرّير، فناسب إظهار الاسم. أما المقام الثّاني فهو مقام طلب من العبد ربه لينعم عليه من فضله و يتجاوز عن سيئاته فلم يكن فيه ما يقتضي العدول عن الأصل. وقولهم:(إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ)ليس لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم ألاّ يكونوا من جملة الموعودين بتغيّر الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها إلى الدّعاء بالتّثبيت أو المبالغة في التعبّد و الخشوع. ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 09، 132 و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 331.

(1) سورة آل عمران / الآية 47.

(2) أي في قوله – تعالى-:(إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) الآية 45.

(3) تراجع الأقوال في: روح المعاني: ج3 / ص 164، و تفسير البيضاوي: ج2 / ص 41.

(4) ينظر: تفسير البغوي: ج1 / 302.

(5) سورة الأعراف / الآية 164.

على الطائفة المقول لها.(1)

ومنهم من رأى أن الأمّة هي من العادين في السبت، قالت ذلك تهكّما بالنّاصحين، و وجّه الكلام على أنه التفات إلى الغيبة بعد الخطاب في (رَبِّكُمْ).(2)

6- قوله – تعالى-:(وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١) **(3)**

وموضع الالتفات المختلف فيه هو في(رُسُلَنَا) إلى التّكلّم بعد الغيبة في لفظ الجلالة في قوله(قُلِ اللَّهُ). والسبب هو الاختلاف في دخول قوله– تعالى-:(إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ)في الكلام الملقّن للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم – و المأمور بقوله، و هو: (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً).

فمن رأى عدم دخوله قال أنها تعليل لأسرعيّة مكره – تعالى – وهي من كلامه، جرت على أسلوب التّكلّم في (أَذَقْنَا) و(آيَاتِنَا) و لا التفات.

وأما من جوّز دخوله في ما أمر الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– بقوله، فقد رأى أن في(رُسُلَنَا) التفاتا، وكان مقتضى الظاهر:(إِنَّ رُسُلَهُ)، و لا يخفى ما فيه من الإنكار و الوعيد.(4)

7- قوله – تعالى-:(وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧) (5)

في الآية التفات إلىالتّكلّم بنون العظمة في قوله –سبحانه-(نَحْشُرُهُمْ) من الغيبة في(مِنْ دُونِهِ)، وذلك للإيذان بكمال الاعتناء بالحشر، ترهيبا منه و تهويلا لأمره.(6)

---

(1) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج 09 / ص 151.
(2) و قال الألوسي عن هذا القول و توجيهه بأنه خلاف الظاهر، بعد أن أورد الأوّل. ينظر: روح المعاني: ج9 / ص 92.
(3) سورة يونس / الآية 21.
(4) ينظر: روح المعاني: ج11 / ص 94 – 95. و أورد الألوسي في الموضع نفسه، أن قراءة الحسن ومجاهد، وهي رواية عن نافع ويعقوب، على الغيبة: (يَمْكُرُونَ) ، و فيها جري على ما سبق في (مَسَّتْهُمْ) و (لَهُمْ) فيكون مناسبا للقول بعدم دخول الجملة السّابقة في حيزالكلام الملقّن للرسول –صلّى الله عليه وسلّم -.
(5) سورة الإسراء / الآية 97.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5/ ص 196، روح المعاني: ج15 / ص 175. و عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: « قيل: يارسول الله، كيف يحشر النّاس على وجوههم ؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم». أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج3 / ص 173 ، رقم :12731، و البخاري في صحيحه: ج4 / ص 1487، رقم: 4482، و مسلم في صحيحه: ج4 / ص 2161، رقم: 2806.

و أورد أبو حيان احتمال أن يكون قوله- تعالى-:(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ) مندرجا تحت (قُلْ) في قوله:(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) (1)، فلا يكون في الكلام التفات حينها ويكون قوله (وَنَحْشُرُهُمْ) إخبارا منه -تعالى-. (2)

8-قوله-تعالى-:(وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١) (3)

ذكر الألوسي الاختلاف في قوله – سبحانه-:(رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) أهو من كلام الله فيكون اعتراضا فيه التفات إلى الغيبة بعدالتّكلّم على أحد المذهبين، فائدته هي بالإضافة إلى تشريف الفتية بإضافة ضميرهم إلى لفظ "الرّب" مناسبة وصف الرّبوبية للبعث المتنازع فيه أم من كلام الخائضين في أمرهم فلا التفات؟(4)

9- قوله – تعالى-:(قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي

وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾) (5)

والخلاف هنا شبيه بالخلاف في المثال السّابق، و موضعه قوله – عز و جل -فَأَخْرَجْنَا) أفيها التفات إلى التّكلّم بعد الغيبة في(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) أم لا؟

وقد جمع الألوسي الأقوال في الآتي:

أ- يحتمل أن يكون قوله – تعالى-:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) ابتداء كلام من الله – عز وجل– وكلام موسى- عليه السّلام– قد تمّ عند قوله- تعالى– (وَلا يَنْسَى) فيكون الموصول خبر مبتدإ محذوف _____

(1) سورة الإسراء / الآية 96.

(2) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص79، و قد اختار القول بالالتفات.

(3) سورة الكهف / الآية 21.

(4) ينظر:روح المعاني: ج15 / ص 235، و المقصود بأحد المذهبين مذهب قدامة بن جعفر ومن وافقه و الذين يرون في الاعتراض التفاتا ورأى صاحب التحرير و التنوير كونه اعتراضا على تقدير نسبة الكلام لله – تعالى- . ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج15 / ص 289. وليراجع القولان في: التفسير الكبير: ج21 / ص 105-106، و تفسير أبي السعود: ج5 /ص 215 و فتح القدير: ج3 / ص 277 ، لكن من غير قول بالالتفات أو ذكر للاعتراض. والظاهر أن لا التفات حتى قول من يرى الاعتراض التفاتا، ذلك أن الأسلوب مستقرّ على الغيبة المنتقل إليها في قوله-تعالى-:(لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بإظهار الاسم الجليل،من التكلّم في (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ)، فيكون الالتفات في(لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) لا في(رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ)، مالم يعترض عليه بالقول بوقوعه في جملة واحدة.

(5) سورة طه / الآيات 49- 53.

والجملة على ما قيل مستأنفة استئنافا بيانيا، كأنه – سبحانه – لما حكى كلام موسى – عليه السّلام – إلى قوله (لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) سئل: ما أراد موسى بقوله (رَبِّي) ؟ فقال – سبحانه-:(هو الَّذِ ي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً).

ب- ويحتمل أن يكون قد سمعه من الله – عز وجل– فأدرجه بعينه في كلامه،ولذا قال:"لكم" دون "لنا"، فيكون الموصول إما مرفوع المحل على أنه صفة ل "ربي" أو خبر مبتدإ محذوف، و إما منصوب على المدح، وقال عنه إنه اختيار الزّمخشري. و أنه على هذين الاحتمالين يكون في قوله – تعالى-فَأَخْرَجْنَا) التفات بلا اشتباه.

ج- ويحتمل أن يكون موسى– عليه السّلام- قال ذلك من عنده غير سامع له من الله – تعالى– و قال:

(فَأَخْرَجَ بِهِ) بإسناد "أخرج" إلى ضمير الغيبة،إلا أن الله –تعالى- لما حكاه أسند إلى ضمير المتكلّم لأن الحاكي هو المحكي عنه، فمرجع الضميرين واحد.ونقل فيه قولا عن ابن المنير بكونه أقرب الوجوه إلى الالتفات.

د- أن قوله فَأَخْرَجْنَا) من باب قول خواص الملك:(أمرنا و عمّرنا و فعلنا)، وإنّما يريدون الملك.

هـ- أن قوله(فَأَخْرَجْنَا) مسند إلى ضمير الجماعة بإرادة:(أخرجنا نحن معاشر العباد بذلك الماء بالحراثة أزواجا من نبات شتى) على ما قيل. و أنه ليس في(فَأَخْرَجْنَا) على هذا و ما قبله التفات.

و- و يحتمل أن يكون ذلك كلام موسى– عليه السّلام – إلى قوله(مَاءً) و ما بعده من كلام الله – عزّ وجلّ – أوصله – سبحانه – بكلام موسى– عليه السّلام– حين الحكاية لنبيِّنا – صلّى الله عليه وسلّم- .

و رأى أن الاحتمال الأوّل هو الأولى، بل عدَّه كالمتعيّن، ثم الاحتمال الثّاني، ثم الاحتمال الثّالث، و أن ليس سائر الاحتمالات بشيء، لعدم خفاء وجه ذلك.(1)

ونفى السيّد الشّريف الجرجاني تحقّق الالتفات على الاحتمال الأوّل الذي ذكره الألوسي،أي على القول بتمام كلام موسى – عليه السّلام – عند قوله - تعالى- (لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) واعتبار قوله:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً) و ما بعده من كلام الله، واعتبر الأسلوب انتقالا من حكاية إلى إنشاء خطاب، وبناء عليه وجَّه القارئ إلى الوقوف وقيفة عند قوله(وَلا يَنْسَى) ليستقرّ بانتهاء الحكاية.(2)

والاحتمال الأوّل هو اختيار الزّمخشري و لم يصرّح بالقول بالالتفات فيه وإن كان مفهوما من كلامه، إذ ذكر أن في الانتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلّم المطاع افتنانا في الكلام و إيذانا بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره و تذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته لا يمتنع شيء عن إرادته، و جاء بأمثلة دالّة على قدرته- سبحانه- و اختصاصه بها، فيها التفاتات بالانتقال من الغيبة إلى التّكلّم، منها قوله – تعالى-: ـــــــ

(1) ينظر: روح المعاني: ج16 / ص 205-206.
(2) ينظر: حاشية الجرجاني على الكشاف: ج2 / ص 540.

(وَهُوَ الَّذِيأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) (1). (2)

وأما الاحتمال الثّالث فإنه قد يتساءل فيه عن جدوى الخروج عن مقتضى الظاهر والحكاية عن الله،إذ مادام المتكلّم هو موسى– عليه السّلام –، فالظاهر أن يقال:(فأخرج به)، وهو الأولى بجزالة النظم،كما أن كون الحاكي في(أَخْرَجْنَا)هو المحكي عنه لا يعني أن المتكلّم واحد.(3)

وكذلك على الاحتمال السادس لا التفات كما في الثّالث. وأما الرابع و الخامس فالقول بعدم الالتفات فيهما مقطوع به، لتغاير الضميرين بين المنتقل عنه و المنتقل إليه.

10- قوله – تعالى-:(وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾) (4)

يخبر الله – تعالى– في الآية الأولى عن أهل النّفاق الذين كانوا يحلفون للرّسول–صلّى الله عليه وسلّم – لئن أمرهم بالخروج للغزو ليخرجن، ثم يأمره بعد ذلك بتوجيه الخطاب إليهم بالقول:(قُلْ لا تُقْسِمُوا).

وقد اختلف في تقدير القول و موضع تمام قول الرّسول – عليه السّلام – في مخاطبة المنافقين على قولين:

الأوّل: يتم كلام الرّسول– صلّى الله عليه وسلّم– عند (لا تُقْسِمُوا)، و ما بعده أي قوله(طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) خطاب من الله لهم،أي:طاعتكم طاعة معروفة، وإنّما هي قول لا فعل معه،وأنّكم كلما حلفتم كذبتم، وأن الله يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم وأنه فاضحكم لا محالة و مجازيكم على نفاقكم..هذا على تقدير:(

طاعتُكم طاعةٌ معروفةٌ) فيكون في الكلام التفات إلى الخطاب بعد الغيبة في (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) ، الحكمة منه على ما ذكر الزّمخشري هي المبالغة في تبكيتهم.(5)

(1) سورة الأنعام / الآية 99.
(2) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 540.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 21، و فيه أن فائدة الالتفات على الاحتمال الثّاني، أي كون قوله-تعالى-:(وهوالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) سورة الأنعام / الآيتان 97-99 حكاية من موسى– عليه السّلام – عن الله - وهو اختيار أبي السعود-، الدلالة على كمال القدرة والحكمة. و قد مرّ في الفصل الأوّل أمثلة كثيرة شبيهة بهذه اتفق على الالتفات فيها. يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الأوّل: ص 48-53.
(4) سورة النور / الآيتان 53- 54.
(5) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 73. و ينظر هذا التقدير في: تفسير ابن كثير: ج5 / ص 70 و تفسير النسفي: ج3 / ص 154.

وأما على تقدير:(طاعتُهم طاعةٌمعروفةٌ) يكون الالتفات إلى الخطاب في(إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بعد الغيبة في(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ).(1)

الثّاني: يتمُّ كلام الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم – عند(إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)، وعليه فلا التفات.

وأما في الآية الثّانية فالأمر من الله – تعالى– لنبيّه – عليه السّلام – بأن يقول لهم(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) أي: أطيعوا طاعة ظاهرة و باطنة بخلوص اعتقاد و صحّة نيّة، وهذا التّكرير منه – سبحانه–لتأكيد وجوب الطّاعة عليهم، لأن قوله – تعالى-(طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) في حكم الأمر بالطاعة.

وقيل إنهما مختلفان، فالأوّل فيه الأمر بطريق الرّدّ و التّوبيخ، و الثّاني أمر بطريق التكليف لهم و الإيجاب عليهم.(2)

11- قوله – تعالى-:(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾) (3)

يخاطب الله – تعالى-نبيّه - عليه السّلام – بقوله:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) أي كفار قومه، والكلام عطف على خطابهم في قوله:(أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ) (4)، و ما بينهما اعتراض مفاده التّسلية على ما ذكر الألوسي. (5)

ويبدو أن احتمالا أو تقديرا في الكلام أثاره الزّمخشري قد يشكل ويلبس على القول بالالتفات إلى التّكلّم بنون العظمة في(فَأَنْشَرْنَا) بعد الغيبة و يعرِّضه للرّد، حيث قال: " فإن قلت: قوله(لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) و ما سرد من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم فما تصنع بقوله(فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ تُخْرَجُونَ) ؟ و إن كان من كلام الله فما وجهه ؟ "(6).وأجاب بالقول بأن تلك الأوصاف من ـــــــ

(1) ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 47. و الالتفات نفسه يكون أيضا إن قدِّر تمام كلام الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم – عند(طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ).ولييراجع تقدير الكلام على هذا القول و تخريجات كلمة " طاعة " النّحوية على قراءتي الرفع و النّصب في: الكشاف: ج3 / ص 73، و تفسير البغوي: ج3 / ص 353، و تفسير البيضاوي: ج4 / ص 197، و فتح القدير: ج4 / ص 46 –47.

(2) ينظر: فتح القدير: ج4 /ص 47، و روح المعاني: ج18 / ص 200. و يبقى الالتفات المتفق عليه في الآية هو في قوله – سبحانه-:﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ و مقتضى الظاهر:﴿ أَطِيعُونِي﴾ من التّكلّم إلى الغيبة، للدّلالة على الحثّ على الطّاعة و الإخلاص فيها لرسوله – عليه السّلام – لكونه رسولا لا لذاته أو لشخصه. يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الأوّل: ص 46-47.
(3) سورة الزخرف / الآيات 09-11.
(4) سورة الزخرف / الآية 05.
(5) ينظر: روح المعاني: ج25 / ص 66.
(6) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 478-479.

قول الله لا من قولهم، أي: (خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت و كيت..)و أن كلامهم قد تمّ عند ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾(1). و ردّ القول الآخر، و أنه لو كان ما ذكر من الصّفات متّصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا: (الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ مَهْداً..).(2)

واختار قوم الوقوف على﴿خَلَقَهُنَّ﴾ كجواب، وتقدير محذوف هو (الله) بناء على ما في الآية الأخرى﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (3)، و ما بعده من الله.(4)

ونقل الألوسي قولا مفاده أن لا فرق بين القولين، و أن القول الأوّل هو في الحاصل حكاية كلام عنهم متّصل به كلامه تعالى على أنه من تتمّته، و إن لم يكونوا قد تفوّهوا به، و مثل له بقول من يخاطبك بقوله: أكرمني زيد، فتقول: الذي أكرمك و حيّاك، أو لجماعة آخرين حاضرين: الذي أكرمكم و حيّاكم. وأنك تصل كلامك بكلامه على أنه من تتمّته و لكن لا تجعله من مقوله.و قد اختار القول الأوّل وقال بالالتفات في ﴿أَنشَرْنَا﴾ إلى التّكلّم بنون العظمة بعد الغيبة في ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ (5)

وعن نكتة الالتفات في هذا الموضع يقول أبو السعود: " و الالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء و الإشعار بعظم خطره " (6)

وخلاصة القول أن الخلاف تقديري افتراضي مبنيّ على تساؤل الزّمخشري ذلك، مادام لم يثبت القول بأن قوله تعالى- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً﴾ و ما بعده من جملة مقولهم، فيبقى الالتفات في ﴿أَنشَرْنَا﴾ متّفقا عليه.

12- قوله – تعالى-:﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (7)

يتحقّق الالتفات إلى التّكلّم في قوله – سبحانه –﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ من الغيبة في ﴿رَبِّكِ﴾ إذا كان – سبحانه– هو المتكلّم المخاطب للنفس المطمئنة بقوله﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي

(1) ينظر:المصدر نفسه: ج3 / ص 479. و قد اختار هذا القول أيضا: الطبري في تفسيره: ج25 / ص 52، و البغوي في تفسيره: ج4 / ص 134، و ابن كثير في تفسيره: ج6 / ص 129.
(2) ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 548.
(3) سورة الزخرف / الآية 87.
(4) ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 /ص 140.
(5) ينظر: روح المعاني: ج25 / ص 66 . و ذهب سيد قطب إلى القول الأوّل، و أن قوله ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ و ما بعده من الله، و علّل ذلك باستحالة علم الكفار بهذه الصفات التي تنفي فكرة الشرك، والتي جاء الإسلام فعرّفهم بها،أما علمه بكون الله هو الخالق فمؤكّد بنص القرآن. ينظر: في ظلال القرآن: ج5 /ص 3177.
(6) تفسير أبي السعود: ج8 / ص 40.
(7) سورة الفجر / الآيات 27-30.

إِلَى رَبِّكِ).أما إذا كان المخاطب لها هو الملَك عند تمام حساب النّاس أو عند البعث أو عند الموت – على الخلاف في ذلك – فلا التفات، لعدم اتحادالمتكلِّم في المنتقل إليه و المنتقل عنه. (1)

ثانيا: الاختلاف في وصل الكلام الذي وقع فيه المنتقل إليه بما قبله:
والمقصود هل يوصل الكلام الذي وقع فيه المنتقل إليه بالكلام الذي فيه المنتقل عنه فيكون التفاتا، أو يحمل على الاستئناف من غير التفات؟

1- قوله – تعالى-:(مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾) (2)

قيل إن الكلام مستأنف مسوق لبيان أن مدار تعذيب المنافقين وجودا و عدما هو كفرهم لا شيء آخر، فيكون مقرِّرا لما قبله من إثباتهم على توبتهم، وذلك في قوله– تعالى-:(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً) (3)و الاستفهام مفيد للنّفي على أبلغ وجه، بمعنى: أيّ نفع يستجلبه الله – تعالى – و أيّ ضرر يستدفعه بتعذيبكم ؟ إنّما هو شكركم نعمه و إيمانكم تجازون به..
و على هذا القول فلا التفات. (4)
وقيل إن في الخطاب في الآية التفاتا عن الغيبة في(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) فائدته التّعريض، أي أن ذلك العذاب كان منهم بسبب تقاعدهم وكفرانهم تلك النِّعمة الرّفيعة و تفويتهم على أنفسهم تلك الفرصة السّنية، و إلا فإن الله غنيّ عن عذابهم فضلا عن أن يوقعهم في تلك الورطات. (5)

2- قوله-تعالى-:(ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾) (6)

الخطاب في الآية الكريمة للأمة الجاثية التي قال عنها– سبحانه-:(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج9 / ص 158-159، و روح المعاني: ج30 / ص 130-131، و تفسير الطبري: ج30 / ص 191،
و تفسير البغوي: ج4 / ص 486– 487.
(2) سورة النساء / الآية 147.
(3) سورة النساء / الآيتان 145-146.
(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 247، تفسير البيضاوي: ج2 / ص 272.
(5) ينظر: روح المعاني: ج5 / ص 180، وقد اختار الألوسي هذا الرأي و ضعّف قول من قال:إن الخطاب للمؤمنين. و اختار أبو حيان كون الخطاب للكافرين و قال أن السّياق يقتضيه، بعد أن أورد القول بكونه للمؤمنين.ينظر: تفسير البحر المحيط:ج3 / ص397. بينما جوّزالأستاذ الطاهر ابن عاشور كونه لمجموع الأمّة، أو للمنافقين على الالتفات، ارتفاقا بهم. ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج 05 / ص 245.
(6) سورة الجاثية / 35.

كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون) (1)، وفيها تعليل و بيان لسبب مكثهم في النار وعدم إخراجهم منها و إرجاعهم ليطيعوا ويعملوا صالحا و عدم قبوله – سبحانه– استرضاءهم إيّاه، و هو كفرهم واستهزاؤهم بآيات الله و اغترارهم بالحياة الدّنيا.(2)

وفي الالتفات إلى الغيبة في (يُخْرَجُونَ) تحقير لهم وإسقاط لهم عن رتبة الخطاب، ونقلهم من مقامها إلى غيابة النار. (3)

وجُوِّز أن يكون قوله– تعالى-:(فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ابتداء كلام لا التفات فيه.(4)

3- قوله – تعالى-:(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧) **(5)**

الآية الكريمة متّصلة بما قبلها وهي قوله– سبحانه-(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (6) ، و قد نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم– على صدقات بني المصطلق، وكان الحارث بن أبي ضرار سيّد بني المصطلق، والد جويرية أم المؤمنين، قد جمع زكاة قومه و بقي منتظرا رسول رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– في الوقت الذي اتّفقا عليه؛ولكن الوليد خاف وعاد من الطّريق قبل وصوله إلى بني المصطلق، و قال لرسول الله –صلّى الله عليه وسلّم -: إن الحارث منعني الزّكاة و أراد قتلي. فجهز النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – بعثا و أرسله إلى بني المصطلق.وكان الحارث لما استبطأ رسول رسول الله خرج في جمع من قومه و معه زكاة القوم إلى المدينة، فالتقى أصحاب رسول الله الذين أرسلهم إليهم، فأخبروه الخبر، فجاؤوا جميعهم إلى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – و أخبره الحارث بالذي كان، فنزلت الآيات(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا..) (7). (8)

---

(1) سورة الجاثية / الآية 28.

(2) ينظر: تفسير الطبري: ج25 / ص 158.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 /ص 76، و فتح القدير: ج5 / ص11، و تفسير التحرير و التنوير: ج25 / ص 376.

(4) ينظر: روح المعاني: ج26 / ص 02. و قراءة الجمهور في " يُخْرَجُونَ " بالبناء للمفعول، و قرأ الحسن و ابن وثاب و حمزة و الكسائي بالبناء للفاعل. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج7 / ص52.

(5) سورة الحجرات / الآية 07.

(6) سورة الحجرات / الآية 06.

(7) سورة الحجرات / الآيات 06-08.

(8) ينظر: تفسير ابن كثير: ج6 / ص 220 و القصة من رواية الإمام أحمد عن عيسى بن دينار عن أبيه عن لحرث بن أبي ضرار. ينظر:مسند الإمام أحمد: حديث الحارث بن أبي ضرار: ج 4 / ص 279.

وبعد أن خاطب الله المؤمنين بوجوب التثبّت من الأنباء و الأخبار وجّههم إلى أن وجود رسوله –صلّى الله عليه وسلّم– بينهم يلزمهم إطاعته واتّباعه، وأنه لو أطاعهم في كثير من الأمور التي يرونها ويستصوبونها لهلكوا، و كان بعضهم قد زيّن له– عليه السّلام– الإيقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد، بينما تصوّن البعض الآخر و وزعهم جدّهم في

التّقوى من الجسارة على ذلك و هم الذين استثناهم الله بقوله: وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) أي إلى بعضكم..و عند بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى.(1)

واختلف في قوله-تعالى-:(أُولَـٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) فمن جعله إخبارا متصلا بما قبله رأى فيه التفاتا إلى الغيبة بعد الخطاب في(وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) الغرض منه مدحهم و تشريفهم بذلك الإيمان وترغيبهم فيه.(2)

وعلى القول بأن الكلام خطاب لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – على الاستئناف بالإخبار عنهم، لا يكون فيه التفات. يقول الزّمخشري:"والخطاب لرسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– أي أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ما قلته."(3).

وإلى عدم وضوح القول بالاستئناف بالخطاب مع جوازه ذهب الألوسي، في محاولة للجمع بين الرّأيين، والقول بأن فيه نوع التفات.(4)

ثالثا: الاختلاف في حمل الكلام في المنتقل إليه على الظّاهر أو على تقدير القول: ومثاله:

1- قوله – تعالى-:(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾) **(5)**

في قوله – عز وجل-:(أَكَفَرْتُمْ) خطاب للمسودّة وجوههم رآه البعض التفاتا من الغيبة.(6) بينما يراه آخرون على إرادة القول، أي على تقدير: فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟ لكن اختلفوا بعد ذلك في تحديد المخاطبين، من هم؟ أهم المرتدّون؟ أم أهل الكتاب؟ كفروا بالله ورسوله بعد إيمانهم به قبل بعثته. أم جميع الكفار؟ كفروا بعدما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكّنوا من الإيمان بالنظر في الدّلائل ــــــ

(1) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 561، و روح المعاني: ج26 / ص 148.
(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 318، و الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 686، تفسير البحر المحيط: ج8 / ص110، و المدهش: ج1 / ص 15.
(3) الكشاف: ج3 / ص 561. و اختار الرّازي أيضا كون الخطاب للرسول – عليه السّلام – . ينظر: التفسير الكبير: ج28 / ص 125.
(4) ينظر: روح المعاني: ج26 / ص 148. و ذهب الأستاذ الطاهر بن عاشور إلى أن الجملة معترضة للمدح. ينظر: تفسير التحريروالتنوير: ج26 / ص 237.
(5) سورة آل عمران / الآية 106.
(6) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / 323، و المدهش: ج1 / ص 15، و يسمّي ابن الجوزي الالتفات خطاب تلوين.

والآيات. أم المنافقون؟كفروا باطنا بعد إيمانهم ظاهرا .(1)

2- قوله – تعالى-:(بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾) **(2)**

اختلف في الأمر في قوله – سبحانه- (فَسِيحُوا) فقيل هو على تقدير القول، أي:(قل لهم: سيحوا في الأرض...) يعني: فليذهبوا حيث شاؤوا وليستعدّوا للحرب بعد انتهاء المهلة.(3) وقيل بل هو محمول على الالتفات إلى الخطاب، من الغيبة في(إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).(4)

ورأى البعض أنه تلوين خطاب فقط. يقول أبو السعود:"وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب أيضا للمبالغة في الإعلام بالإمهال حسما لمادّةتعلّ لهم بالغفلة و قطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد ؛ و إيثار صيغة الأمر مع تسني إفادة ذلك المعنى بطريق الإخبار أيضا كأن يقال مثلا: فلكم أن تسيحوا. و نحو ذلك، لإظهار كمال القوّة و الغلبة و عدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكأن ذلك أمر مطلوب... " (5)

3- قوله- تعالى-:(يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥) **(6)**

اختلف في قوله – سبحانه-:(هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لانْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)، فقيل هو على إرادة القول، أي:(يقال لهم يوم القيامة: هذا ما كنزتم...)، بمعنى: كنزتموه لتنتفعوا به فهذا نفعه، على طريقة التهكّم و التّوبيخ، فذوقوا وباله.(7)

وقيل هو على الالتفات إلى الخطاب بعد الغيبة فيفَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ).(8)

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي: ج2 / 77، و تفسير النسفي: ج1 / ص 177، و روح المعاني: ج4 / ص 25. و ذهب الطبري و الزّمخشري إلى أن المراد أهل الكتاب . ينظر: تفسير الطبري: ج4 / ص 39، و الكشاف: ج1 / ص 453.
(2) سورة التوبة/ الآيتان 01-02.
(3) ينظر: تفسير البغوي: ج2 / ص 266.
(4) ينظر: روح المعاني: ج10 / ص 43. و جوّز البعض القولين. ينظر: التفسير الكبير: ج15 / ص 219، و تفسير التحرير و التنوير: ج10 / ص 105، و أضاف الأستاذ الطاهر بن عاشور أن نكتة الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة. و جمع أبو حيان بين القولين، فقال: "(فَسِيحُوا) أمر إباحة في ضمنه تهديد، و هو التفات من غيبة إلى خطاب، أي: قل لهم فسيحوا.". ينظر: تفسير البحر المحيط:ج5 / ص08 . و الجمع بين القولين مما لا يخفى عدم استقامته لعدم اتحاد المعبر عنه في الطريقين، عند من يشترط ذلك.
(5) تفسير أبي السعود: ج4 / ص 40–41.
(6) سورة التوبة/ الآية 35.
(7) ينظر: الكشاف: ج2 /ص188، و تفسير القرطبي: ج8 /ص131، و تفسير أبي السعود: ج4 /ص63، و فتح القدير: ج2 /ص357.
(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 323.

4- قوله – تعالى-:(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠) **(1)**

أخبر – عزّ وجلّ – أن من النّاس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهية بغير علم منه بما يخاصم به وبغير بيان أو برهان لما يقول أو استدلال بكتاب من الله على صحّته، واصفا إياه بثني العطف كناية عن تكبّره و تبختره، و إذا دعي إلى الحقّولّى معرضا مستكبرا، ثم يخبر – تعالى – مقرِّرا أن له في الدنيا الخزي و هو الذّل و الهوان و القتل كما حدث يوم بدر، و عذاب الحريق يوم القيامة بما جنت و كسبت يداه، وليس الله بظالم له في حكمه.(2)

وقد اختلف في قوله- تعالى-:(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) أهو على تقدير القول، أي:(يقال له: ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) يعني يوم القيامة، أم أنه من كلام الله فيكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، نكتته تشديد التّهديد و تأكيد الوعيد؟.(3)

5- قوله – تعالى-:(وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾) (4)

قيل بالالتفات في قوله – عز و جل-: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) إلى الخطاب، من الغيبة في(وَقَالُوا) وكان مقتضى الظاهر:(لَقَدْ جَاؤُوا)، نكتته توبيخهم و الإنباء عن كمال السّخط و شدّة الغضب عليهم المفصح عن غاية التّشنيع و التّقبيح و تسجيل جراءتهم على الله. و "الإدّ " الأمر الفظيع العجيب.(5)

---

(1) سورة الحج / الآيات 08-10.

(2) ينظر: تفسير الطبري: ج17 / ص 121-122.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 /ص 116، و روح المعاني: ج17 / ص123.و قد قيل أنها نزلت في أبي جهل و قيل في النضر بن الحارث، و قيل في الأخنس بن شريق. يراجع: روح المعاني: ج17 / ص 122، و الكشاف: ج3 / ص 6. و في الآية التفات آخر إلى التّكلّم بنون العظمة في قوله – سبحانه-(وَنُذِيقُهُ) من الغيبة في (يُجَادِلُ فِي اللَّهِ) و (في سَبِيلِ اللَّهِ).

(4) سورة مريم / الآيتان 88-89.

(5) ينظر: المثل السّائر: ج2 / ص 174، و فتح القدير: ج3 /ص 351، و الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110، و البرهان في علوم القرآن: ج3 /ص 322-323، 330، و تفسير التحرير و التنوير: ج16 / ص 170. و قد قال الزّركشي بالتفات آخر في الآية من الغيبة إلى التّكلّم و لم يبيِّنه. ينظر: البرهان: ج3 / ص 319. و الظاهر أنه يريد الانتقال من الغيبة في (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ) إلى التّكلّم بخطابهم في (لَقَدْ جِئْتُمْ).وهو مما لا يستقيم و المفهوم الاصطلاحيّ للالتفات، ذلك أنه إما أن يراد بالمعنى المعبّر عنه في المنتقل عنه والمنتقل إليه"القائلون "، ففيه عدول من غيبة في(قَالُوا) إلى خطاب في (جِئْتُمْ)، و هو الذي يشارك غيره في القول بالالتفات فيه، و إما أن يراد به "الله " عزّ و جل، فلا يتحقق الالتفات،إذ وعلى رأي الجمهور باشتراط سبق التّعبير في المنتقل عنه، فإن الله لم يعبّر عن نفسه غيبة، كأن يقول:(و قال الله: قالوا اتخذ الرحمان ولدا) فيحصل الالتفات إلى التّكلّم في(لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً)، وعليه فلا التفات.بل وحتى على القول الثّاني بعدم اشتراط سبق التّعبير و الاكتفاء بالأحقية في الكلام، كما هو رأي السّكاكي، فإن الالتفات لا يتحقّق أيضا، ذلك أن الكلام كما هو لله – تعالى– في التّعبير الثّاني بمخاطبتهم، هو له أيضا في التّعبير الأوّل بالإخبار عنهم، فالذي قال(وَقَالُوا) مخبرا عنهم، هو نفسه -سبحانه – من خاطبهم بالقول(لَقَدْ =

وقيل لا التفات في الكلام بل هو محمول على تقدير القول، أي: (قل لهم: لقد جئتم شيئا إدّا). (1)

6- قوله – تعالى-:(وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾) (2)

قوله – سبحانه-:(هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، قيل هو على الالتفات من الغيبة في (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) للتّشديد عليهم. و قيل هو على إضمار القول، أي:(فيقال لهم هل تجزون إلا ما كنتم تعملون). و لا التفات على هذا القول لعدم اتحاد الكلام.(3)

7-قوله– تعالى-:(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ)(4)

قيل في معنى(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) أي:(ويلٌ لك)،وأصله: (أولاكَ اللهُ مَا تَكْرَهُه) واللاّم مزيدة. أو(أَوْلَى لَكَ الهَلاَكَ). و قيل هو:(أفعل) من (الوَيْل) بعد القلب،كـ(أَدْنَى) من (دُون). أو (فَعْلَى) من: (آلَ-يَؤُولُ) بمعنى: (عُقْبَاكَ النّار)،ثُمَّ(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) أي يتكرّر عليه ذلك مرّة بعد مرّة.(5)

قال الزّمخشري: (يَتَمَطَّى): يتبختر. وأصله: (يتمطّط) أي: (يتمدّد)، لأن المتبختر يمدّ خطاه. وقيل: من (المَطَا) و هو الظهر، لأنه يلويه كناية عن الإعراض و التّولي." (6)

وذهب البعض إلى القول بالالتفات إلى الخطاب في (أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) بعد الغيبة في (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى).(7)

=جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) و على هذا الوجه أيضا لا التفات. فلم يبق إلا أن يوجه قول الزّركشي بالالتفات من الغيبة إلى التّكلّم في هذا الموضع، باعتماد الاكتفاء بسبق الذكر على أي وجه كان دون مراعاة اتحاد المعنى المعبر عنه بين المنتقل عنه والمنتقل إليه، و هو ما لا يعرف عنه، فحينها يمكن أن يجعل في (لَقَدْ جِئْتُمْ) التفات إلى التّكلّم، إذ المتكلّم هو الله – تعالى – ، من الغيبة في (الرَّحْمَنُ) ، و لكن ليس من الالتفات المعروف و المصطلح عليه في شيء.

و لعلّه كان الأولى بالإمام الزّركشي أن يقلب نوع الالتفات فيجعله من التّكلّم إلى الغيبة في قوله –سبحانه-: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) بالعدول إلى الغيبة في لفظ (الرَّحْمَنُ) بدل ضمير المتكلّم، و أن الظاهر أن يقال:(و قالوا اتخذتُ ولدا) أو (و قالوا اتخذنا ولدا) بنون العظمة، فقد يستقيم هذا على رأي السّكاكي.

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 282، و تفسير النسفي: ج3 / ص 48، و روح المعاني: ج16 / ص 139. و جوز القولين أبو حيان. ينظر: تفسير البحر المحيط تفسير: ج6 / ص205.

(2) سورة النمل / الآية 90.

(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 305، و روح المعاني: ج20 / ص 38، و الكشاف: ج3 / ص 163.

(4) سورة القيامة / الآيات 33-35.

(5) ينظر: نفسير أبي السعود: ج9 / ص 69.

(6) الكشاف: ج4 / ص 193.

(7) ينظر: تفسير الجلالين: ج1 / ص 780، تفسير التحرير و التنوير: ج29 / ص 363، و ربما بني ذلك على القول بأن الضمير في (فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) عائد على الإنسان في قوله – سبحانه – (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)كما ذهب إلى ذلك الزّمخشري في الكشاف: ج3 / ص 193.

وقيل بل الكلام على تقدير القول، بمعنى:(ثم ذهب إلى أهله يتمطى مقولا له أولى لك فأولى)، و عليه فلا التفات. و يؤيده ما أخرجه النسائي و الحاكم و صحّحه عن سعيد بن جبير، قال: سألت ابن عباس عن قوله – تعالى-(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) أشيء قاله رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – من نفسه أم أمره الله – تعالى – به ؟ قال: بل قاله من قبل نفسه، ثم أنزله الله – تعالى-.(1)

وقال ابن كثير في تفسير قوله- تعالى-(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) :" و هذا تهديد و وعيد أكيد من الله – تعالى – للكافر به المتبختر في مشيته، أي يحقّ لك أن تمشي هكذا و قد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكّم و التّهديد، كقوله - تعالى – (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)(2) و كقوله – تعالى-:(فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) (3)."(4).

8- قوله – تعالى-:(عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾) (5)

قيل بالالتفات في قوله– تعالى– (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً)إلى خطاب الأبرار الذين عدّد الله ما أعدّ لهم من النّعيم،بعد الغيبة في(وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً)فائدته الزّيادة في استبشارهم وإدخال السّرور عليهم.(6)

وقيل لا التفات، بل هو على تقدير القول، أي:(يقال لهم يوم القيامة: إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً)، و قد روي ذلك عن ابن عباس – رضي الله عنهما -. (7)

9- قوله – تعالى-:(وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىۡءٍ أَحۡصَيۡنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾) (8)

قيل بالالتفات في قوله – سبحانه-فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً) إلى الخطاب من الغيبة في (وَكَذَّبُوا بِآياتِنَا كِذَّاباً) للمبالغة و تقدير إحضارهم وقت الأمر ليخاطبوا بالتقريع و التّوبيخ و هو أعظم في الإهانة ــــــ

(1) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 149. وقال القرطبي:" قال قتادة: أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر، فأخذ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – بيده(أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى). فقال: ما تستطيع أنت و لا ربك لي شيئا، و إني لأعزّ من بين جبليها. فلما كان يوم بدر أشرف على المسلمين فقال: لا يعبد الله بعد هذا اليوم أبدا. فضرب الله عنقه و قتله شرّ قتلة." .ينظر: تفسير القرطبي: ج19 / ص 115.

(2) سورة الدخان / الآية 49.

(3) سورة الزمر / الآية 15.

(4) تفسير ابن كثير: ج7 / ص 97، و أورد رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس– رضي الله عنهما – و أنها نزلت في أبي جهل.

(5) سورة الإنسان / الآيتان 21-22.

(6) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110، و البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 323، و المدهش: ج1 / ص 15.

(7) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 164، و تفسير أبي السعود: ج7 / ص 75. و جوّز القولين الفخر الرّازي عند تفسيره لقوله – تعالى(فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) سورة التوبة/ الآية 02. ينظر: التفسير الكبير: ج15 / ص 219.

(8) سورة النبإ / الآيات 28-30.

والتحقير.(1)

وقيل بل هو على تقدير القول، أي:(فيقال لهمفَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً)، و لا التفات فيه.(2)

رابعا: الاختلاف في القول بعطف المنتقل إليه على المنتقل عنه: و من أمثلته:

1- قوله – تعالى-:(أَوۡ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَ ۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾) (3)

اختلف في قوله – سبحانه-وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاس)، بم يتعلّق؟ فقيل هو متعلّق بمقدّر، أي: (وفعلنا ذلك لنجعلَك)، و قدّره البعض متأخرا أي:(و لنجعلَك آية على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا). (4)

وقيل إنه متعلّق بما قبله و الواو زائدة، فيكون معطوفا على (لِتَبْتَ) أو على مقدّر بطريق الاستئناف، أي:(فعلنا ذلك لتعاينَ ما استبعدتَ) أو (لتهتديَ و لنجعلَك). وقيل بل هو

معطوف على (قَالَ) في (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ)، و على هذا القول يكون فيه التفات من الغيبة إلى التّكلّم بنون العظمة، و لا التفات على التقديرات الأخرى.(5)

2- قوله – تعالى-:(قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَأَنۡ

---

(1) ينظر: الكشاف: ج4/ ص 210، و تفسير الطبري: ج30 / ص 17، و تفسير أبي السعود: ج9 / ص 92، و تفسير البيضاوي: ج5 / ص 242.

(2) ينظر: تفسير البغوي: ج4 /ص 439، و تفسير الجلالين: ج1 /ص 788.ورأى الألوسي هذا القول في غاية البعد.ينظر: روح المعاني: ج30 /ص17. و روى قتادة عن عبد الله بن عمرو أن هذه الآية هي أشد آية على أهل النار. ينظر: تفسير الطبري: ج30 / ص17.

(3) سورة البقرة / الآية 259.

(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 254.

(5) ينظر: روح المعاني: ج3 / ص 23.

أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢) (1)

جعل السّيوطي في قوله – سبحانه-(وَأَنْ أَقِيمُوا الصّلاة وَاتَّقُوهُ) التفاتا إلى الخطاب بعد التّكلّم في قوله – سبحانه-(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، وذكر أن وجه الالتفات من التّكلّم إلى الخطاب عموما حثّ السامع و بعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلّم عليه و أعطاه فضل عناية تختصّ بالمواجهة.(2)

ولعلّ الأظهر عدم الالتفات و أن جملة(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصّلاة وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) معطوفة على(إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى) فهي داخلة في حيز القول، و قوله(وَأَنْ أَقِيمُوا) معطوف على (وَأُمِرْنَا) أي:(وَأُمِرْنَا أن نُسْلِمَ وَأَنْ أَقِيمُوا) و يجوز التقدير:(وَأُمِرْنَا لِأَن نُسْلِمَ وَلِأَنْ أَقِيمُوا) (3) كما قيل بجواز عطف(أَنْ أَقِيمُوا) على (يَدْعُونَهُ) بمعنى(يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ويَدْعُونَهُ أَنْ أَقِيمُوا..) أو على (ائْتِنَا).(4)

وعلى هذه التقديرات لا التفات لدخولها في حيّز القول، و ليس فيها تحويل للكلام إلى مخاطبين، إنّما هو حكاية قول، كمن قال: قيل لنا كذا و كذا و كذا.فهو كلام واحد من متكلّم يخبر عما أُمِر به.

وأورد الرّازي عن الزجّاج تقديرا آخر هو:(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ، فقيل لنا: أَسْلِمُوا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَقِيمُوا الصّلاة)، و عليه فجملة(أَنْ أَقِيمُوا الصّلاة) معطوفة أيضا على (لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ). وعن التساؤل عن الحكمة من العدول عن ذلك التقدير الظاهر إلى ذلك اللّفظ الذي لا يهتدي العقل إلى معناه إلا بالتأويل، أجاب بالقول: "و ذلك لأن الكافر مادام يبقى على كفره كان كالغائب الأجنبي فلا جرم يخاطب بخطاب الغائبين فيقال له(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) وإذا أسلم و آمن ودخل في الإيمان صار كالقريب الحاضر فلا جرم يخاطب بخطاب الحاضرين (وَأَنْ أَقِيمُوا الصّلاة وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) ، فالمقصود من ذكر هذين النّوعين من الخطاب التنبيه على الفرق بين حالتي الكفر و الإيمان، و تقريره أن الكافر بعيد غائب و المؤمن قريب حاضر. و الله أعلم." (5).

3- قوله- تعالى-: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ

---

(1) سورة الأنعام / الآيتان 71-72.
(2) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 109.
(3) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 29.
(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 150، وفتح القدير: ج2 / ص 130، و روح المعاني: ج7 /ص 190.
(5) التفسير الكبير: ج14 / ص 31، وقد ذكر أن الآية نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر الصّديق الذي كان يدعوه أبوه إلى الهدى والإيمان فلا يستجب له، بينما كان يدعوه أصحابه من أهل الكفر إلى كفرهم.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾) (1)

قيل بالالتفات في قوله – سبحانه-:(وَأَقِيمُوا الصّلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ) إلى خطاب الذين آمنوا بعد الغيبة في (يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) فائدته الحثّ على زيادة الاعتناء بالأمر، و جملة (وَأَقِيمُوا الصّلاة) معطوفة على جملة (يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) فهي تخصيص بعد عموم،وكان مقتضى الظاهر القول: (يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ يُقِيمُونَ الصّلاة وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ).(2)

وذهب الزّمخشري إلى أن جملة (وَأَقِيمُوا الصّلاة) معطوفة على جملة (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) في قوله- تعالى-:(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنّما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ)(3)، فهي داخلة في حيّز القول، و لا يضرّ الفاصل بين المعطوف و المعطوف عليه و إن طال، و تكرير الأمر بإطاعة الرّسول للتّأكيد عليها.(4)

وردّ أبو السعود قول الزّمخشري و اعتبره ممّا لا يليق بجزالة النّظم الكريم و اختار أن يكون العطف على مفهوم مقدّر من مجموع ما تقدّم من قوله – تعالى-:(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) حيث أنه يوجب الأمر بالإيمان و العمل الصالح، فكأنه قيل:(فَآمِنُوا وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقِيمُوا الصّلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ).(5)

كما ردّه الألوسي أيضا و استبعده، و أورد ما تُعقّب به القول الأوّل بالالتفات من عدم مناسبة عطف الإنشاء على الإخبار ؛ و اختار القول بالعطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام و يستدعيه النّظم، إذ بعد ذكره – سبحانه -(وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) فُهم النّهي عن الكفر، فكأنه قيل:(فَلاَ تَكْفُرُوا وَأَقِيمُوا الصّلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ)(6). و واضح أن لا التفات على الأقوال الثّلاثة الأخيرة.

4- قوله – تعالى-:(وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾) (7)

قيل بالالتفات في قوله – تعالى-:(إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ) إلى الغيبة، من الخطاب في قوله –

(1) سورة النور / الآيتان 55- 56.
(2) ينظر:روح المعاني: ج18 / ص 207. و قد قال بالالتفات أبو حيان و ذهب إلى أن الخطاب في (مِنْكُمْ) يحسّنه. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص432.
(3) سورة النور / الآية 54.
(4) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 74.
(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 192.
(6) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص 207- 208.
(7) سورة المرسلات / الآيات 45-48.

سبحانه-:(كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ) على القول بوصلها بها، وجعل (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بينهما تقريرا و تأكيدا، وكأنه قيل: هم أحقّاء بأن يقال لهم كلوا و تمتّعوا، ثم علّل ذلك بكونهم مجرمين وبكونهم إذا قيل لهم صلّوا لا يصلّون.

وجوِّز أن يكون وصل الآية (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ) بما قبلها، أي بقوله – سبحانه-:(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) و يكون المعنى وكأنه قيل:(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍلِلَّذِينَ كَذَّبُوا وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ) و على هذا التّقدير لا التفات.(1)

خامسا: الاختلاف في حمل اللّفظ في المنتقل إليه على العموم أو على الخصوص: ومثاله:

1- قوله– تعالى-:(فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ **) (2)**

اختلف في قوله – سبحانه-:(فَمِنَ النّاس)، أهو تفصيل للذّاكرين، أم هو على إطلاقه و عمومه؟ فعلى القول بالإطلاق و العموم، و به قال الطّ بري (3)، لا التفات. و أما على القول بأنه تفصيل للذّكرين فإن فيه التفاتا من الخطاب إلى الغيبة حطاً لطالب الدّنيا المُقلّ من الذّكر عن ساحة الحضور وإسقاطا له عن رتبة الخطاب، و حثّا و ترغيبا للمكثر في الزّيادة.(4)

2- قوله – تعالى-:(إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ

(1) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 178، وقد ذكر الألوسي أن القول الثّاني منقول عن الزّمخشري.و لكن الزّمخشري لم يورده في تفسيره لهذه الآية. ينظر: الكشاف: ج4 / ص 205. و جوّز القولين الطاهر بن عاشور. ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج29 / ص 446.و ذكر أبو حيان الأندلسي أن من رأى بأن قوله – تعالى-:(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ) آية مكّية، قال: هو في قريش، و من قال: أنها مدنية قال هو في المنافقين، و نقل القول عن مقاتل بنزولها في ثقيف لما طلبوا من الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم –أن يحطّ عنهم الصّلاة لأنهم لا ينحنون و أن ذلك مسبّة، فأبى و قال: «لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ صَلاَةَ فِيهِ» . ينظر: تفسير البحر المحيط: ج8 / ص399. و الحديث مرويٌّ عن عثمان ابن أبي العاص –رضي الله عنه- بلفظ: « لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ» أخرجه أبو داود في سننه: ج3 / ص 163، رقم: 3025،
و الإمام أحمد في مسنده: ج4 / ص 218، حديث عثمان بن أبي العاص. و قد ضعّفه الشيخ الألباني. ينظر: الدفاع عن الحديث النبوي والسيرة: ناصر الدين الألباني، (د/د.م.ط.ت): ص 36، رقم: 24.
(2) سورة البقرة / الآية 200.
(3) ينظر: تفسير الطبري: ج2 / ص 298. وبه قال الزّمخشري أيضا. ينظر: الكشاف: ج1 / ص 350.

(4) ينظر: تفسير البيضاوي: ج1 / ص 488، و تفسير البحر المحيط: ج2 / ص 112، و قال الألوسي بعد أن أورد القولين: " و لا يخفى أن الأوّل هو المناسب لإبقاء (النّاس) على عمومه، والمطابق لما سيأتي من قوله:(وَمِنَ النّاس مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) و قوله: (وَمِنَ النّاس مَنْ يَشْري نَفْسَهُ)،وأورد أن سبب النزول ما روي عن ابن عباس– رضي الله عنهما – من أن طائفة من الأعراب كانوا يجيئون إلى الموقف فيطلبون الدنيا، وطائفة من المؤمنين كانوا يجيئون فيطلبون الدنيا والآخرة، و أن ذلك لا يقتضي التّخصيص. ينظر: روح المعاني: ج2 / ص 90.

وذهب الأستاذ الطاهر بن عاشور إلى أن في قوله (فَمِنَ النّاس) تعريض بحالة المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة بدليل قوله– تعالى-:(وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاق) وقد كانوا يحجّون قبل منعهم من قربان المسجد الحرام في سورة براءة. ينظر:تفسير التحرير والتنوير:ج2/ص244.

بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾) (1)

قيل بالالتفات إلى الغيبة بعد الخطاب في قوله – سبحانه-:(وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل الْمُؤْمِنُون) على أن المراد بالمؤمنين المخاطبون خاصّة. و قيل بل المراد الجنس، و المخاطبون داخلون فيه دخولا أوليا، فلا التفات. وعلى التقديرين فإن في التّعبير عنهم بلفظ الإيمان زيادة تشريف لهم. (2)

سادسا: الاختلاف في حمل الفعل المنتقل إليه على المضيّ أو على الحضور والاستقبال: و من أمثلة ذلك:

1- قوله – تعالى-:(إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾) (3)

اختلف في الفعل(تَوَلَّوْا)، أهو على الماضي أم على المضارع؟ فقيل هو محمول على المضارع الذي حذفت إحدى تاءيه، و ذلك لاقتضاء(أَبْلَغْتُكُمْ) له، يعني: فإن تَتَوَلَّوا فقد أدّيت ما عليّ من الإبلاغ وإلزام الحجة، فلا تفريط منّي و لا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم.(4)

وقيل بجواز حمله على الماضي وفيه التفات إلى الغيبة من الخطاب فيما قبله، وقد نسب الألوسي ذلك إلى ابن عطيّة (5)، لكنه قال:" و لا يظهر حسنه. و لذا قدّر غيره ممن جعله كذلك (فَقُلْ أَبْلَغْتُكُمْ)و يؤيد ذلك قراءة الأعرج وعيسى الثّقفي (تُولُوا) بضم التّاء واللاّم، مضارع "والى" ، و المراد: و إن تستمروا على ما كنتم عليه من التوليّ والإعراض..والظاهر أن الضمير لقوم هود، وهو من تمام الجمل المقولة قبل.(6) وقال التبريزي: إن الضمير لكفار قريش و هو من تلوين الخطاب، وقد انتقل من الكلام الأوّل إلى الإخبار عمّن بحضرة الرسول –صلّى الله عليه وسلّم – و كأنه قيل: (أخبرهم عن قصة هود و ادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم ما أصاب قوم هود– عليه السّلام-، فإن تولوا فقد أبلغتكم..إلخ)، و هو من البعد بمكان _____

(1) سورة آل عمران / الآية 160.

(2) ينظر: تفسير أبي السعود:ج2/ص106، و روح المعاني:ج4/ص 108.وبالأوّل قال أبو حيان. ينظر: تفسير البحر المحيط:ج3/ ص106.

(3) سورة هود / الآيتان 56– 57.

(4) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 24 ، تفسير أبي السعود: ج4 / ص 219، و تفسير القرطبي: ج9 / ص 53.

(5) هو أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عطيّة الغرناطي، القاضي و الإمام، قدوة المفسِّرين، كان فقيها عارفا بالأحكام و الحديث والتفسير ولغة العرب، ولي قضاء "مرية" بالأندلس.ولد سنة 480هـ و توفي سنة 541هـ.ينظر:طبقات المفسرين للسيوطي: ج1/ص 60-61.

(6) وهي قوله – تعالى-:(قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ *مِنْدُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُون * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) سورة هود / الآيات 54-57.

كما لا يخفى." (1)

وممّن رأى حمله على الماضي الطبري في تفسيره و قال: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه(فَإِنْ تَوَلَّوْا) يقول: فإن أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله و ترك عبادة الأوثان فقد أبلغتكم أيها القوم ما أرسلت به إليكم و ما على الرّسول إلا البلاغ." (2)

وجوّز الطاهر بن عاشور حمله على الماضي على أنّ كون الواو فيه لأهل مكّة، فيكون كالاعتراض في إجراء القصّة لقصد العبرة، فهو بمنزلة الاعتراض الواقع في قصّة نوح – عليه السّلام – في قوله – تعالى-:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) (3).(4)

2- قوله – تعالى-:(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾) (5)

اختلف في الفعل(تَوَلَّوا) أيضا كما في المثال السّابق، أهو ماض أم مضارع؟ فعلى القول بأنه ماض يكون فيه التفات من الخطاب في قوله – سبحانه-:(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) إلى الغيبة، أي: فإن داموا على التولي و الإعراض و عدم قبول ما ألقي إليهم من البينات فإنّما عليك البلاغ المبين.

وفي صرف الخطاب إلى النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– بالإخبار عنهم بعد مشافهتهم بالخطاب تسلية له -صلّى الله عليه وسلّم-.

وأما على القول بأنه مضارع،فظاهر عدم الالتفات فيه لجريه على الخطاب الذي عليه أسلوب الكلام.(6)

3- قوله – تعالى-:(وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟

---

(1) روح المعاني: ج12 / ص 84. و قد ذكر هذه الأقوال أبو حيان أيضا. ينظر: تفسير البحر المحيط: ج5 / ص234.
(2) تفسير الطبري: ج12 / ص 61.
(3) سورة هود / الآية 35.
(4) ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج12 / ص 102.
(5) سورة النحل / الآيتان 81-82.

(6) ينظر القولان في: روح المعاني: ج14/ ص 206، و تفسير أبي السعود: ج5 / ص 133. و غالب المفسرين على القول الأوّل. يراجع: الكشاف: ج2 / ص 423، و تفسير الطبري: ج14 / ص 157، و تفسير ابن كثير: ج4 / ص 42-43، و تفسير البيضاوي: ج3 / ص 414، و تفسير النسفي: ج3 /ص 80، و فتح القدير: ج3 / ص 185.

فَإِنَّمَاعَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾) (1)

سبق الحديث عن الالتفات في هذا النّص في ثلاثة مواضع (2) لكن محلّ الشاهد هنا هو الفعل "تَوَلَّوا" وأثر الاختلاف في حمله على الماضي أو على المضارع الذي حذفت إحدى تاءيه.

فإن حمل على أنه مضارع كان خطابا من الله للمنافقين الذين أمر نبيّه – عليه السّلام – بأن يقول لهم(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، غير داخل في حيّز قوله - عليه السّلام- تأكيدا للأمر السّابق ومبالغة في وجوب امتثاله، وحملا لهم عليه بالتّرغيب و التّرهيب ؛ و يؤيّد هذا القول قوله – سبحانه-: (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) و قوله: (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)، و لا التفات فيه.

وأما إن حمل على الغيبة والماضي، أي " تَوَلَّوا " بمعنى أعرضوا، فتكون الجملة الشرطية مما أمر الرسول –صلّى الله عليهوسلّم –بقوله لهم داخلة في حيّز القول، وعليه يكون في الكلام التفات من الخطاب في(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) إلى الغيبة.(3)

(1) سورة النور / الآيتان 53-54.
(2) يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الثّاني: ص 46-47، و الفصل الأوّل: المبحث الثّالث: ص 85، و الفصل الثّاني: المبحث الثّالث: ص 139-140.
(3) ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 47، روح المعاني: ج18 / ص 200-201، و فيهما ترجيح حمله على المضارع.

الفصل الثّالث

الفصل الثّالث

التفات بحســب القراءة

و وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: التفات على قراءتي النّون والتّاء.

المبحث الثّاني: التفات على قراءات الياء وأخرى.

المبحث الأوّل

التفـات على قراءتي النّون والتّاء

أوّلا: التفــات على قراءة النّون.

ثانيا: التفــات على قراءة التّاء.

أوّلا: التفات على قراءة النّون

و من الأمثلة في القرآن الكريم التي فيها قراءة بالنّون يتحقّق وفقها الالتفات:

1- قوله – تعالى-: (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾)(1)

قرئ بالنّون (نُبَيِّنُهَا) على الالتفات، دلالة على كمال الاعتناء بتلك الحدود وحثّا على التزامها. (2)

2- قوله – تعالى-:(إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٧١﴾) (3)

قرئ (نكَفِّرْ) بالنّون مجزوما، على العطف على الفاء مع ما بعدها على أنه جواب الشرط، و بها قرأ حمزة (4) والكسائي (5) وعامّة قراء أهل الكوفة والمدينة و البصرة. بمعنى أن الله يجازي مخفي الصّدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها. (6)

كما قرئ بالنّون مرفوعا(نُكفِّرُ)، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عيّاش(7)،على أنه جملة مبتدإ، أو اسمية معطوفة على ما بعد الفاء، أيونحن نكفّر.وقيل لا حاجة إلى تقدير المبتدإ والفعل نفسه معطوف على ما بعد الفاء لأنه وحده مرفوع لأن الفاء الرابطة مانعة من جزمه لئلا يتعدّد الرابط. (8)

وعلى قراءة النّون جزماً ورفعاً يكون في الكلام التفات من الغيبة في قوله– سبحانه-:(وَمَاأَنفَقْتُم مِنْ

---

(1) سورة البقرة / الآية 230.

(2) ينظر: روح المعاني: ج2 / ص 142.
(3) سورة البقرة / الآية 271.
(4) هو أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، أحد القراء السّبعة،كان إمام النّاس في القراءة بعد عاصم و الأعمش، وكان حجّة ثقة عارفا بالعربيّة حافظا للحديث زاهدا ورعا. اشتهرت قراءته بروايتي خلف و خلاد. توفي سنة 156هـ. ينظر: القراءات القرآنيّة: ص 58.
(5) هو علي بن حمزة، أبو الحسن الكسائي، الأسدي ولاء، الكوفي النّحوي، من السبعة، قرأ على حمزة ومحمد بن أبي ليلى و إسماعيل ويعقوب ابني جعفر عن نافع، أخذ اللّغة عن الخليل بن أحمد، مؤسس المدرسة النّحوية بالكوفة. توفي سنة 189هـ. اشتهرت قراءته بروايتي أبي الحارث الليث بن خلد و أبي عمرو حفص الدّوري. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 83، و القراءات القرآنيّة: ص 58 .
(6) ينظر: تفسير الطبري: ج3 / ص 93 ، و الكشاف: ج1 / ص397، و روح المعاني: ج3 / ص 45.
(7) هو عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، المكي ثم المدني، القارئ، أبو الحارث.ولد بالحبشة، قرأ القرآن على أبيّ بن كعب و سمع من عمر و ابن عباس–رضي الله عنهم – و أبيه عياش و غيرهم. حدّث عنه ابنه الحارث و نافع مولى ابن عمر، و كان أقرأ اهل المدينة في زمانه استشهد بسجستان سنة 78هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف- شعيب الأرنؤوط- صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ : ج1 / ص 57-58.
(8) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 397، و روح المعاني: ج3 / ص 44-45.

فَقَتَهٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (1) إلى التّكلّم، تفخيما لشأن التكفير من السيّئات و حثّا على الاعتناء بإخفاء الصّدقات و إتيانها الفقراء.

وقرئ أيضا بالتّاء جزما (تُكفِّرْ) و رفعا (تُكفِّرُ) على أن الفعل للصّقات فهي التي تكفّر من السّيئات، على التّوجيه السّابق لكل من الجزم و الرفع. (2)

وقرأ الحسن(3) بالياء والنّصب (يُكفِّرَ) بإضمار(أن) أي:إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفّر عنكم.(4)

3- قوله – تعالى – (وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾) (5)

قرأ أهل المدينة و عاصم و يعقوب (يُعلِّمُهُ) بالياء لقوله– تعالى– :(كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (6). وقيل بل لردّه على قوله – تعالى-:(إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ)(7). وقرأ الآخرون بالنّون على التعظيم، كقوله– تعالى-:(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ) (8). (9)

وعلى قراءة النّون يكون في الكلام التفات إلى التّكلّم من الغيبة في قوله– سبحانه- :(كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) (10).

4- قوله– تعالى-:(تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾)(11)

قوله-تعالى-:(نتلوها):أي نقرؤها عليك شيئا فشيئا.وإسناد التّلاوة إليه-تعالى– مجاز،إذ التّالي هو جبريل – عليه السّلام– بأمر منه – سبحانه-. و في العدول عن الحقيقة مع الالتفات إلى التّكلّم بنون العظمة بعد الغيبة في(آيَاتُ اللهِ) ما لا يخفى من العناية بالتلاوة و المتلو عليه..(12) وأما على قراءة "الياء" فلا التفات.

5- قوله – تعالى-:(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ

---

(1) سورة البقرة / الآية 270 .
(2) ينظر: الكشاف: ج1 / ص397، و روح المعاني: ج3 / ص45. و روى الطبري ذلك عن ابن عباس– رضي الله عنهما – من غيرتحديد: بالجزم أم بالرفع أم بهما ؟.ينظر: تفسير الطبري: ج3 / ص 93

(3) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري،أمّه خيرة مولاة أم سلمة، ولد لسنتين بقيتا في خلافة عمر، نشأ بوادي القرى،كان إماما فصيحا، رأى عليّا و طلحة و عائشة. و له مناقب جليلة و أخبار كثيرة. توفي سنة 110هـ. ينظر: تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد
ابن علي ابن حجر العسقلاني، مؤسسة التاريخ العربي،(د /م.ط.ت): ج1/ ص507-512.
(4) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 397.
(5) سورة آل عمران / الآية 48.
(6)،(10) سورة آل عمران / الآية 47.
(7) سورة آل عمران / الآية 45.
(8) سورة آل عمران / الآية 44.
(9) ينظر: تفسير البغوي: ج1 / ص 302.
(11) سورة آل عمران / الآية 108.
(12) ينظر: روح المعاني: ج4 / ص 26.

ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥) (1)

في الآية التفات من الغيبة في(بِإِذْنِ اللَّهِ) إلى التّكلّم في(نُؤْتِهِ)على قراءة النّون(2)،دلالة على اختصاصه – سبحانه– بأمر الإيتاء و تفخيما لأمر الإجزاء.
قال الألوسي:"(وَمَنْ يُرِدْ) أي بعمله كالجهاد (ثَوَابَ الدُّنْيَا)كالغنيمة، (نُؤْتِهِ)بنون العظمة على طريق الالتفات (مِنْهَا) أي شيئا من ثوابها إن شئنا، فهو على حدّ قوله– تعالى-:(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) (3)و هذا تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم أحد عن مصلحة رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم-." (4)
وقرئ بالياء في الموضعين:(نُؤْتِهِ) و(سَنَجْزِي).(5) و لا التفات حينها لجريه على أسلوب الغيبة.

6- قوله – تعالى-:(بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١) (6)

قرئ (سَنُلْقِي) بالنّون وبالياء (7) و على قراءة النّون يكون في الكلام التفات من الغيبة في قوله:(بَل اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) إلى التّكلّم بنون العظمة،جريا على سنن الكبرياء و تربية للمهابة في القلوب. وأما على قراءة "الياء" فلا التفات. (8)
كما قيل بالالتفات من التّكلّم في (سَنُلْقِي) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في(بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ)، لكنّه مما وقع في جملة واحدة على ما ذكر الزّركشي. (9)

7- قوله – تعالى-: (تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(1) سورة آل عمران / الآية 145.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 94.
(3) سورة الإسراء / الآية 18.

(4) روح المعاني: ج4 / ص 78.
(5) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 469، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 95.
(6) سورة آل عمران / الآيتان 150-151.
(7) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 470.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 98.
(9) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 332.

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾) (1)

قرأ نافع (2)و أهل المدينة وابن عامر(3) (نُدْخِلْهُ) بالنّون في الموضعين.(4) و يتحقّق على هذه القراءة الالتفات في الموضعين من الغيبة في(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) و(وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (5)، حثّا على زيادة الاعتناء بأمر الطاعة لله و لرسوله، و تربية للمهابة في القلوب و تهويلا لأمر معصية الله و رسوله.(6)

وقد يعترض على القول بالالتفات في الموضعين لوقوع كل منهما في جملة شرطية عطفت إحداهما على الأخرى، عند من يشترط في تحقّقه أن يكون في جملتين.

8- قوله – تعالى-:(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾) (7)

في الآية التفات من التّكلّم بنون العظمة في:(نُصْلِيهِ)، إلى الغيبة في:(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً).

يقول الألوسي:"وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي."(8)، فهي جملة اعتراضية ختمت بها الآية، تضمنت التفاتا قوّى معنى ذلك الاعتراض، وزاد الوعيد والتّهديد بإصلاء الفاعلين لما نهوا عنه عدوانا و ظلما النار تأكيدا وبيانا للقدرة على التنفيذ.

يقول الطّبري بعد أن بيّن الأقوال في عود ذلك التّهديد و الوعيد: أهو عائد على قاتل النّفس بغير حقّ، أم على آكل المال بالباطل و ناكح المحرّمات و عاضل النساء، ممّا ورد في السياق الذي فيه النّص ؟ أم على الجميع ؟ يقول:"(وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) يعني: وكان إصلاء فاعل ذلك النار وإحراقه بها على الله سهلاً يسيرا، لأنه لا يقدر على الامتناع على ربِّه مما أراد به من سوء. و إنّما يصعب الوفاء بالوعيد لمن توعّده على من كان إذا حاول الوفاء به قدر المتوعّد من الامتناع منه، فأما من كان في قبضة موعده فيسير عليه إمضاء حكمه فيه والوفاء له بوعيده، غير عسير عليه أمر أراده به."(9)

---

(1) سورة النساء / الآيتان 13-14.
(2) هو نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم المدني، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة على سبعين من التابعين.كان عالما بوجوه القراءات زاهدا جوادا، صلّى في المسجد النبوي ستين سنة. اشتهرت قراءته بروايتي ورش وقالون. توفي سنة 169هـ. ينظر: القراءات لقرآنيّة:ص 157.
(3) هو عبد الله بن عامر، اليحصبي، أبو عمران، أحد السبعة، ولد بالشام،وكان إمام أهلها في القراءة . أخذ القراءة عن عثمان بن عفان وأبي الدرادء و المغيرة بن أبي شهاب. توفي سنة 118هـ.اشتهرت قراءته بروايتي هشام و ابن ذكوان .ينظر:الاختلاف بين القراءات: أحمد البيلي، دار الجيل ببيروت و الدار السودانية للكتب بالخرطوم،الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م: ص 80.
(4) ينظر: تفسير البغوي: ج1 / ص 405 ، و تفسير البيضاوي: ج2 / ص159، و روح المعاني: ج4 / ص 233.
(5) ينظر: تفسير الجلالين: ج1/ ص 101.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 154.

(7) سورة النساء / الآية 30.
(8) روح المعاني: ج4 / ص 17.
(9) تفسير الطبري: ج5 / ص 36 .

وقراءة النّون في (نُصْلِيهِ) هي قراءة الجمهور.

قال أبو حيان:"قرأ الجمهور(نُصْلِيهِ) بضم النّون. وقرأ النخعي(1) والأعمش (2) بفتحها من (صَلاّه) ومنه:شاةٌ مَصْلِيَّةٌ.وقرئ أيضا(نُصَلِّيهِ) مشدّدا.وقرئ (يُصْلِيه) بالياء، والظاهر أن الفاعل هو ضمير يعود على الله، أي:فسوف يصليه هو،أي:الله- تعالى-.وأجاز الزّمخشري (3) أن يعود الضمير على(ذَلِكَ)،قال: لكونه سببا للمصلّى،وفيه بعد."(4). وظاهر أن لا التفات على قراءة الياء لجريان السّياق على الغيبة. (5)

9- قوله – تعالى-: (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴿٣١﴾) (6)

الالتفات هو في قوله- تعالى- (نُكَفِّرْ) إلى التّكلّم بنون العظمة، من الغيبة في قوله سبحانه-:(وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) (7) دلالة على تفخيم شأن ذلك الغفران. وقرئ (يُكَفِّر) بالياء و لا التفات. (8)

10- قوله - تعالى-:(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾) (9)

قرأ ابن هرمز(10):(نُضَاعِفْهَا)بنون العظمة التفاتا إلى التّكلّم عن الغيبة في (إِنَّ اللهَ). و قرئ (يُضعفْهَا) بالتّشديد و التّخفيف من (ضعَّف) و (أضْعَفَ). (11)

11- قوله – تعالى-:(لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ

---

(1) هو إبراهيم بن زيد بن قيس ،النخعي، أبو عمران، روى عن شريح القاضي و علقمة و مسروق. أدرك عائشة – رضي الله عنها – و روى عنها و لم يثبت سماعه منها. توفي سنة 96 هـ. ينظر: تهذيب التهذيب: ج1 / ص 113-114.
(2) هو سليمان بن مهران الأعمش،الأسدي ولاء،المقرئ.اشتهرت قراءته بروايتي الشنبوذي و الموطوّعي.كان حافظا متثبتا،عالما بالقرآن،ورعا ناسكا،مجانبا للسلاطين.مات سنة 147 وقيل سنة 148هـ.ينظر: تهذيب الكمال: ج7 / ص 219-225، و القراءات القرآنيّة: ص 208.
(3) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 522 ، و قد أورد تلك القراءات .
(4) تفسير البحر المحيط: ج3 / ص242.
(5) و يمكن القول بالالتفات أيضا، على قراءة النّون، إلى التّكلّم بنون العظمة، من الغيبة في (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً).
(6) سورة النساء / الآية 31.
(7) سورة النساء / الآية 30.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 171، و روح المعاني: ج5 / ص 17.
(9) سورة النساء / الآية 39.
(10) هو عبد الله بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، تابعي جليل،أخذ القراءة عن أبي هريرة و ابن عباس- رضي الله عنهم- ، روى عنه نافع.مات سنة 117هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 443.
(11) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 527، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 177.

بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾) (1)

قرئ(نُؤْتِيهِ) بنون العظمة على الالتفات إلى التّكلّم من الغيبة في(ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ).وأما على قراءة يُؤْتِيهِ) بالياء، و بها قرأ أبو عمرو وحمزة وقتيبة(2) عن الكسائي وسهل(3) وخلف، فلا التفات.(4)

12- قوله – تعالى-:(لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾) (5)

قرئ(فَسَنَحْشُرُهُمْ) بالنّون التفاتا إلى التّكلّم من الغيبة في قوله:(وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ).(6)

13- قوله – تعالى-:(قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾) (7)

يتحقّق الالتفات على قراءة (نُذِيقُ) بالنّون إلى التّكلّم، من الغيبة، مبالغة في التّحذير وتهويل الأمر.(8)

14- قوله – تعالى-:(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾) (9)

في قراءة النّون في(نَرْفَعُ) و(نَشَاءُ) التفات من التّكلّم إلى الغيبة في(إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) بوضع لفظ "الرّب" موضع الضمير، وفي إضافته إلى ضميره– عليه السّلام– إظهار لمزيد اللّطف والعناية به–صلّى الله عليه وسلّم - . و لا التفات على قراءة الياء في الموضعين. (10)

15- قوله – تعالى-:(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ

---

(1) سورة النساء / الآية 114 .
(2) هو قتيبة بن مهران الأزاذاني الأصبهاني،المقرئ،قرأ على الكسائي وحدّث عنه، و صحبه أربعين سنة. ينظر: معرفة القراءالكبار:ج1 / ص 214،وطبقات المحدثين بأصبهان:محمد بن أحمد الأبشيهي،تحقيق:د.مفيد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعةالثّانية،1986م:ج2/ص86.
(3) هو ابن أسلم العدوي البصري، أبو سعيد،من أتباع التابعين، روى عنه الترمذي،توفي سنة 181هـ.ينظر:تهذيب التهذيب:ج1/ص201.
(4) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 563، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 232، و روح المعاني: ج5 / ص 145.
(5) سورة النساء / الآية 172.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 162.
(7) سورة الأنعام / الآية 65.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 146، و روح المعاني: ج7 / ص 180.
(9) سورة الأنعام / الآية 83.
(10) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 157، روح المعاني: ج7 / ص 209.

أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾) (1)

قرئ(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بنون العظمة على الالتفات إلى التّكلّم من الغيبة في قوله – تعالى- :(لَهُمْ دَارُ السّلام عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (2)، للدّلالة على تهويل أمر الحشر يوم القيامة، و الضمير الذي في محلّ نصب في (يَحْشُرُهُمْ)لأنّ قلين من الإنس والجن. (3)

وبقراءة (الياء) قرأ حفص عن عاصم و روح (4)عن يعقوب. وقرأ الباقون بنون العظمة. (5)

16- قوله –تعالى-:(مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٨٦﴾) (6)

قوله-تعالى-:(وَيَذَرُهُمْ) بالياء والرّفع. و قرأ غير واحد بنون العظمة على طريقة الالتفات، أي:(وَ نَحْنُ نَذَرُهُمْ).وقرأ حمزة والكسائي بالياء والجزم (يَذَرْهُمْ) عطفا على محلّ الجملة الاسمية الواقعة جوابا للشرط،كأنه قيل:(و من يضلل الله لا يهده ويَذَرْهُمْ في طغيانهم يعمهون)، و قيل:يحتمل أن يكون تسكينا للتّخفيف.و روي أيضا بالنّون مع الجزم (نَذَرْهُمْ) عن نافع و أبي عمرو في الشّواذ، فيكون تخريجه على أحد القولين السّابقين. (7)

17- قوله– تعالى-:(هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾)(8)

على قراءة النّون في (نُفَصِّلُ) التفات من الغيبة إلى التّكلّم (9)، دلالته بيان العظمة والقدرة و الاختصاص.

18- قوله – تعالى-: (وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾) (10)

---

(1) سورة الأنعام / الآية 128.
(2) سورة الأنعام / الآية 127.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 184.
(4) هو روح بن عبد المؤمن، أبو الحسن المقرئ، صاحب يعقوب الحضرمي.كان متقنا مجوِّدا، روى عنه البخاري في صحيحه. و ذكره ابن حبان في الثقات. توفي سنة 233هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 214.
(5) ينظر: روح المعاني: ج8 / ص 25.
(6) سورة الأعراف / الآية 186.
(7) ينظر: روح المعاني: ج9 / ص 129، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 300، و الكشاف: ج2 / ص 134.
(8) سورة يونس / الآية 05.
(9) ينظر: روح المعاني: ج11 / ص 71.
(10) سورة يونس / الآية 11.

قرأ الجمهور(لَقُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد على البناء للمفعول،وقرأ ابن عامر ويعقوب على البناء للفاعل(لَقَضَى)، وقرأ عبد الله (لَقَضَيْنَا) بالنّون التفاتا إلى التّكلّم من الغيبة في(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ).(1)

19- قوله – تعالى-:(وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾) (2)

قراءة (الياء) في قوله – سبحانه -:(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) بها قرأ حفص و حمزة عن عاصم (3). و أما الباقون فقرؤوا بالنّون (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) على الالتفات من الغيبة في قوله – سبحانه-:(إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النّاس شَيْئاً وَلَكِنَّ النّاس أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (4) تهويلا لأمر الحشر. (5)

20- قوله– تعالى-: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾) (6)

قرأ الأعمش (لِيَصْرِفَ) بياء الغيبة وإسناد الصّرف إلى ضمير الرّب– سبحانه– وقرأ الباقون بالنّون.(7)

وعلى قراءة النّون يكون في الكلام التفات إلى التّكلّم من الغيبة في(رَبِّهِ). وأما على قراءة الياء فلا التفات فيها، بل في (عِبَادِنَا)إلى التّكلّم بنون العظمة.

21- قوله – تعالى-: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾) (8)

قرئ بنون العظمة في الأفعال الثّلاثة:(إِنْ نَشَأْ نُذْهِبْكُمْ وَنَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) فيكون في الكلام التفات إلى التّكلّم من الإخبار في قوله– تعالى-:(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ)ثم إلى الإخبار في(وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) (9).

---

(1) ينظر: روح المعاني: ج11 / ص 78، و تفسير القرطبي: ج8 / ص 316، و زاد المسير: ج4 / ص 11.
(2) سورة يونس / الآية 45.
(3) هو عاصم بن أبي النّجود الأسدي ،أبو بكر، تابعي، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمان السّلمي، و زرّ بن حبيش .و قرأ عليه خلق كثير منهم الأعمش وحفص و أبوبكر بن عياش و هما اللذان اشتهرا برواية قراءته.صار إماما في القراءة في الكوفة بعد شيخه السّلمي،وكان كفيفا، وروايته أكثر الرّوايات انتشارا في العالم اليوم. توفي سنة 127 هـ. ينظر:الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي، دار صادر، بيروت،(د/ط.ت) :ج6/ص320، والاختلاف بين القراءات:ص 81.
(4) سورة يونس / الآية 44 .
(5) ينظر: تفسير البغوي: ج2 / ص 355، و تفسير النسفي: ج2 /ص 130، و تفسير أبي السعود: ج4 / ص 150.
(6) سورة يوسف / الآية 24.
(7) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 267، و روح المعاني: ج12 / ص 217.
(8) سورة إبراهيم / الآيتان 19-20.
(9) ينظر: خزانة الأدب: ج1 / ص 35 .

22- قوله- تعالى-:(وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾) (1)

قرأ السّلمي و الحسن و الأعرج والمفضل(2) عن عاصم ويونس بن حبيب (3) عن أبي عمرو و غيرهم: (نُؤَخِّرُهُمْ) بالنّون على الالتفات إلى التّكلّم من الغيبة في(لَا تَحْسَبَنَّ اللهَ) لتهويل أمر ذلك اليوم.(4)

23- قوله- تعالى-:(مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) (5)

قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنّون (وَلَنَجْزِيَنَّ) التفاتا من الغيبة في(وَمَا عِندَ اللَّهِ)، والظاهر: (وَلَيَجْزِيَنَّ)، تكريرا للوعد المستفاد من قوله- تعالى-:(إِنّما عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (6) على نهج التّوكيد مبالغة في الحمل على الثّ بات في الدّين.و قرأ الباقون (وَلَيَجْزِيَنَّ) بالياء و لا التفات.(7)

24- قوله – تعالى-:(ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾) (8)

(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ): أي أيقضناهم من تلك النّومة العظيمة الشّبيهة بالموت، بعد ما ضربنا عليهم في الكهف سنين عددا.(لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ): أي الطائفتين أحصى لما لبثوا أمدا، و قد تنازعا في مدة لبثهم فيه بعد استيقاضهم. و قيل المقصود طائفتان من غيرهم ممن اختلفوا في مدّة لبثهم في الكهف. (9)

وقرئ (لِيَعْلَمَ) بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات. (10)

قال أبو السعود في معنى(لِنَعْلَمَ):" المعنى:بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم،(أَيُّ الْحِزْبَيْنِ): أي ـــــــ

(1) سورة إبراهيم / الآية 42.

(2) هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر،كان من أئمة الإقراء بالكوفة، و له مشاركة في النّحو و الأخبار، قرأ على عاصم والأعمش، و قرأ عليه علي بن حمزة الكسائي و جبلة بن مالك. توفي سنة 168هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 448.

(3) هو يونس بن حبيب، أبو عبد الرحمان، من الموالي، أعجمي الأصل، كان أعلم النّاس بتصاريف النّحو، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء. جاوز عمره المائة و لم يتزوّج و لم يتسرَّ، و لم تكن له همّة إلا طلب العلم و محادثة الرّجال. ينظر: الفهرست: ج1 / ص 62، و طبقات المحدثين بأصبهان: ج3 / ص44-48.

(4) ينظر: روح المعاني: ج13 / ص 245 .

(5) سورة النحل / الآية 96.

(6) سورة النحل / الآية 95.

(7) ينظر: تفسير أبي السعود:ج5/ ص 138. والمقصود:لنجزينّ الذين صبروا على مشاق التكليف وجهاد الكافرين وعلى ما ينالهم منهم من الإيذاء بأحسن ما كانوا يعملون،أي:جزاء أشرف و أوفر من عملهم . ينظر:فتح القدير: ج3 / ص 193 ، و تفسير البغوي: ج3 / ص 83.

(8) سورة الكهف / الآية 12.

(9) ينظر: الكشاف: ج2 / 473-474، و تفسير البغوي: ج3 / ص 152.

(10) ينظر: فتح القدير: ج3 / ص 272، و تفسير الطبري: ج15 / ص 206، و تفسير ابن كثير: ج4 / ص 137.

الفريقين المختلفين في مدّة لبثهم بالتفويض والتقدير– كما سيأتي– (أَحْصَى)أي أضبط.(لِمَا لَبِثُوا):أي للبثهم.(أَمَداً) أي:غاية. فيظهر لهم عجزهم و يفوّضوا ذلك إلى العليم الخبير و ليتعرّفوا حالهم و ما صنع الله – تعالى– بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقينا بكمال

قدرته ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم و آية بيّنة لكفارهم." (1)
و قيل: المراد: ليظهر معلومنا. (2)

25- قوله – تعالى-:(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾) (3)

قرأ الحسن وطلحة(4)، وابن عامر وابن كثير من السّبعة بنون العظمة (يَحْشُرُهُمْ وفَيَقُولُ) فيكون فيه التفات أوّل إلى التّكلّم من الغيبة في قوله – سبحانه-:(لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً) (5)، فائدته تهويل وتعظيم أمر الحشر(6) ، و ثان من التّكلّم في (نَحْشُرُهُمْ) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في (مِن دُون اللهِ) تربية للمهابة والخوف، ثم ثالث من الغيبة إلى التّكلّم في(فَنَقُولُ).

وقرأ بعضهم بالنّون:(نَحْشُرُهُمْ)، و بالياء:(فَيَقُولُ)، و نُسب ذلك إلى أبي حيوة و ابن عامر (7) فيكون فيه التفاتان: الأوّل من الغيبة إلى التّكلّم بنون العظمة في(نَحْشُرُهُمْ) والثّاني: من التّكلّم في (نَحْشُرُهُمْ) إلى الغيبة في(فَيَقُولُ) بإظهار الاسم الجليل.(8)

يقول محمد سالم محيسن عن الالتفات الأوّل:"ولكن التفت إلى التّكلّم على أنه إخبار من الله– تعالى-عن نفسه بأنه سيحشر المشركين والآلهة التي كانوا يعبدونها في الدنيا،ويقيم عليهم جميعا الحجّة،ويقول للآلهة موبّخا لهم:(أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ)؟و بعد إقامة الحجة على الجميع يعاقبهم على ما صنعوا في الدنيا بالنار و بئس القرار. و لو ظل الأسلوب القرآنيّ على الغيبة لما تحقّق المعنى البلاغي."(9)

وقد يعترض القول بالالتفات إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في(مِن دُون اللَّهِ)بعد التّكلّم في (نَحْشُرُهُمْ) بوقوعه في جملة واحدة، و هو مما اختلف فيه.(10)

---

(1) تفسير أبي السعود: ج5 / ص 207.
(2) فتح القدير: ج3 /ص 272.
(3) سورة الفرقان / الآية 17.
(4) هو طلحة بن مصرّف بن كعب،اليامي الهمداني،أبو محمّد و يقال أبو عبد الله الكوفي،من التابعين،قارئ فاضل،أخذ عن النّخعي والأعمش، وعنه أخذ الكسائي، وابن أبي ليلى،وعيسى بن عمر الهمذاني وغيرهم توفي سنة 112هـ.ينظر: تهذيب الكمال: ج8 / ص 216، والطبقات الكبرى:ج6/ ص308.
(5) سورة الفرقان / الآية 16.
(6)،(8) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص 248، و تفسير أبي السعود: ج6 / ص 208.
(7) ينظر: تفسير القرطبي: ج13 / ص 10.
(9) القراءات وأثرها في علوم العربيّة: د.محمد سالم محيسن، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1984م: ج2 / ص 120.
(10) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 332.

وأما على قراءة "الياء" في الموضعين، وهي قراءة حفص وابن محيصن(1) وحميد(2) وابن كثير(3) ويعقوب(4) و أبي عمرو (5) في رواية (6) فلا التفات.

وثمّة التفات آخر من الغيبة في (نَحْشُرُهُمْ) على القراءات الثّلاث، إلى الخطاب في قوله– سبحانه–فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً (7)، فيه من الإفحام و التّبكيت و إلزام الحجّة لأولئك الذين كانوا يعبدون آلهة غير الله ويتّخذون أولياء من دونه ما فيه. (8) يقول الزّمخشري:" هذه المفاجأة بالاحتجاج و الإلزام حسنة رائعة، و خاصّة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول." (9)

26- قوله – تعالى-:(ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥) (10)

قرأ الأعمش (نُعْظِمْ) بالنّون التفاتا إلى التّكلّم من الغيبة،وقرأ ابن مقسّم (11)(يُعَظِّمْ)بالياء والتّشديد مضارع "عَظَّمَ" مشدّدا.(12)

---

(1) هو محمد بن عبد الرحمان بن محيصن السهمي، مقرئ أهل مكة، أعلم أهل مكة –في عصره – بالعربيّة.اشتهرت قراءته بروايتي البزي وابن شنبوذ، و هما ليسا من تلامذته. توفي سنة 123 هـ. ينظر: القراءات القرآنيّة: ص 208.
(2) هو حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي القارئ، روى عن مجاهد و عطاء و الزهري وغيرهم، و روى عنه ابن عيينة و عبد الوارث التوّري، و سمع منه مالك و الثّوري.كان عالما بالفرائض و الحساب. توفي سنة 130هـ . ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 97-98.
(3) هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله المكي الداري، أبو سعيد مولى عمرو بن علقمة الكناني، لقي من الصحابة عبد الله ابن الزبيروأنس بن مالك و أبا أيوب الأنصاري. قرأ على مجاهد بن جبر المكي، و قرأ عليه كثيرون،وروى عنه الجماعة. اشتهرت قراءته بروايتي البزي و قنبل، و هما ليسا من تلاميذه. توفي سنة 120هـ. ينظر: تهذيب الكمال: ج9 / ص 358-359، و القراءات القرآنيّة: ص 58.
(4) هو أبو محمد،يعقوب بن إسحاق بن زيد،الحضرمي ولاء البصري،أحد القراء العشر، اشتهرت قراءته بروايتي روح و رويس. من الأعلام بالقرآن والنحو،روى عنه الجماعة إلا البخاري.توفي سنة 205هـ.ينظر:تهذيب الكمال:ج20/ص304-305،والقراءات القرآنيّة:ص 58.
(5) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري المازني.ولد بمكة سنة 68هـ و نشأ بالبصرة، قرأ على جماعة من التابعين منهم ابن كثير ومجاهد وسعيد بن جبير، و قرأ القرآن عليه جماعة منهم القاسم بن سلام والأصمعي و شبانة. ليس له في كتب السنة شيء. اشتهرت قراءته – و هي من القراءات السبع – بروايتي أبي حفص الدّوري و أبي شعيب السّوسي. توفي سنة 154هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 81.
(6) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : أحمد بن محمد البنّا، تحقيق و تقديم: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب- مكتبة الكليات الأزهرية، بيروت- القاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م: ص 305 –306، و تفسير القرطبي: ج13 / ص 10.
(7) سورة الفرقان / الآية 19.
(8) ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 / ص 211.
(9) الكشاف: ج3 / ص 86.
(10) سورة الطلاق / الآية 05.
(11) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم العطار، أبو بكر، عالم بالقراءات و بالعربيّة، من أهل بغداد، أخذ القراءة عن إدريس بن عبد الكريم و داود بن سليمان، كان أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين. من كتبه :"الأنوار في تفسير القرآن" و "الرّد على المعتزلة". مات سنة 354هـ. ينظر: القراءات القرآنيّة: ص 266، و الاختلاف بين القراءات: ص 444.
(12) ينظر: روح المعاني: ج28 / ص 138. و قد يعترض على القول بالالتفات في هذا المثال لوقوعه بين الشرط وجوابه، وهو جملة واحدة، عند من يشترط كونه في جملتين.

ثانيا: التفات على قراءة التّاء

ومن المواضع في القرآن الكريم التي يتحقّق الالتفات فيها على قراءة التّاء:

1- قوله – تعالى-:(أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٧٧) (1)

قرأ الجمهور (يَعْلَمُونَ)بالياء، و في الاستفهام معنى التّوبيخ والتقريع لبني إسرائيل المخبر عنهم. و قرأ ابن محيصن (تَعْلَمُونَ) بالتّاء خطابا للمؤمنين، أو خطابا لليهود، ثم أعرض عنهم و أعاد الضمير إلى الغيبة إهمالا لهم، على سبيل الالتفات. (2)

2- قوله– تعالى-:(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾)(3)

قرأ الحسن و قتادة و الأعرج و يعقوب (تَعْمَلُونَ) بالتّاء على سبيل الالتفات إلى الخطاب من الغيبة في (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) تشديدا للوعيد عليهم. (4)

و قيل: لا التفات، و إنّما الكلام على إضمار القول، أي: قل لهم يا محمّد: إن الله بصير بما تعملون. (5)

3- قوله – تعالى-:(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) (6)

قال القرطبي: " قرأ أبو عمرو وحده (يَبْغُونَ) بالياء على الخبر (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)بالتّاء على المخاطبة، قال: لأن الأوّل خاص والثّاني عام ففرّق بينهما لافتراقهما في المعنى. وقرأ حفص وغيره (يَبْغُونَ) و(يُرْجَعُونَ) فيهما، لقوله (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) و قرأ الباقون بالتّاء فيهما على الخطاب في (لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) (7) والله أعلم."(8).

---

(1) سورة البقرة / الآية 77.
(2) ينظر: تفسير القرطبي: ج2 / ص 04، و روح المعاني: ج1 / ص 301.
(3) سورة البقرة / الآية 96.
(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 133، و روح المعاني: ج1 / ص 331.
(5) ينظر: تفسير البيضاوي: ج1 / ص 366، و تفسير القرطبي: ج2 / ص 35.
(6) سورة آل عمران / الآية 83.
(7) سورة آل عمران / الآية 81.
(8) تفسير القرطبي: ج4 / ص 127، و قد رجّح الطبري قراءة الخطاب في الموضعين و أنها الأولى بالصواب عنده، و جوز باقي القراءات. ينظر: تفسير الطبري: ج3 / ص 335-336.

وعلى قراءة التّاء (تَبْغُونَ)قيل بالالتفات إلى الخطاب من الغيبة في قوله- سبحانه-:(فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (1)، على معنى:أتتولّون أو أتفسقون و تكفرون فغير دين الله تبغون؟ و قيل بل الكلام على تقدير القول و لا التفات، أي: قل لهم يا محمّد: أفغير دين الله تبغون؟ و على القولين فإن المقصود هو الإنكار عليهم. (2)

وقيل بالالتفات إلى الغيبة في (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) على أن الجملة مستأنفة من الخطاب في(تَبْغُونَ) على قراءة التّاء لإفادة التّهديد و الوعيد و الإسقاط عن رتبة الخطاب. (3)

4- قوله – تعالى-:(وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾) (4)

قرأ حفص (5)وحمزة والكسائي والأعمش وابن وثّاب وخلف (6) (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) بالياء في الفعلين، وهي قراءة ابن عباس. وقرأ الباقون بالتّاء فيهما على الخطاب، منهم نافع و ابن كثير وأبو بكر عن عاصم. وكان أبو عمرو يرى القراءتين جميعا.(7)

واختلف في الخطاب على قراءة التّاء ، فقيل هو للأمّة، مرتبط بقوله – تعالى-:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس)(8). و قيل هو لأولئك الموصوفين بالصفات المذكورة بدءا من قوله– تعالى-:(وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً) (9) إلى قوله – سبحانه-وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) (10) فيكون التفاتا من الغيبة، نكتته الإشارة إلى أن اتّصافهم بهذه المزايا و الصّفات جعلهم أهلا للخطاب. و يجوز أن يكون الضمير على قراءة الياء لأولئك الموصوفين بتلك الصفات فلا خروج عن الظاهر و لا التفات، أو للأمّة فيكون العدول إلى الغيبة مراعاة للأمّة كما روعيت أوّلا بالتّعبير في(أُخْرِجَتْ) دون (أُخْرِجْتُمْ) و لا التفات أيضا. (11)

5- قوله – تعالى-: (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ

---

(1) سورة آل عمران / الآية 82.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 54.
(3) ينظر: روح المعاني: ج3 / ص 213-214.
(4) سورة آل عمران / الآية 115.
(5) هو حفص بن سليمان، أبو عمرو الأسدي ،الكوفي المقرئ الإمام، ابن زوجة عاصم و صاحبه و أعلم النّاس بقراءته ،أخذ القراءة عنه ترتفع إلى علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-، ولد سنة 90هـ و توفي سنة 180هـ. ينظر:معرفة القراء الكبار:ج1 / ص 140-141.
(6) هو أبو محمد، خلف بن هشام ،البزّار البغدادي ،أحد القراء العشر، سمع من شريك و حمّاد و أبي عوانة، ولم يخرج في اختياره عن قراءات الكوفيين.اشتهرت قراءته بروايتي تلميذيه إسحاق و إدريس .توفي لسبع ليالٍ خلون من جمادى الآخرة سنة 229 هـ، ودفن في مقابر الكناسة. ينظر: الطبقات الكبرى:ج7 /ص 348، و القراءات القرآنيّة: ص 59.
(7) ينظر: تفسير القرطبي: ج4 / ص 177، و تفسير البيضاوي:2ج / 81، و زاد المسير: ج1 / ص 444.
(8)،(9) سورة آل عمران / الآية 110.
(10) سورة آل عمران / الآية 114.
(11) ينظر: روح المعاني: ج4 / ص 35.

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾) (1)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو(يَعْمَلُونَ) بالياء على الغيبة جريا على الظاهر.وقرأ الجمهور بالتّاء على الخطاب التفاتا من الغيبة للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرّحمان الناشئ عن ذكر قبائحهم. (2)

6-قوله– تعالى-:(أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾)(3)

قرأ ابن عامر (تَبْغُونَ)بالتّاء على الخطاب، و هي إما على الالتفات من الغيبة في (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) (4) لتشديد التّوبيخ، و إما بتقدير القول، أي: قل لهم: أفحكم الجاهلية تبغون ...و قرأ الباقون بالياء. (5)

7- **قوله – تعالى-:**(هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾) (6)

قرئ (تُشْرِكُونَ) بالتّاء على سبيل الالتفات على خطاب ولد آدم من الغيبة في(فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا)و أن المقصود بذلك الذكر و الأنثى من ذرية آدم الكافرين لا آدم و حواء – عليهما السّلام– أي: فجعل أولادهما له شركاء. (7)

وقيل بالالتفات أيضا إلى الغيبة، على قراءة الياء، من الخطاب في(خَلَقَكُمْ). (8)

---

(1) سورة آل عمران / الآية 180.
(2) ينظر: زاد المسير: ج1 / ص 514، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 120-121، و تفسير النسفي: ج1 / ص 194.
(3) سورة المائدة / الآية 50.
(4) سورة المائدة / الآية 49.
(5) ينظر: تفسير القرطبي: ج6 / ص 216، و روح المعاني: ج6 / ص 156، و تفسير أبي السعود: ج3 /ص 47، و تفسير البغوي: ج2 / ص 43، و زاد المسير: ج2 / ص 376.
(6) سورة الأعراف / الآيتان 189-190.
(7) ينظر: زاد المسير: ج3 / ص 303-304، و تفسير القرطبي: ج7 / ص 339، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 304.
(8) ينظر: روح المعاني: ج9 / ص 140.

والنّكتة في الالتفات على القول به على القراءتين هي الإشارة والإيماء إلى كفرانهم و بيان غاية تماديهم فيه، و التعجّب من حالهم . (1)

وقيل إن قوله – تعالى-:(فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)ابتداء كلام و أراد به إشراك أهل مكة و آل قصيّ من قريش خاصّة، و أن المراد بالنّفس الواحدة نفس قصيّ فإنهم خلقوا منه و كان له زوج من جنسه عربية قرشية و طلبا من الله ولدا صالحا فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم:عبد مناف و عبد شمس و عبد قصي و عبد الدّار. فالضمير في (يُشْرِكُونَ) على القراءتين لهما و لأعقابهما المقتدين بهما.(2)

8- **قوله – تعالى-:**(أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾) (3)

قرأ الجمهور(أَلَمْ يَعْلَمُوا) بالياء، وقرأ ابن هرمز والحسن والمفضل بالتّاء أ(أَلَمْ تَعْلَمُوا).(4) و في قراءة التّاء التفات إلى خطاب المنافقين من الغيبة في (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)(5) زيادة في تقريعهم و توبيخهم.(6)

و قيل الخطاب فيه للمؤمنين ولا التفات. وقرئ أ(أَلَمْ تَعْلَمْ)على أنه خطاب للنّبيّ– صلّى الله عليهوسلّم– أو لكلّ واقف عليه.(7)

9- **قوله– تعالى-:**(أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)(8)

قرئ أَلَمْ تَعْلَمُوا) بالتّاء التفاتا إلى خطاب المنافقين من الغيبة في قوله – سبحانه-:(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (9) إنكارا عليهم و تهديدا لهم.(10)

و قرأ بالتّاء عليٌّ – رضي الله عنه– و جعل الخطاب للمؤمنين. (11)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 304، و روح المعاني: ج9 / ص 140.
(2) ينظر: تفسير البغوي: ج2 / 221، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 304.
(3) سورة التوبة / الآية 63.
(4) ينظر:فتح القدير: ج2 / ص 376، و زاد المسير: ج3 / ص 462.
(5) سورة التوبة / الآية 62.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 / ص 78.
(7) ينظر: روح المعاني: ج10 / ص 129.
(8) سورة التوبة / الآية 78.
(9) سورة التوبة / الآية 77.
(10) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 160، و فتح القدير: ج2 / ص 385.
(11) ينظر: روح المعاني: ج10 / ص .145

10- قوله – تعالى-:(أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾) (1)

قرأ الجمهور أَلَمْ يَعْلَمُوا)بالياء. وقرئ بالتّاءأَلَمْ تَعْلَمُوا)، ورُوي ذلك عن عبد الوارث.(2)

واختلف في عود الضمير على قراءة التّاء، فقيل هو إما للمتوب عليهم المذكورين في قوله – تعالى-وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (3) فيكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، فيه تحقيق لما سبق من قبول توبتهم و تطهير الصّدقة و تزكيتها لهم، و تقرير لذلك و توطين لقلوبهم ببيان أن المتولي لقبول توبتهم وأخذ صدقاتهم هو الله- تعالى–و إن أسند الأخذ و التّطهير و التّزكية إليه – عليه السّلام -، أي: ألم يعلم أولئك التّائبون أن الله هو يقبل التّوبة الصّحيحة الخالصة من عباده المخلصين؟. و إما أن يكون الضمير عائدا لجماعة من المؤمنين من غير التّائبين فلا التفات، و يحمل الخطاب على تقدير القول، أي: قل لهم: ألم تعلموا..؟ وفيه تحضيض على التّوبة وترغيب في الصّدقة. أو يكون علما للتّائبين و لغيرهم ولا التفات أيضا. و الاختلاف نفسه على قراءة الياء، و ليس فيها التفات. (4)

11- قوله – تعالى-:(أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾)(5)

قرئ (يَدْعُونَ) بالياء، و قرأ علي بن أبي طالب و السلّمي(تَدْعُونَ) بالتّاء.(6)

قال أبو السعود:"قرئ (تَدْعُونَ) بالتّاء على الخطاب، ويكون الاستفهام للتّبكيت و التّوبيخ كأنه قيل: وأيّ شيء يتّبع الذين تدّعونهم شركاء من الملائكة و النّبيّين؟ تقريرا لكونهم متّبعين لله– تعالى– مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك، كقوله

– تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (7) ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقيل: إن يتّبع هؤلاء المشركون إلا الظنّ و لا يتّبعون

(1) سورة التوبة / الآية 104.
(2) هو أبو عبيدة، عبد الوارث بن سعيد، التّنوري العنبري البصري، الحافظ المقرئ، ولد سنة 102هـ، وقرأ القرآن و جوّده على أبي عمرو بن العلاء، و قرأ عليه إبنه عبد الصّمد و بشر بن هلال و قتيبة و خلق كثير. كان ثقة حجّة، عابدا ديّنا، فصيحا بليغا. مات سنة 180هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 163.
(3) سورة التوبة / الآية 102.
(4) تنظر القراءتان و توجيههما في: زاد المسير: ج3 / ص 497، و تفسير أبي السعود: ج4 / ص 100، و فتح القدير: ج2 / ص 400. (5) سورة يونس / الآية 66.
(6) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 244، و روح المعاني: ج11 / ص 154.
(7) سورة الإسراء / الآية 57.

ما يتّبعه الملائكة والنّبيّون من الحقّ، و إن هم إلا يخرصون: يكذبون فيما ينسبونه إليه– سبحانه– ."(1)

12- قوله – تعالى-:(وَإِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾) (2)

قرأ هرمز (تَعْمَلُونَ) بالتّاء على الالتفات إلى الخطاب من الغيبة في (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) للتّهديد و الوعيد. (3)

13- قوله – تعالى-:(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾) (4)

قرأ (أَفَلا تَعْقِلُونَ) بالتّاء نافع و ابن كثير و أبو عمرو و حفص عن عاصم و أبو جعفر و يعقوب، على الالتفات إلى خطاب المشركين، الذين جرى ذكرهم و تكرّر فصاروا كالحاضرين، و ذلك من الغيبة في قوله – تعالى-: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ممّن كذّبوا الرّسل من قوم نوح و قوم لوط و قوم صالح و سائر من عذّب الله – تعالى – حتى يحذروا عذابه، و دعوتهم إلى استعمال عقولهم ليتعرّفوا خيرية الدّار الآخرة فيتوسّلوا إليها بالاتّقاء. (5)
وقيل لا التفات بل هو على إرادة القول، أي بتقدير:(قُلْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) فيكون الخطاب على ظاهره في (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (6) ، وأن قوله(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ) إلى قوله (مِنْ قَبْلِهِمْ) أو قوله (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) اعتراض بين مقول القول.(7)
وقرأ جماعة بالياء (أَفَلا تَعْقِلُونَ) رعيا لقوله – سبحانه– (أَفَلَمْ يَسِيرُوا). و لا التفات على هذه القراءة ولا حاجة إلى تقدير القول. (8)

14- قوله – تعالى-:(أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾) (9)

قرأ السّلمي و الأعرج وحمزة والكسائي وخلف و يحي بن وثّاب والأعمش (أَوَلَمْ تَرَوْا) بتاء الخطاب ـــــ

(1) تفسير أبي السعود: ج4 / ص 162.
(2) سورة هود / الآية 111.
(3) ينظر: روح المعاني: ج12 / ص 152.
(4) سورة يوسف / الآية 109.
(5) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ج13 / ص 69، و روح المعاني: ج13 / ص 68.
(6) سورة يوسف / الآية 108.
(7) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 312، و روح المعاني: ج13 / ص 68.
(8) ينظر: فتح القدير: ج3 / ص 60، و الكشاف: ج2 / ص 347.
(9) سورة النحل / الآية 48.

جريا على أسلوب قوله – تعالى-: (فَإِنَّ رَبَّكُمْ) من قوله: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (1). و قرأ الجمهور (يَرَوْا) بالياء جريا على أسلوب الغيبة في قوله – سبحانه-: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) (2). (3)

وقال البعض بالالتفات على قراءة التّاء إلى الخطاب من الغيبة في: (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا). و قيل لا التفات بل هو إما على تقدير القول، أي: قل لهم يا محمّد: أَوَلَمْ تَرَوْا؟ أو على أنه خطاب عام للخلق. (4)

15- قوله – تعالى-: (وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾) (5)

قرأ ابن عباس ومجاهد وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة (أَلَّا يَتَّخِذُوا) بالياء، وقرأ الجمهور بالتّاء(6) التفاتا إلى الخطاب من الغيبة في (هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ)(7) على قول؛ أو تلوينا للخطاب فقط على آخر.(8)

16- قوله – تعالى-: (وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾) (9)

قرأ الجمهور بالياء (يُسْرِفْ) و الضمير فيه للوليّ. و قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و عامّة أهل المدينة والبصرة (تُسْرِفْ) بالتّاء على الخطاب، و هي قراءة حذيفة(10)، يريد بها القاتل المباشر للقتل، روي ذلك عن مجاهد. و قيل الخطاب للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – و الأئمّة من بعده، أي: لا تقتلوا غير القاتل. و أيّد بقراءة أُبَيّ: (فَلاَ تُسْرِفُوا فِي القَتْلِ). و قيل هي للوليّ على القراءتين. (11)

---

(1) سورة النحل / الآية 47.
(2) سورة النحل / الآيتان 45-46.
(3) ينظر: تفسير البغوي: ج3 / ص 70-71، و فتح القدير: ج3 / ص 166.
(4) ينظر: روح المعاني: ج14 / ص 153.
(5) سورة الإسراء / الآية 02.
(6) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 431، و روح المعاني: ج15 / ص 14.
(7) ينظر: تفسير الجلالين : ج1 / ص 366.
(8) ينظر: تفسير القرطبي: ج10 / ص 213.

(9) سورة الإسراء / الآية 33.
(10) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان،صاحب سِرّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم -شهد أُحُدا، وقد قُتِل أبوه بها.كما شهد معركة "نهاوند"، وكان فتح همذان و الرّيّ و الدّينور على يديه .توفي سنة 36 هـ. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن محمد ابن الأثير الجزري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1997م: ج 1 / ص 442-441.
(11) تراجع هذه القراءات و الأقوال في توجيهها و معنى الإسراف المنهي عنه و النّصرة المثبتة في: الكشاف: ج2 / ص 448، و تفسير =

وعلى قراءة التّاء خطابا للوليّ يكون في الكلام التفات من الغيبة في(فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً). (1)

17- قوله – تعالى-:(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾) (2)

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائي(يَعُدُّونَ) بياء الغيبة، والباقون بالتّاء (3)، على الالتفات والضمير فيها للمستعجلين. وقيل بل الخطاب للرسول – عليه السّلام - ومن معه (4)، فلا التفات.

18-قوله – تعالى-:(وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾) (5)

قراءة الجمهور بالياء (يُؤْتُوا)، وقرأ أبو حيوة وابن قطيب (6) بالتّاء (تُؤْتُوا)على الالتفات إلى الخطاب، ويؤيّده قوله – سبحانه-:(أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ). (7)

19- قوله – تعالى-: (يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾) (8)

قرأ طلحة بن سليمان (يَخْلُدُ) بتاء الخطاب مرفوعا التفاتا من الغيبة في(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً) (9) للإنباء عن شدّة الغضب.(10)

= النسفي: ج2 /ص 85 ، و زاد المسير: ج5 / ص 32-33، و تفسير القرطبي: ج10 / ص 255، و اختار الطبري كون الخطاب للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم – و الأئمّة من بعده. ينظر: تفسيرالطبري : ج15 / ص 81-82.
(1) ينظر: روح المعاني: ج15 / ص 70.
(2) سورة الحج / الآية 47.
(3) ينظر: فتح القدير: ج3 / ص 460، و تفسير القرطبي: ج12 / ص 78.
(4) ينظر: روح المعاني: ج17 / ص 169، و تفسير أبي السعود: ج6 / ص 112.
(5) سورة النور / الآية 22.
(6) هو الحسين بن محمد بن أحمد بن قَطِيب، الباني البارودي.روى القراءة عن أبي بكر النقّاش، و روى عنه الحسن بن محمد البغدادي ونصر ابن عبد العزيز الفارسي. ينظر: الاختلاف بيت القراءات: ص 421.
(7) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 56، و روح المعاني: ج18 / ص 125، و فتح القدير: ج4 / ص 16، و تفسير أبي السعود: ج6 / ص 165. و قد نزلت هذه الآية في أبي بكر الصّديق – رضي الله عنه –حينما حلف ألاّ ينفق على "مسطح" و قد خاض في الإفك، و كان ينفق عليه لفقره و قرابته. فلما نزلت قال: بلى إني أحبّ أن يغفر الله لي، فرجع ينفق عليه. و قال عبد الله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله. ينظر: تفسير القرطبي: ج12 / ص 207.
(8) سورة الفرقان / الآية 69.
(9) سورة الفرقان / الآية 68.

(10) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 101، و تفسير أبي السعود: ج6 / ص 230، و روح المعاني: ج19 / ص 48.

وقرأ أبو حيوة و قتادة و الأعمش (و يُخْلَدُ) بضم الياء و سكون الحاء و فتح اللاّم مخفّفة. و قرأ الجحدريّ و ابن يعمر(1) و المتوكّل مثله إلا أنهم شدّدوا اللاّم (يُخلَّدُ).(2)

20- قوله – تعالى-:(وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾) (3)

قرأ عبد الله بن مسلم بن يسار و شفيق بن مسلمة و حمّاد بن سلمة (4)و أبو قلابة (5) بتاء الخطاب(أَلاَ يَتَّقُونَ) على الالتفات من الغيبة في قوله-تعالى-:(قَوْمَ فِرْعَوْنَ) مجابهة لهم و ضربا لوجوههم بالإنكار و الغضب عليهم.(6)

قال الزّمخشري: "فإن قلت:فما فائدة هذا الالتفات و الخطاب مع موسى– عليه السّلام – في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون؟ قلت:إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بضرتهم و إلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلّغه و مُنهيه و ناشره بين النّاس و له فيه لطف و حثّ على زيادة التقوى." (7)

كما قرئ(أَلاَ يَتَّقُون) بكسر النّون، بمعنى: ألا يتقوني. فحذفت النّون لاجتماع نونين و ياء و الاكتفاء بالكسرة، و كذلك قرئ بالتّاء (أَ لاَ تَتَّقُون).(8)

21– قوله – تعالى-:(أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ

---

(1) هو يحي بن يعمر، الوشقي العدواني، أبو سليمان، أول من نقّط المصاحف، ولد بالأهواز، تابعيّ جليل من الأعلام في الفقه والحديث ولغات العرب. عرض القرآن على ابن عمر و ابن عباس و أبي الأسود الدّؤلي، و عرض عليه أبو عمرو بن العلاء و عبد الإله بن أبي إسحاق. توفي سنة 129هـ .ينظر: القراءات القرآنيّة: ص 46، و الاختلاف بين القراءات: ص452-453.

(2) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 103، و زاد المسير: ج6 / ص 106. و قرأ الحسن(يُضَعَّفْ) من ضاعفتُ الشّيء و ضعَّفْتُه، و قرأ عاصم (يُضاعَفُ) على تفسير(يَلْقَ آثَامًا)، كأن قائلا قال: ما لقيُ الآثام؟ فقيل: يضاعفُ للآثم العذاب. و قرأ أبو المتوكّل و قتادة و أبو حيوة (يُضْعَفْ) بضم الياء و سكون الضاد و فتح العين خفيفة من غير ألف بالجزم، و رويت عن أبي حيوة بتشديد العين أيضا. و قرأ أبو حصين الأسدي و العمري عن أبي جعفر مثله إلا أن العين مكسورة (يُضْعِفْ) والعذاب بالنّصب، و الجمهور على(يُضاعَفْ) و (يَخُلْدْ) بالجزم فيهما بدلا من (يَلْقَ). ينظر: روح المعاني: ج19 / ص 48، و زاد المسير: ج6 / ص 105.

(3) سورة الشّعراء / الآيتان 10– 11.

(4) هو أبوسلّمة، حماد بن سلمة، مولى بني تميم. توفي بالبصرة سنة 165هـ.من كتبه :كتاب السّنن. ينظر: الفهرست: ج1 / ص 317.

(5) هو عبد الملك بن محمد بن عبد الله، الرّقاشي الضّرير الحافظ، كنيته أبو محمد و غلب عليه أبو قلابة، روى عن أبيه و عبد الصّمد بن عبد الوارث و بشر الزهراني و روح بن عبادة وغيرهم. و روى عنه ابن ماجه و ابن خزيمة و ابن جرير وآخرون. ولد سنة 190هـ، سكن بغداد إلى أن مات سنة 276هـ. ينظر: تهذيب التهذيب: ج4 / ص 29.

(6) ينظر: روح المعاني: ج19 / ص 64، و تفسير أبي السعود: ج6 / ص 236.

(7) الكشاف: ج / 3 / ص 106. و أما على تقدير القول فلا التفات.

(8) ينظر: الكشاف: ج3 / ص 106، و روح المعاني: ج19 / ص 64.

مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾) (1)

قوله-تعالى-:(وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ): الخطاب فيه على ما قيل إما للناس أو لقوم سليمان أو لقوم بلقيس. و على هذه القراءة يكون في الكلام التفات من الغيبة في(أَلَّا

يَسْجُدُوا) ما دام الضمير واحدا. و قرأ الجمهور بياء الغيبة (وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) بلا التفات. (2)

قال القرطبي: " قراءة العامّة فيها بياء الغائب، و هذه القراءة تعطي أن الآية من كلام الهدهد و أن الله –تعالى– خصّه من المعرفة بتوحيده و وجوب السجود له و إنكار سجودهم للشمس و إضافته للشيطان وتزيينه لهم ما خصّ به غيره من الطيور و سائر الحيوان من المعارف اللّطيفة التي لا تكاد العقول الراجحة تهتدي لها. وقرأ الجحدري و عيسى بن عمر(3)و حفص و الكسائي(تُخْفُونَ) و(تُعْلِنُونَ) بالتّاء على الخطاب و هذه الآية تعطي أن الآية من خطاب الله – عز وجل– لأمّة محمّد –صلّى الله عليه وسلّم– "(4)

وقال الشوكاني في توجيه القراءتين: " أما القراءة الأولى – أي بالياء– فلكون الضمائر المتقدّمة ضمائر غيبة، و أما القراءةالثّانية فلكون قراءة الزّهري (5) والكسائي فيها الأمر بالسجود والخطاب لهم بذلك فهذا عندهم من تمام ذلك الخطاب." (6)

22- قوله – تعالى-: (مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾) (7)

قرأ عاصم و أبو عمرو و يعقوب (يَدْعُونَ) بالياء و قرأ الباقون بالتّاء على الخطاب. (8)

---

(1) سورة النمل / الآيتان 25-26.

(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 282، و روح المعاني: ج19 / ص 192.

(3) هو عيسى بن عمرالأسدي المعروف بالهمداني، أبو عمرو الكوفي القارئ الأعمى (صاحب الحروف) أحد القراء عن عاصم بن أبي النّجود والأعمش أخذ عنه الكسائي وخارجة بن مصعب،و روى عنه التّرمذي والنّسائي.توفي سنة 156هـ.ينظر:تهذيب التهذيب: ج14/ص128.

(4) تفسير القرطبي: ج13 / ص 188-189.

(5) هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، الزّهري القرشي المدني، من أئمة التّابعين. أوّل من دون الحديث، أخذ عنه مالك ابن أنس، و عرض عليه نافع القرآن. توفي لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة 124هـ، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل بل تجاوز المئة.ينظر: الطبقات الكبرى: القسم المتمّم لتابعي أهل المدينة:محمد بن سعد بن منيع،تحقيق:زياد أحمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعةالثّانية،1408هـ:ج1/ص 157-185،و الاختلاف بين القراءات: ص 446، القراءاتالقرآنيّة: ص128.

(6) فتح القدير: ج4 / ص 134 . و قرئ(أَلَّا يَسْجُدُوا) بتشديد (ألا)و تخفيفها، و قرأ عبد الله (هَلاَّ تَسْجُدُونَ) على الخطاب و قرأ أُبَيّ (ألاّ تَسْجُدُونَ) و على قراءة الخطاب لا التفات إلا أن يُقرأ(يُخْفُونَ) و (يُعْلِنُونَ) بياء الغيبة . تنظر هذه القراءات و توجيهاتها في: الكشاف: ج3 / ص 145 .

(7) سورة العنكبوت / الآيتان 41-42.

(8) ينظر: تفسير القرطبي: ج13 / ص 346، و فتح القدير: ج4 / ص 204 .

واختلف في الخطاب على قراءة التّاء(تَدْعُونَ) فقال البعض: هو على إضمار القول، أي: قل للكفرة إن الله يعلم ما تدعون. و قال آخرون هو على الالتفات من الغيبة في(يَعْلَمُونَ) إيذانا بالغضب عليهم. (1)

23- قوله – تعالى-: (ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾) (2)

قرأ نافع و ابن كثير و ابن عامر و حمزة و الكسائي و حفص عن عاصم (تَرْجعُونَ) بالتّاء. وقرأ أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم (يَرْجعُونَ)بالياء على الغيبة. (3)

وعلي قراءة التّاء التفات إلى خطاب المشركين من الغيبة في ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾(4) لتشديد الوعيد عليهم و المبالغة في تهديدهم.(5)

24-قوله- تعالى-:﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (6)

قرأ الجمهور ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ على الخطاب التفاتا من الغيبة في(يُشْرِكُونَ)، و هو خطاب تهديد. و قرأ أبو العالية (7) بالياء على البناء للمفعول﴿فَيُمَتَّعُوا﴾ معطوفا على(لِيَكْفُرُوا) كما قرأ أيضا بياء قبل التّاء ﴿فَيَتَمَتَّعُوا﴾ معطوفا على(لِيَكْفُرُوا) و قرأ(يَعْلَمُونَ) بالياء أيضا. و في مصحف ابن مسعود ﴿فَلْيَتَمَتَّعُوا﴾ باللام و الياء، عطفا على (لِيَكْفُرُوا).(8)

25- قوله – تعالى-: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (9)

قرأ الجمهور (تُرْجَعُونَ)بالتّاء مبنيّا للمفعول التفاتا إلى الخطاب، من الغيبة في قوله – تعالى-:﴿وَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾(10).و قرأ السّلمي و زرّ بن حبيش (11) ـــــــ

(1) ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 / ص 317، و تفسير أبي السعود: ج7 / ص 41، و روح المعاني: ج20 / ص 162.
(2) سورة الروم / الآية 11.
(3) ينظر: زاد المسير: ج4 / ص 218، و تفسير البغوي: ج3 / ص 478.
(4) سورة الروم / الآية 10.
(5) ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 217-218، و روح المعاني: ج21 / ص 24.
(6) سورة الروم / الآيتان 33-34.
(7) هو رفيع بن مهران، أبو العالية، الرّياحي. أخذ القرآن عن أبيّ و ابن عباس وزيد بن ثابت – رضي الله عنهم- و عرضه على عمر ابن الخطاب – رضي اله عنه -. توفي سنة 90هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 423.
(8) ينظر:تفسير البغوي: ج3 / ص 484،و فتح القدير: ج4 / ص225،و روح المعاني: ج21 / ص 42، وتفسير الجلالين: ج1/ص 535.
(9) سورة يس / الآية 83 .
(10) سورة يس / الآية 81.
(11) هو زرّ بن حبيش بن حيانة بن أوس بن بلال، أبو مريم، مخضرم أدرك الجاهلية، و تابعيّ روى عن عمر و عثمان و علي و أبيّ و ابن مسعود، وعنه روى النخعي والشعبي وغيرهما.توفي سنة 81هـ، وهو ابن اثنتين و عشرين أو سبع وعشرين ومائة.ينظر: تهذيب التهذيب: ج2/ ص 244، والطبقات الكبرى:ج6 / ص 104-105.

وأصحاب عبد الله بن مسعود بالياء (يُرْجَعُونَ) مبنيّا للمفعول، فلا التفات. وقرأ يعقوب و زيد ابن علي(1) (تَرْجِعُونَ) مبنيّا للفاعل. و في الآية على القراءتين وعد للمقرين بقدرة الله و وعيد للمنكرين.(2)

26- قوله – تعالى-:(هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ (3)

قرأ الجمهور بالتّاء(تُوعَدُونَ) على الخطاب. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن محيصن و يعقوب بالياء (يُوعَدُونَ)على الخبر.(4)

وفي قراءة التاء التفات من الغيبة في قوله- تعالى-:﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ (5). (6)

قال أبو السعود بعد أن أورد القراءتين و توجيههما:" والالتفات أليق بمقام الامتنان والتّكريم." (7).

27- قوله – تعالى-:(وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٢٠) **(8)**

قراءة الجمهور(يَدْعُونَ) بالياء. و قرأ أبو جعفر و شيبة و نافع بخلاف عنه و هشام(تَدْعُونَ) بتاء الخطاب التفاتا من الغيبة في قوله:(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (9).وقيل هو على إضمار القول، وابتداء كلام مبنيّ على خطابهم،فلا التفات.(10)

28 – قوله – تعالى-:(لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا

---

(1) هو أبو الحسين، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني، أخو محمد بن علي "الباقر" ولد سنة 80 هـ .ذكره ابن حبان في الثقات و أنه رأى جماعة من الصحابة. روى عن أبان بن عثمان و عروة بن الزبير و عن أبيه و أخيه الباقر. روى عنه أصحاب السّنن الأربعة. مات مصلوبا بالكوفة سنة 122هـ و قيل 120 هـ، زمن حكم هشام بن عبد الملك. ينظر: تهذيب الكمال: ج6 / ص 140، و تهذيب التهذيب: ج2 / ص 298.
(2) تنظر هذه القراءات و توجيهاتها في: تفسير القرطبي: ج15 /ص 60، و روح المعاني: ج23 / ص 63، و تفسير البيضاوي: ج4 / ص 444، و فتح القدير: ج4 / ص 384 .
(3) سورة ص / الآية 53.
(4) ينظر: فتح القدير: ج4 / ص 438، و تفسير القرطبي: ج15 / ص 220.
(5) سورة ص / الآيات 49-52.
(6) ينظر: روح المعاني: ج23 / ص 214، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 603.
(7) تفسير أبي السعود: ج7 / ص 232.
(8) سورة غافر / الآية 20.
(9) سورة غافر / الآية 18.
(10) ينظر: روح المعاني: ج24 / ص60، و تفسير أبي السعود: ج5 / ص 272، و فتح القدير: ج4 / ص 486.

ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨) **(1)**

قرأ الجمهور بالياء(يَتَذَكَّرُونَ) على الغيبة، لأن ما قبلها و ما بعدها كذلك. و قرأ الكوفيون بالتّاء على الخطاب، على أن الضمير في (تَتَذَكَّرُونَ) للناس أو للكفار. و اختلف في الخطاب: أهو على التّغليب على الغيبة؟ أو على الالتفات من الغيبة؟ أو لأحدهما مع جواز الآخر؟ أم على إضمار القول؟ بمعنى: قل قليلا ما تتذكّرون ؟. (2)

29- قوله – تعالى-:(وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥) **(3)**

قوله-تعالى-:(وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ): قرأ حمزة و الكسائي و حفص و خلف بالتّاء على الخطاب للمشركين و هي قراءة ابن مسعود و أصحابه، و الباقون بالياء (يَفْعَلُونَ) على الخبر.(4) و يكون في الكلام على قراءة التّاء التفات من الغيبة إلى الخطاب.(5)

30- قوله – تعالى-:(كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ **) (6)**

قرأ الجمهور(سَيَعْلَمُونَ) بالياء، و قرأ حمزة و ابن عامر و طلحة و ابن وثاب و الأعمش (سَتَعْلَمُونَ) بتاء الخطاب، على حكاية ما قاله صالح – عليه السّلام– مجيبا لهم، أو على سبيل الالتفات من الغيبة في(كَذَّبَتْ ثَمُودُ)كما ذهب إليه جماعة منهم الزّمخشري، زجرا لهم ومبالغة وتشديدا عليهم في الوعيد. (7)

31- قوله – تعالى-: (أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ

---

(1) سورة غافر / الآيتان 57– 58.
(2) ينظر: تفسير القرطبي: ج15 / ص 325، و فتح القدير: ج4 / ص 498، و تفسير البغوي: ج4 / ص 103، و تفسير النسفي: ج4 / ص 103، و قال الزّمخشري:"والتّاء أعم."ينظر: الكشاف: ج3 / ص 433.
(3) سورة الشورى / الآية 25.
(4) ينظر: تفسير القرطبي: ج16 / ص 26، و فتح القدير: ج4 / ص 535، و تفسير البغوي: ج4 / ص 127.
(5) ينظر: روح المعاني: ج25 / ص 36.
(6) سورة القمر / الآيات 23 -26.
(7) ينظر: روح المعاني: ج27 / ص89، و الكشاف: ج4 / ص39، و تفسير أبي السعود: ج8 / ص172، وتفسير النسفي:ج4 /ص196.

فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ **) (1)**

قراءة الجمهور بالياء (وَلاَ يَكُونُوا) جريا على ما تقدم، بينما قرأ يعقوب و أبو حيوة و ابن أبي عبلة وعيسى و بن أبي إسحاق(2) بالتّاء على الالتفات للاعتناء بأمر التّحذير. و قيل بل هو كلام مستأنف نُهي فيه المؤمنون عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وُبِّخوا. (3)

32- قوله – تعالى-:(كَلَّاۖ بَل لَّا تَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ **) (4)**

قرأ أبو حيوة (تَخَافُونَ) بالتّاء على الخطاب التفاتا من الغيبة في:(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) (5).(6)

33- قوله – تعالى-:(وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾ **) (7)**

قرأ الجمهور (يَتْكُرُونَ) بالياء تخفيفا، و قرأ نافع و يعقوب بالتّاء تخفيفا أيضا (تَتْكُرُونَ)، كما قرئ فيهما بالتّشديد. (8) و على قراءة التّاء، يتحقّق الالتفات من الغيبة في:(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) (9).(10)

34-قوله- تعالى-:(أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾)(11)

---

(1) سورة الحديد / الآية 16.
(2) هو عبد الله بن أبي إسحاق، الحضرمي البصري، النّحوي، جدُّ يعقوب بن إسحاق الحضرمي من القرّاء العشرة. أخذ القراءة عن يحي ابن يعمر و نصر بن عاصم. ولد سنة 29 هـ، و مات سنة 117هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 433.
(3) ينظر: تفسير القرطبي: ج17 / ص 249، و تفسير أبي السعود: ج8 / ص 209، و تفسير النسفي: ج4 / ص 217، و فتح القدير: ج5 / ص 172. و قد قيل أن هذه الآية نزلت في المنافقين، بعد الهجرة بسنة، ذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص) (سورة يوسف/ الآية 03) فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصا من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك، فنزل (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً) (سورة الزمر/ الآية 23) فكفوا عن سؤاله ما شاء الله، ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية. ينظر: صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التّميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرّسالة، بيروت، الطبعةالثّانية، 1414هـ-1993م: ج14 / ص 92، رقم: 6209. و قال آخرون: نزلت في المؤمنين، قال عبد الله بن مسعود: ما كان بين إسلامنا و بين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنوات. ينظر:صحيح مسلم: كتاب: ج4 / ص 2319، رقم: 3027. و رواه ابن ماجه عن عبد الله بن الزبير-رضي الله عنهما-. ينظر: سنن ابن ماجه: ج2 / ص 1402، رقم: 4192. و قال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. تراجع هذه الأقوال في: تفسير البغوي: ج4 / ص 297.
(4) سورة المدثر / الآية 53.
(5) سورة المدثر / الآية 52.
(6) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 134.
(7) سورة المدثر / الآية 56.
(8) ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 / ص 418، و فتح القدير: ج5 / ص 334.
(9) سورة المدثر / الآية 55.
(10) ينظر: تفسير أبي السعود: ج9 / ص 63.
(11) سورة القيامة / الآيتان 36-37.

قرأ الجمهور (ألم يَكُ) بالياء على إرجاع الضمير إلى الإنسان. و قرأ الحسن(ألم تَكُ) بالتّاء على الالتفات إلى الخطاب توبيخا له. (1)

والذين اختاروا القول بالالتفات قالوا بأن العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التّوبيخ أدلّ على العنف الشّديد و الإنكار البليغ، إذ أن الآية متّصلة بخلق السموات و الأرض و هو كلام مع المجادلين. وردّ من اختار القول بالتّغليب بأن هذه النّكتة متحقّقة في التّغليب و هو أولى بها لتعميم الفائدة.(2)

35- قوله – تعالى-:(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾) (3)

قرأ الجمهور(سَيَعْلَمُونَ) بالياء في الموضعين على الخبر، لقوله – تعالى-:(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، و الضمير للكافرين – المشركون أو اليهود– أي: سيعلمون عاقبة تكذيبهم. و قيل بل الضمير للمؤمنين، و المعنى: سيعلمون عاقبة تصديقهم. و قرأ الحسن و أبو العالية و مالك بن دينار(4) و ابن عامر بالتّاء فيهما التفاتا إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للرّدع و مبالغة في الوعيد. (5)

وقرأ الضّحاك (6) بالتّاء في الموضع الأوّل خطابا للكافرين، و بالياء فيالثّاني إخبارا عن المؤمنين. و رُوي عنه القراءة بالياء فيهما بالتّوجيه نفسه. (7)

36- قوله – تعالى-:(بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٠﴾) (8)

قرأ (يُؤْثِرُونَ) بالياء على الغيبة عبد الله و أبو رجاء و الحسن و الجحدريّ و أبو حيوة و الزّعفراني (9)

---

(1) ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 342، و روح المعاني: ج29 / ص 149. و قرأ ابن كثير و نافع و حمزة و الكسائي و أبو بكر عن عاصم بالتّاء (تمْنَى) على أن الضمير للنّطفة، بينما قرأ ابن عامر و حفص عن عاصم و يعقوب بالياء، و رويت القراءتان عن أبي عمرو. ينظر: زاد المسير: ج8 / ص 425-426، و تفسير البغوي: ج4 / ص 425.

(2) ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 / ص 98، و تفسير أبي السعود: ج7 / ص 281، و روح المعاني: ج24 / ص 60.

(3) سورة النبإ / الآيتان 04-05.

(4) هو أبو يحي، مالك بن دينار، البصري الزاهد، أبوه من سبي سجستان و قيل من كابل. روى عن أنس بن مالك والحسن وابن حوشب وابن سيرين و عكرمة وعطاء وغيرهمكان من المتعبِّدة الصّبر المتقشِّفة الخشن. مات سنة 127هـ، و قيل سنة 130هـ. ينظر: تهذيب الكمال: ج15 / ص 73-74، و تهذيب التهذيب: ج5 / ص 451.

(5) ينظر: تفسير القرطبي: ج19 / ص 171، و زاد المسير: ج9 / ص 05، و ردّ أبو السعود في تفسيره ،بعد بيانه للقراءتين و توجيههما قول من وجّه قراءة التّاء بتقدير القول ، وقال : فيه من الإخلال بجزالة النّظم الكريم ما لا يخفى. ينظر: تفسير أبي السعود: ج9 / ص 86.

(6) هو أبو القاسم، الضّحاك بن مزاحم، الهلالي البلخي الخرساني، التابعي، المفسِّر، سمع من سعيد بن جبير و أخذ عنه التفسير.توفي بخرسان سنة 105 هـ. ينظر: الطبقات الكبرى:ج6/ ص300-302، والاختلاف بين القراءات: ص 429، والقراءات القرآنيّة: ص 206.

(7) ينظر: فتح القدير: ج5 / ص 363-364، و تفسير الطبري: ج30 / ص 03، و روح المعاني: ج30 / ص 05.

(8) سورة الأعلى / الآية 16.

(9) هو أبو محمد، عبد الله بن هاشم، الزعفراني المقرئ. ذُكِر أنه قرأ على خلف بن هشام وعلى دحيم الدّمشقي و على الدّوري و على أبي هشام الرّفاعي. ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 253.

و أبو عبلة و أبو عمرو و ابن مقسم، و لا التفات. (1)

وقرأ الجمهور بالتّاء (تُؤْثِرُونَ). واختلف في الخطاب، فقيل هو للكفرة الأشقين السّابق ذكرهم في قوله – تعالى-:(وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى *الَّذِي يَصلّى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى) (2)، أو للكلّ المسلمين و الكفار المخبر عنهم في قوله – سبحانه -:(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى) (3) لأن السّعي للدّنيا أكثر في الجملة، على الالتفات- على القولين- من الغيبة زيادة في التّوبيخ على الكفار، وتشديد العتاب على المسلمين على القول الثّاني. و قيل بل هو على إضمار القول.و قراءة أُبَيّ (بَلْ أَنتُمْ تُؤْثِرُونَ) تؤيد قراءة الجمهور. (4)

37- قوله – تعالى-:(كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧) (5)

قرأ الجمهور بالتّاء(تُكْرِمُونَ) و قرأ أبو عمرو و يعقوب و أهل البصرة بالياء (يُكْرِمُونَ). (6)

واختلف في الخطاب على قراءة التّاء، فقيل هو على الالتفات من الغيبة بالإخبار عن جنس الإنسان في قوله – سبحانه-:(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ *وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (7) لتأكيد التّقريع و تشديد التّشنيع.(8)

وقيل بل هو على تقدير القول، أي: (قل: كلا بل لا تكرمون اليتيم..)، و لا التفات. (9)

❋ ❋ ❋

(1) ينظر: روح المعاني: ج30 / ص 111.
(2) سورة الأعلى / الآيات 11-13.
(3) سورة الأعلى / الآيتان 14-15.
(4) ينظر: تفسير البيضاوي: ج5 / ص 481، و فتح القدير: ج5 / ص 425، و تفسير أبي السعود: ج9 / ص 146، و روح المعاني: ج30 / ص 111.
(5) سورة الفجر / الآية 17.
(6) ينظر: تفسير البغوي: ج4 / ص 485، و فتح القدير: ج5 / ص 439.
(7) سورة الفجر / الآيتان 15-16.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج9 / ص 157، و فتح القدير: ج5 / ص 439، و بجعل الخطاب للإنسان قال الطبري أيضا. ينظر: تفسيرالطبري: ج30 / ص 183.
(9) ينظر: روح المعاني: ج30 /ص 12.

المبحث الثّاني

التفـات على قراءات الياء و أخرى

أوّلا: التفــات على قراءة الياء .

ثانيا: التفــات على قراءات أخرى.

أوّلا: التفات على قراءة الياء

ومن المواضع في القرآن الكريم التي فيها قراءة بالياء يتحقّق وفقها الالتفات:

1- قوله – تعالى-: (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾) (1)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وَلا تُقْبَلُ) بالتّاء. وقرأ سفيان (يَقْبَلُ) بفتح الياء على البناء للفاعل ونصب (شَفَاعَةَ)، على الالتفات من التكلّم في (نِعْمَتِيَ) من قوله- تعالى-:(يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (2) إلى الغيبة. (3)

2- قوله – تعالى-:(ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾) (4)

في قوله – تعالى-:(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وعيد شديد لما هم عليه – أي اليهود – من قسوة القلوب و ما يترتّب عليها من الأعمال السيّئة.

وقرئ (يَعْمَلُونَ)بالياء على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، فيكون فيه مع الوعيد إعراض عنهم وإسقاط لهم عن رتبة الخطاب. (5)

3- قوله – تعالى-:(وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾) (6)

الالتفات في هذه الآية بحسب توجيه الكلام فيها:

إن كان قوله – تعالى-وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) خطابا موجّها للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- والمؤمنين، كان في (تَوَلَّيْتُمْ) التفات إلى خطاب بني إسرائيل جميعا بتغليب الأخلاف

---

(1) سورة البقرة / الآية 48.
(2) سورة البقرة / الآية 47.
(3) و رأى الألوسي بعد أن أورد القراءتين أن بناءه للمفعول أبلغ. ينظر: روح المعاني: ج1 / ص 252.
(4) سورة البقرة / الآية 74.
(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 115.
(6) سورة البقرة / الآية 83.

على الأسلاف لجريان ذكرهم كلّهم حينئذ على نهج الغيبة، إذ الخطابات السّابقة محكيّة بالقول المقدّر قبل (لا تَعْبُدُونَ)، كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت عليهم.

وأما إن كان الخطاب لليهود المعاصرين للرّسول- عليه السّلام – فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف منزلة الأخلاف، كما أنه تعميم للتولي بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتّشديد في التّوبيخ، و لا التفات. وكذلك إن جعل لليهود المعاصرين للنّبيّ- عليه السّلام – و للمؤمنين كان تعميما للخطاب فقط. (1)

وأما على القول بأن الخطاب لبني إسرائيل المأخوذ عليهم الميثاق، فيكون جريا على سياق(لا تَعْبُدُونَ)،

ووجّه أصحاب هذا القول إقامة الصّلاة وإيتاء الزكاة التي أمروا بها بما كان في شريعتهم. (2)

وقيل بل يجيء الالتفات على قراءة (يَعْبُدُونَ)بالياء إلى الخطاب في (قُولُوا)، و بها قرأ ابن كثير وحمزة و الكسائي (3)، و هو أوضح منه على قراءة التّاء، و أن الكلام كلّه موجّه لبني إسرائيل.

ورأى آخرون أن الخطاب في(قُولُوا) خاصّ باليهود المعاصرين للنّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- و ما تقدّمَه خاص بمن تقدّمهم من بني إسرائيل، على القراءتين، وقالوا بالالتفات فيهما. و هذا خلاف المصطلح عليه لعدم اتحاد الضمير بين المنتقل إليه و المنتقل عنه. (4)

وأما على قراءة أُبَيّ وعبد الله بن مسعود(لا تَعْبُدُوا)على النّهي فيكون الأمر في (قُولُوا) و(وَأَقِيمُوا) و(وَآتُوا)موصولا بالنّهي في (لا تَعْبُدُوا) (5)، و لا التفات حينها.

والخلاصة أن الالتفات إلى الخطاب في (قُولُوا)أوضح و أبين على قراءة الياء في (تَعْبُدُونَ)، ومختلف فيه على قراءة التّاء، ولا التفات على قراءة النّهي (لا تَعْبُدُوا). (6)

4- قوله – تعالى-:(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١) (7)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 123، و روح المعاني: ج1/ ص 309.
(2) ينظر: فتح القدير: ج1 / ص 108.
(3) ينظر: فتح القدير: ج1 / ص 107.
(4) أورد الألوسي القولين الأخيرين في تفسيره، و قال عن الثّاني أنه ليس على وفق ما اصطلح عليه، ذلك أنه لم يقل أهل المعاني بالالتفات بين خطابين مختلفين. ينظر: روح المعاني: ج1 / ص 309.
(5) ينظر: تفسير القرطبي: ج2 / ص 13.

(6) و التفات آخر هو من التّكلّم بنون العظمة في (أَخَذْنَا) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في (لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) تربية للمهابة و بيانا للعليّة و أن المستحقّ للعبادة هو الله، الذي تضمّن اسمه جميع معاني الألوهية، و ذلك ما لم يقدّر القول قبل (لا تَعْبُدُونَ).

(7) سورة البقرة / الآية 281. وهذه آخر آية نزلت، ذكر ذلك ابن عباس – رضي الله عنهما – وأن جبريل قال للنّبيّ– عليه السّلام -: ضعها على رأس مائتين و ثمانين آية من سورة البقرة. و عاش بعدها رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم – واحدا و عشرين يوما. ينظر: تفسير البغوي: ج1 / ص 266، و فتح القدير: ج1 / ص 299، و تفسير القرطبي: ج1 / ص 60، و تفسيير النسفي : ج1 / ص 135.

قال أبو السعود:"(تُرْجَعُونَ فِيهِ)على البناء للمفعول من(الرَّجع)،وقرئ على البناء للفاعل من(الرّجوع)

والأوّل أدخل في التّهويل. وقرئ بالياء على طريق الالتفات. وقرئ (تُرَدُّونَ) وكذا (تَصِيرُونَ)."(1)

وفي تحقّق الالتفات على قراءة(يُرْجَعُونَ) بالياء نظر، لوقوعه في جملة واحدة ، وهو مما اختلف فيه.(2)

وبقراءة (تَرْجِعون) قرأ أبو عمرو ويعقوب وأهل البصرة. (3)

وذكر القرطبي أنأُبيّاً (4) قرأ(تَصِيرُونَ)، بينما قرأ عبد الله(5) (تُرَدُّونَ)، وأن قراءة الياء (يُرْجَعُونَ) مروية عن الحسن، على معنى: يرجع جميع النّاس. و نقل عن ابن جنّي (6) القول بأن الله – تعالى- رفق بالمؤمنين على أن يواجههم بذكر الرّجعة إذ هي مما ينفطر له القلوب، فقال لهم: (وَاتَّقُوا يَوْماً) ثم رجع في ذكر الرجعة إلى الغيبة رفقا بهم. (7)

5- قوله – تعالى-:(قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾) (8)

قرأ الجمهور (يَرَوْنَهُمْ) بالياء مبنيّا للفاعل، بينما قرأ نافع و يعقوب (تَرَوْنَهُمْ). و اختلف في الخطاب في قوله – سبحانه-:(قَدْ كَانَ لَكُمْ) أهو للمشركين أم لليهود أم للمؤمنين أم للجميع؟وعلى القول الأخير، و على قراءة الجمهور، قيل بالالتفات إلى الغيبة على أن الضمير في(يَرَوْنَهُمْ) للمؤمنين. (9)

---

(1) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 268.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ج3 / ص 332.

(3) ينظر: تفسير البيضاوي: ج1 / ص 577، و تفسير البغوي: ج1 / ص 266.

(4) هو الصحابي أُبيّ بن كعب بن قيس، أبو المنذر الأنصاري– رضي الله عنه-، أقرأ الأمة. عرض القرآن على النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم-. أخذ عنه القراءة ابن عباس و أبو هريرة و عبد الله بن السائب و عبد الله بن عياش و أبو عبد الرحمان السلمي . شهد بيعة العقبة الثّانية وبدرا والمشاهد كلها،ومناقبه كثيرة .توفي بالمدينة سنة 20هـ في خلافة عمر.ينظر: معرفة القرّاء الكبار:ج1/ص28-30، والإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى،1992م: ج1/ص27.

(5) هو الصحابي عبد الله بن مسعود بن غافل بن شمخ، أبو عبد الرحمان، الهذلي المكي، من السّابقين الأوّلين، و من مهاجرة الحبشة، شهد بدرا و احتز رأس أبي جهل، أحد الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول– عليه السّلام – و أقرأه، و كان خادمه.قرأ عليه علقمة و مسروق و زرّ ابن حبيش و أبو عبد الرحمان السلمي و غيرهم، و مناقبه كثيرة .مات سنة 32 هـ .ينظر: معرفة القرّاء الكبار: ج1 / ص 32-35.

(6) هو أبو الفتح، عثمان بن جنّيّ الموصلي، كان من حذاق أهل الأدب، ومن الأعلام في النحو و التصريف، درس النحو في بغداد، و له شعر. من كتبه: "شرح ديوان المتنبي"، "الخصائص"، "المنصف"، "سر الصناعة"، "شرح القوافي". توفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة 392هـ، وقيل سنة 393هـ. ينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللّغة: ص 115، و المثل السّائر: ج2/ ص 108.

(7) ينظر: تفسير القرطبي: ج3 / ص 376.
(8) سورة آل عمران /الآية 13.
(9)وذلك عند من يرى التعبير عن جماعة بإحدى الطرق الثّلاثة ثم التعبير عن بعضها بطريق أخرى منها غير الأولى التفاتا.ينظر: روح المعاني: ج3 / ص 97-98.

وقرئ أيضا بالياء و بالتّاء مبنيا للمفعول (يُرَوْنَهُمْ) و (تُرَوْنَهُمْ) (1) و بالأخيرة قرأ ابن عباس و طلحة والسّلمي(2).(3) و على قول البعض بأن ضمير الفاعل في(يَرَوْنَهُمْ) على قراءة الجمهور عائد إلى اليهود، و الخطاب في (لَكُمْ) لهم أيضا، يكون في الكلام التفات إلى الغيبة. (4)

6- قوله – تعالى-:(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾) (5)

قرأ حفص و رويس (6) عن يعقوب(فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء، و زاد رويس ضم الهاء، و فيه التفات من التّكلّم في قوله – تعالى(فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (7) إلى الغيبة. (8)

وقرأ الباقون بالنّون جريا على سنن الكبرياء و العظمة، و لا التفات فيه، بل في قوله– تعالى-:(وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) من التّكلّم إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل تربية للمهابة وإدخالا للرّهبة في قلوب الظالمين.

7- قوله – تعالى-:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾) (9)

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 14.
(2) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمان، السلمي الكوفي، من التابعين، مقرئ الكوفة من مصحف عثمان، ولد في حياة النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب و ابن مسعود و زيد بن ثابت و أبيّ بن كعب – رضي الله عنهم – ضل يقرئ النّاس بالمسجد الأعظم بالكوفة أربعين سنة. توفي سنة 72هـ. ينظر: القراءات القرآنيّة: ص 54، و الاختلاف بين القراءات: ص 433.
(3) ينظر: تفسير القرطبي: ج4 / ص 27.
(4) ينظر: زاد المسير: ج1 / ص 357.و لم يسلم هذا التوجيه للضميرين من الاعتراض لعدم تحقّق الرؤية منهم – أي اليهود – للفئتين، إلا أن توجَّه بالرؤية العلمية، بمعنى أنهم علموا ذلك بعد اشتهار أمر وقعة بدر. تراجع هذه الأقوال و توجيهاتها في: روح المعاني: ج3 / ص97-98، و فتح القدير: ج1 / ص 321– 322، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 13 -174.
(5) سورة آل عمران / الآية 57.
(6) هو محمد بن المتوكل، أبو عبد الله، اللؤلؤي، رويس المقرئ، قرأ عليه يعقوب الحضرمي. توفي بالبصرة سنة 238هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 216،266.
(7) سورة آل عمران / الآية 56.
(8) و أن وجه هذا الالتفات الإيذان بأن توفية الأجر مما لا يقتضي لها نصب نفس لأنها من آثار الرحمة الواسعة، ولا كذلك التّعذيب. ينظر: روح المعاني: ج3 / ص 185
(9) سورة النساء / الآية 152.

قال الألوسي: "وفي الآية التفات من التّكلّم إلى الغيبة. وقرأ نافع وابن كثير (نُؤْتِيهِمْ) بالنّون فلا التفات." (1)

والظاهر أنه نظر إلى الأفعال فقال بالالتفات إلى الغيبة في (يُؤْتِيهِمْ) من التّكلّم في (أَعْتَدْنَا) في قوله– تعالى– (أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً)(2).
وبإمعان النظر يتحقّق الالتفات على قراءة(يُؤْتِيهِمْ) بالياء إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في قوله – سبحانه -:(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) بعد (أَعْتَدْنَا) و كان مقتضى الظاهر الجري على أسلوب التّكلّم بالقول:(آمنوا بنا و رسلنا) لا في (يُؤْتِيهِمْ)، لأن الكلام لم يعدل به عن الغيبة في (آمَنُوا بِاللَّهِ).
وأما على قراءة النّون (نُؤْتِيهِمْ)،فيكون الالتفات من التّكلّم في(أَعْتَدْنَا)إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل، ثم إلى التّكلّم في (نُؤْتِيهِمْ) ثم إلى الغيبة مرة أخرى في (وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً).

8- قوله – تعالى-:(وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾) (3)

اختلف في قوله – تعالى-:(وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ)فقيل هو خطاب للمؤمنين بطريق التلوين، لما كانوا راغبين في نزول الآيات التي طلب المشركون مجيئها حتى يؤمنوا طمعا في إسلامهم. وقيل خطاب للنّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– بطريق التّعميم، لما روي من رغبته – عليه السّلام – في إسلامهم.
وجوّز بعضهم دخوله تحت الأمر (مقول القول) بتقدير: قل للمشركين إنّما الآيات عند الله و للمؤمنين
وما يشعركم..أو هو خطاب للمشركين داخل تحت الأمر وفيه التفات إلى الغيبة في (لاَ يُؤْمِنُونَ).(4)
وقرأ ابن عامر و حمزة(لاَ تُؤْمِنُونَ) بالتّاء، و قوّي به القول بأن الخطاب للمشركين لا للمؤمنين. وقرأ أُبَيّ (لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ) و قوي بها القول بأن الخطاب للمؤمنين. (5)
قال ابن الجوزي: "قال أبو علي: من قرأ بالياء فلأن الذين أقسموا غيب و من قرأ بالتّاء فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب." (6)

---

(1) روح المعاني: ج6 / ص 05.
(2) سورة النساء / الآية 151.
(3) سورة الأنعام / الآية 109.
(4) ينظر: روح المعاني: ج7 / ص 254.
(5) ينظر: تفسير البيضاوي: ج2 / ص 442، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 173. تراجع هذه الأقوال و أخرى في: الكشاف: ج2 / ص 43-44 ، و تفسير البغوي: ج2 / ص 121-122.
(6) زاد المسير: ج3 / ص 105.

9 - قوله – تعالى-:(وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى

وَرَحۡمَةٌۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾) (1)

قوله-تعالى-:(أَوْ تَقُولُوا): عطف على(أَنْ تَقُولُوا)، وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في(فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). و يتحقّق وفق هذه القراءة التفات آخر إلى الخطاب في (جَاءَكُمْ) من قوله- سبحانه-:(قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ) و ثالث بعد هذا الخطاب إلى الغيبة في الاسم الموصول "مَنْ" في قوله- سبحانه-:(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا) إسقاطا لهم عن رتبة الخطاب و تهويلا لأمر التكذيب بآيات الله.(2) فقد خاطبهم – سبحانه- أوّلا بما خاطبهم، ثم لما وصل إلى حكاية أقوالهم الرديئة أعرض عنهم و جرى على الغيبة كأنهم غائبون، ثم لما أراد – سبحانه- توبيخهم بعدُ خاطبهم. فهو التفات في غاية الحسن كما قال الألوسي. (3)

10-قوله – تعالى-:(ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾) (4)

---

(1) سورة الأنعام / الآيات 155-157.

(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 202.

(3) ينظر: روح المعاني: ج7 / ص 254.و ينضاف إلى ذلك التفاتان آخران باعتبار المخاطِب لا المخاطَب، الأوّل: من التّكلّم بنون العظمة في قوله – سبحانه -:(أَنْزَلْنَاهُ)إلى الغيبة في (رَبِّكُمْ)هزّ ا و استمالة لهم إلى اتباع الكتاب المنزّل منه - سبحانه – و هو ربهم أي سيدهم وراعيهم و المدبر لشؤونهم، و هو الأحرص على نفعهم و مصلحتهم و قد جاءتهم منه البيّنة، فأولى لهم الانقياد و اتباع مَن هذا لطفه وفضله. و في إيراد لفظي الهدى و الرّحمة مناسبة لهذا المعنى، مما زاد في حسن هذا الالتفات.الثّاني: من الغيبة في لفظ الجلالة من قوله – سبحانه -: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ) إلى التّكلّم بنون العظمة في (سَنَجْزِي)جريا على سنن الكبرياء و العظمة و تربية للمهابة في القلوب. وفي إيراد لفظ الجلالة هناك مناسبة للآيات، فهي للدّلالة و الهداية إلى وحدانيته – تعالى- و إفراده بالعبادة التي هي مضمون لفظ الجلالة.و أما الانتقال إلى التّكلّم بنون العظمة فلأن المقام مقام عدالة و توفية جزاء و انتصاف من الظالمين فناسب المجيء بما يدلّ على العظمة والرّهبة والقدرة على الانتصاف و تنفيذ الجزاء، بما لا يدع مجالا للشّك في تحقّقه. فهو معنى مختلف عن السّابق، و عن الأوّل الذي جاء فيه لفظ "الرّب" مضافا إلى ضمير المخاطبين، فلينظر إلى تنوّع هذه المعاني و الدّلالات في المواضع الثّلاثة، و المعنيّ واحد هو المتكلّم – سبحانه-، ولينظر إلى بلاغة القرآن و إعجازه، فسبحان من أنزله، ما أعظمه !

(4) سورة الأعراف / الآية 03.

قرأ حمزة والكسائي وحفص(تَتَذَكَّرُونَ) بحذف إحدى التّاءين وتخفيف الذال.وقرأ ابن عامر(يَتَذَكَّرُونَ) بالياء و التّاء و تشديد الذال، على سبيل الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في(وَلا تَتَّبِعُوا) إيذانا باقتضاء حالهم في عدم الامتثال في الأمر و النهي صرف الخطاب عنهم و حكاية جناياتهم لغيرهم؛ و في طريق شاذة عنه أيضا بتاءين (تَتَذَكَّرُونَ). و قرأ الباقون (تَذَكَّرُونَ) بتاء و ذال مشدّدة.(1)

11-قوله – تعالى-:(وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾) (2)

يكون في الكلام على قراءة الياء في(نَجْزِي) التفات إلى الغيبة من التّكلّم في قوله- تعالى:(أَهْلَكْنَا)(3)، هذا بالإضافة إلى التفات قبله في خطاب كفّار مكة في قوله – سبحانه- :(مِن قَبْلِكُمْ) من الغيبة في قوله:(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (4) فائدته المبالغة في زجرهم و تهديدهم. (5)

12- قوله – تعالى-:(وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ **) (6)**

الضمير في(يَشَاءُ) ليوسف- عليه السّلام-. وجُوِّز أن يكون لله- تعالى- فيكون فيه التفات من التّكلّم في(مَكَّنَّا) إلى الغيبة، ويؤيده قراءة ابن كثير والحسن وأبو جعفر(7) وشيبة(8) ونافع بالنّون (نَشَاءُ).(9)

13- قوله – تعالى-:(وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ

---

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 211، و روح المعاني: ج8 / ص 78.
(2) سورة يونس / الآية 13.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج4 / ص 127، و روح المعاني: ج11 / ص 81.
(4) سورة يونس / الآية 11. في هذه الآية التفات من الغيبة في(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ) بإيراد لفظ الجلالة إلى التّكلّم على قراءة (لَقَضَيْنَا)، و قد ذكر هذه القراءة البيضاوي في تفسيره: ج3 / ص 188.
(5) ينظر: فتح القدير: ج2 / ص 429، و روح المعاني: ج11 / ص 81، و تفسير أبي السعود: ج3 / ص 126.
(6) سورة يوسف / الآية 56.
(7) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، من التابعين، أقرأ النّاس بالمسجد النّبوي بالمدينة، اشتهرت قراءته بروايتي ابن وردان و ابن جماز.روى عن أبي هريرة و ابن عمر و غيرهما، وكان ثقة قليل الحديث.توفي سنة 130هـ في خلافة مروان ابن محمد. ينظر: الطبقات الكبرى: القسم المتمّم لتابعي أهل المدينة:ج1 /ص 151-152، والقراءات القرآنيّة: ص 57.
(8) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، المخزومي المدني، تابعي أدرك أصحاب النّبيّ – عليه السّلام ، تولّى القضاء بالمدينة.عرض على عبد الله بن عياش، وعرض عليه نافع و أبو عمرو بن العلاء. توفي سنة 130هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 429.
(9) ينظر: روح المعاني: ج13 / ص 06، و الكشاف: ج2 / ص 329.

لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ **) (1)**

قرأ (تَعْقِلُونَ) بالتّاء نافع وعاصم ويعقوب وآخرون على الخطاب، والباقون بالياء على الخبر.(2) و قد قيل بالالتفات على قراءة التّاء و الضمير فيها للمشركين من الغيبة في قوله- سبحانه:(فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ).(3) وقيل هو على إرادة القول، أي:قل أفلا تعقلون؟(4)

14- قوله- تعالى-:(وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا

تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾) (5)

قرئ (فَلا يَلُومُونِي)بالياء على الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في(إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ)، دلالة على الزِّيادة في إعراضه – أي الشّيطان – و تخلّيه عنهم. (6)

15- قوله – تعالى-:(أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾) (7)

يتحقّق الالتفات إلى الغيبة من الخطاب على قراءة (يُشْرِكُونَ) بالياء و(تَسْتَعْجِلُوهُ) بالتّاء، على أن الخطاب للكفرة لا للمؤمنين أو لجميع النّاس، و لا التفات على غيرها من القراءات.

يقول الألوسي: "والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم و طرحهم عن رتبة الخطاب و حكاية شنائعهم للغير."(8).

وقرأ حمزة والكسائي(تُشْرِكُونَ) بتاء الخطاب على وفق(تَسْتَعْجِلُوهُ) ولا التفات، وسواء كان الخطاب للكفرة أو لهم وللمؤمنين ، على تقدير أن في عموم الخطاب تغليبين، الأوّل: تغليب المؤمنين على غيرهم في نسبة الاستعجال. والثّاني: تغليب غيرهم عليهم في نسبة الشرك. ولا التفات أيضا على قراءة(يَسْتَعْجِلُوهُ) و(يُشْرِكُونَ) بالياء.

---

(1) سورة يوسف / الآية 109.
(2) ينظر: تفسير القرطبي: ج9 / ص 275، و فتح القدير: ج3 / ص 60.
(3) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 312.
(4) ينظر: تفسير البيضاوي: ج3 / ص 312.
(5) سورة إبراهيم / الآية 22.
(6) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص42، و روح المعاني: ج13 / ص 208.
(7) سورة النحل / الآية 01.
(8) روح المعاني: ج14 / ص 192.

وبقراءة الياء (يُشْرِكُونَ) التي فيها الالتفات قرأ باقي السبعة والأعرج و أبو جعفر وأبو رجاء (1)، على أن الخطاب للكفرة؛ أما إذا كان لهم و للمؤمنين فلا يتّحد الضميران حتى يتحقّق الالتفات. (2)

16- قوله – تعالى-:(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾) (3)

على قراءة الياء (يُؤْمِنُونَ) يتحقّق الالتفات من الخطاب في(جَعَلَ لَكُمْ) وما عطف عليه إلى الغيبة للدّلالة على أن حالهم تستوجب الإعراض عنهم إلى غيرهم من السّامعين تعجّبا مما فعلوه. (4)

وأما على قراءة التّاء(تُؤْمِنُونَ) و بها قرأ أبو عبد الرحمان السلمي (5) و رواية عن عاصم (6) فلا التفات، و إنّما في (هُمْ يَكْفُرُونَ) إلى الغيبة للدّلالة السّابقة نفسها.

17- **قوله – تعالى-:**(مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾) (7)

نقل الثعالبي أنه روي عن نافع (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) بالياء التفاتا من ضمير المتكلّم إلى ضمير الغيبة، وقال: "وينبغي أن يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا علىٰ(لَنُحْيِيَنَّهُ) فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية و كلتاهما محذوفة، و ليس من عطف جواب لتغاير الإسناد." (8).

18- **قوله – تعالى-:**(سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾) (9)

---

(1) هو عمران بن تيم و يقال بن ملحان، أبو رجاء العطاردي البصري، التّابعي الكبير،أدرك زمان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم – ولم يره ، أسلم بعد الفتح، و أتى عليه مائة وعشرون عاما، روى عن عائشة و شهد معها وقعة الجمل، كما روى عن ابن عباس و أبي موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب–رضي الله عنهم – و قرأ عليه أبو الأشهل العطاردي وغيره. توفي سنة 105هـ. ينظر: تهذيب الكمال:ج13/ص 410.

(2) تنظر هذه القراءات و توجيهاتها في: روح المعاني: ج14 / ص 192. ويكون في الآية التي بعدها و هي قوله – سبحانه -: (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) على وفق هذه القراءة التفات آخر من الغيبة في (يُشْرِكُونَ) إلى الخطاب في (فَاتَّقُونِ) و ذلك حملا للخطاب الأوّل في (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) على أنه للكفار .

(3) سورة النحل / الآية 72.

(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 128.

(5) ينظر: تفسير القرطبي: ج10 / ص 145.

(6) ينظر: روح المعاني: ج14 / ص 192.

(7) سورة النحل / الآية 97.

(8) تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د/ط.ت): ج2 / ص 322.

(9) سورة الإسراء / الآية 01.

سبق الحديث عن التفاتين في هذه الآية وعن دلالة كل منهما، وذلك على قراءة النّون في(لِنُرِيَهُ) وهي قراءة الجمهور، الأوّل من الغيبة في (الَّذِي أَسْرَى) إلى التّكلّم في (بَارَكْنَا)و الثّاني من التّكلّم إلى الغيبة في (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)على القول بعود الضمير إلى الله لا إلى الرسول–صلّى الله عليه وسلّم-. (1)

وأما على قراءة الياء (لِيُرِيَهُ)و هي قراءة الحسن، فيصبح في الآية أربع التفاتات، الأوّل: من الغيبة في (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى) إلى التّكلّم في(بَارَكْنَا).الثّاني: من التّكلّم بنون العظمة في(بَارَكْنَا) إلى الغيبة في (لِيُرِيَهُ).الثّالث: من الغيبة في (لِيُرِيَهُ)إلى التّكلّم بنون العظمة في(آيَاتِنَا). و الرابع: من التّكلّم في (آيَاتِنَا) إلى الغيبة في (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). (2)

19- **قوله – تعالى-:**(وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾) (3)

قال القرطبي: "وقرأ ابن عباس والحسن ومجاهد(4) وابن محيصن وأبو جعفر ويعقوب (ويُخْرَجُ) بفتح الرّاء، على معنى: و يُخْرَجُ له الطائر(كِتَاباً) ف(كِتَاباً) منصوب على الحال، ويحتمل: ويُخرَج الطائر فيصير كتابا. و قرأ يحي بن وثاب (5) (ويُخْرِجُ)بضم الياء و كسر الرّاء، و روي عن مجاهد، أي: يخرج الله. وقرأ شيبة ومحمد بن السمفيع (6).وقرأ الباقون بضم النون و كسر الراء، أي: ونحن نُخرج.

وقرأ أبو جعفر والحسن وابن عامر(أَلْقَّاهُ) بضم الياء وفتح اللاّم و تشديد القاف، بمعنى: يؤتاه. وقرأ الباقون: بفتح الياء خفيفة، أي: يراه منشورا، تعجيلا للبشرى بالحسنة و التّوبيخ بالسيِّئة."(7)

وعلى قراءة الياء مبنيّاً للفاعل يكون في الكلام التفات إلى الغيبة من التّكلّم بنون العظمة في(أَلْزَمْنَاهُ).

---

(1) يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الثّالث: ص 74، و الفصل الثّاني: المبحث الثّاني: ص 126-127.

(2) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 437، و الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110، و روح المعاني: ج15 / ص 14، تفسير البحر المحيط: ج6 / ص 07. و ذكر الأستاذ الطاهر بن عاشور أن من لطائف الالتفات إلى التّكلّم في(بَارَكْنَا) و (لِنُرِيَهُ) على قراءة النّون التّوطئة والتّمهيد إلى محمل معاد الضمير في قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فيتبادر عود الضمير إلى غير من عاد إليه الضمير الأوّل، لأن الشأن تناسق الضمائر، و لأن العود إلى الالتفات بالقرب ليس من الأحسن. ينظر: تفسير التحرير و التنوير: ج15/ ص 46.

(3) سورة الإسراء / الآية 13.

(4) هو مجاهد بن جبرو يقال بن جبير المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي، التابعي المعروف، إمام في القراءة و في التفسير، من تلامذة ابن عباس، و عنه أخذ ابن كثير و ابن محيصن و غيرهما، توفي سنة 101هـ على الاختلاف في ذلك. ينظر: تهذيب الكمال: ج17/ص71-75.

(5) هو يحي بن وثاب الكوفي، تابعي، من العباد الأعلام. روى عن ابن عمر و ابن عباس – رضي الله عنهم -. توفي سنة 103هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 452.

(6) هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمان بن السميفع، اليماني، له اختيار في القراءة. قرأ على أبي حيوة، و على طاووس بن كيسان عن ابن عباس. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 445.

(7) تفسير القرطبي: ج10 / ص 229.

قال البغوي: "(أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ): قال ابن عباس: عمله و ما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان.

وقال الكلبي(1) و مقاتل (2) :خيره و شرّه معه لا يفارقه حتى يحاسبه به. و قال الحسن: يمنُه و شؤمُه. وعن مجاهد: ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. و قال أهل المعاني: أراد بالطائر: ما قضى الله عليه أنه عامله و صائر إليه من سعادة أو شقاوة، سمي طائر على عادة العرب فيما كانت تتفاءل و تتشاءم به من سوانح الطير و بوارحها.و قال أبو عبيدة و القتيبي:أراد بالطائر حظّه من الخير والشّر من قولهم: طار سهم فلان بكذا و كذا. و خصّ العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق و غيرهما مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللاّزمة إلى الأعناق." (3)

20 – قوله – تعالى-: (مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾) (4)

قرأ نافع (مَا يَشَاءُ) بالياء، و الضمير فيها لله – تعالى-، و قيل بل هو ل (مَن) فيكون مخصوصا بمن أراد الله – تعالى– به ذلك كشمروذ و فرعون و من أخذ بالاستدراج. فيكون

على القول الأوّل التفات من التّكلّم في (عَجَّلْنَا) إلى الغيبة، و استظهر بأنه واقع في جملة واحدة، و القول بالالتفات في الجملة الواحدة مختلف فيه، و أنه و إن لم يكن ممنوعا عند البعض فغير مستحسن. (5)

21- قوله – تعالى-:(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾) (6)

قرئ(يُغَادِرْ)بالياء على أن الضمير لله– تعالى– على طريق الالتفات إلى الغيبة من التّكلّم في(حَشَرْنَاهُمْ) و(نُسَيِّرُ). كما قرئ بالتّاء أيضا(تُغَادِرْ) على أن الضمير للأرض، وهي قراءة قتادة (7)و أبان ـــــــ

(1) هو عيسى بن سعيد بن سعدان، أبو الأصبغ الكلبي الأندلسي القرطبي المقرئ. توفي في جمادى الآخرة سنة 390 هـ كهلا. ينظر: معرفة القراء الكبار: ج1 / ص 383.

(2) هو مقاتل بن سليمان بن بشر، الأزدي الخرساني، أبو الحسن البلخي، صاحب التفسير. روى عن زيد بن أسلم والضحاك ومجاهد وعطاء و ابن سيرين وغيرهم ، و عنه روى اسماعيل بن عياش و ابن عيينة و أبو حيوة و عبد الصمد بن عبد الوارث وغيرهم. مات سنة 150 هـ. ينظر: تهذيب الكمال: ج17 /ص 494-503.

(3) تفسير البغوي: ج3 / ص 108.

(4) سورة الإسراء / الآية 18.

(5) ينظر: روح المعاني: ج15 / ص 46 .

(6) سورة الكهف / الآية 47.

(7) هو قتادة بن دعامة، أبو الخطاب، السدوسي البصري الأعمى، المفسر. أسند إلى جماعة من الصحابة منهم: أنس بن مالك و عبد الله ابن سرجس و حنظلة الكاتب و أبي الطفيل، و روى القراءة عن أبي العالية و أنس. له اختيار في القراءة. توفي سنة 117 هـ. ينظر:الطبقات الكبرى:ج7/ ص229-230، و الاختلاف بين القراءات: ص 441.

ابن يزيد (1)عن عاصم.كما قرئ (يُغَادَرْ) بفتح الدال مبنيا للمفعول و رفع (أَحَدٌ) على النيابة عن الفاعل. و قرأ الضحاك (نُغْدِرْ) بضم النّون و إسكان الغين و كسر الدال. (2)

وأما على قراءة النّون مبنيّا للفاعل(نُغَادِرْ) فيكون الالتفات في(رَبِّكَ) من قوله– تعالى-:(وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا) (3) إلى الغيبة بعد التّكلّم بنون العظمة تربية للمهابة و إشعارا بهول ذلك اليوم، و إظهارا لمزيد التلطّف بالنّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم – بإضافة لفظ الرّبوبية إلى ضميره. (4)

22- قوله – تعالى-:(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾) (5)

الخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلَكين من أصحاب الحجر و ثمود و قريات قوم لوط. (6)

وذكر الزّمخشري أن الفاعل في(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) الجملة بعده، أي(كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) يريد: ألم يهد لهم هذا بمعناه و مضمونه. و جوّز أن يكون الضمير فيه لله أو للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم- ، و دلّ على الأوّل بقراءة النّون(أَفَلَمْ نَهْدِ) (7).

وعلى كون الضمير في(أَفَلَمْ يَهْدِ)على قراءة الياء لله– تعالى-، يكون في (أَهْلَكْنَا)التفات إلى التّكلّم بنون العظمة، و يكون (كَمْ أَهْلَكْنَا) سادّا مسدّ مفعول"يهدي" أو مفسّرا له. و قيل الأوجه ألاّ يلاحظ له مفعول، كأنه قيل: أفلم يفعل الله – تعالى- لهم الهداية، ثم قيل بطريق الالتفات(كَمْ أَهْلَكْنَا) بيانا لتلك الهداية. (8)

23-قوله- تعالى-:(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (9)

---

(1) هو أبو يزيد، أبان بن يزيد، العطاردي البصري. روى عن يحي بن سعيد الأنصاري و هشام بن عروة و قتادة و غيرهم، و روى عنه ابن المبارك و القطان و مسلم بن إبراهيم وغيرهم، وثقه أحمد و ابن معين و النسائي، و روى له الجماعة إلا ابن ماجه. مات في حدود السِّتين من عمره . ينظر: تهذيب الكمال: ج1 / ص 242، و تهذيب التهذيب: ج1 / ص 64.

(2) تنظر هذه القراءات في: روح المعاني: ج15 / ص 289.

(3) سورة الكهف / الآية 48.

(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 228.

(5) سورة طه / الآيتان 128 – 129.

(6) ينظر: تفسير البغوي: ج3 / ص 235.

(7) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 558. و ذكر ذلك البيضاوي أيضا. ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 / ص 76.

(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 49، و روح المعاني: ج16 / ص 279.

(9) سورة الأنبياء / الآية 35.

قرئ (يُرْجَعُونَ) بالياء على الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في(نَبْلُوكُمْ)إعراضا عنهم و إسقاطا لهم عن رتبة الخطاب. و الخطاب إما للكفرة فيكون فيه التفات من الغيبة في قوله- سبحانه-وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) (1)، أو عامّ للناس جميعا جاء بطريق التلوين.

وعلى القراءتين في(تُرْجَعُونَ)وعدٌ ووعيدٌ إن كان الخطاب عامّا،ووعيدٌ فقط إن كان خاصا بالكفرة.(2)

24- قوله – تعالى-:(وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾) (3)

قرأ الحسن و أبو جعفر و ابن عامر و حفص و روح(لتُحْصِنَكُمْ) بالتّاء ردّا على الصفة، و قيل على اللّبوس و المنعة التي هي الدّروع. و قرأ شيبة و أبو بكر المفضل و رويس و ابن أبي إسحاق (لنُحْصِنَكُمْ) بالنّون لقوله – تعالى-:(وَعَلَّمْنَاهُ). و قرأ الباقون بالياء (ليُحْصِنَكُمْ) على أن الضمير عائد على اللّبوس. و جوِّز أن يكون لله – تعالى- و المعنى: ليحصنكم الله فهل أنتم شاكرون ؟ أي على نعمة الدّروع، أو هل أنتم شاكرون باتباع رسولي؟. (4)

وعلى قراءة الياء و الضمير فيها لله- تعالى- يكون في الكلام التفات من التّكلّم في (وَعَلَّمْنَاهُ) إلى الغيبة، و يؤيده قراءة النّون (لنُحْصِنَكُمْ). (5)

25- قوله – تعالى-:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم

مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾) (6)

---

(1) سورة الأنبياء / الآية 34.
(2) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 66، و روح المعاني: ج17 / ص 47.
(3) سورة الأنبياء / الآية 80.
(4) ينظر: تفسير القرطبي: ج11 / ص 320-321، و تفسير البغوي: ج3 /ص 254، و فتح القدير: ج3 / ص 419، و تفسير النسفي: ج3 / ص 88. و أورد الألوسي في تفسيره قولا بعود الضمير على داود – عليه السّلام – أو على التعليم . ينظر: روح المعاني: ج17 / ص 77. و القراءات كلها بإسكان الحاء .
(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 80، و روح المعاني: ج17 / ص 77.
(6) سورة الحج / الآية 05.

قرأ ابن أبي عبلة (1) (لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) بالياء على الالتفات من التّكلّم بنون العظمة إلى الغيبة، و كذلك قرأ في (نُقِرُّ).كما قرئ (نُقِرَّ) و(نُخْرِجَكُمْ) بالنّون و النّصب، وقرئ (يُقِرّ) و(يُخْرِجَكُمْ) بالنّصب والرفع. وعن يعقوب (نَقُرُّ) بالنّون و ضم القاف، من قرَّ الماء إذا صبّه. فالقراءة بالرفع إخبار بأنه(يُقِرُّ)، و أما قراءة الجمهور فهي بنصب (نُقِرَّ) و رفع (نُخْرِجُكُمْ) على الاستئناف. (2)

26- قوله – تعالى-: (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾) (3)

قرأ الجمهور (تَهْجُرُونَ) بفتح التّاء و ضم الجيم. و قرأ نافع و ابن محيصن بضم التّاء و كسر الجيم (تُهْجِرُونَ) من "أهْجَر" أي أفحش في منطقه. وقرأ زيد بن علي وابن محيصن بضم التّاء وفتح الهاء وكسر الجيم مشددة(تُهَجِّرُونَ) مضارع" هجَّر" بالتّشديد. و قرأ ابن أبي عاصم بالياء (يَهْجُرُونَ)(4) على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.(5)

27-قوله– تعالى-:(وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)(6)

قرئ (يَعْقِلُونَ) بالياء، على الالتفات من الخطاب في قوله– سبحانه-:(وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (7) إلى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم. (8)

28-قوله– تعالى-:(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ ـــــ

(1) هو إبراهيم بن أبي عبلة، و اسمه شمر بن يقظان المرتحل، يكنى بأبي إسماعيل و أبي إسحاق و أبي سعيد الشامي، تابعي، ثقة، له اختيار في القراءة، أخذ عن أمّ الدّرداء الصغرى "هجيمة بنت يحي"، و روى عنه مالك بن أنس و ابن المبارك وغيرهما. توفي سنة 151هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 416.

(2) ينظر: الكشاف:ج3 / ص 05، و تفسير أبي السعود:ج6 / ص 94، و روح المعاني:ج17 / ص 117، و فتح القدير:ج3 / ص 436.
(3) سورة المؤمنون / الآيات 64 -67.
(4) ينظر: فتح القدير: ج3 / ص 490.
(5) ينظر: روح المعاني: ج18 / ص 50.
(6) سورة المؤمنون / الآية 80.
(7) سورة المؤمنون / الآية 79.
(8) ينظر: تفسير أبي السعود: ج6 / ص 147.

يَعۡدِلُونَ ﴿٦٦﴾) (1)

قرأ (يُشْرِكُونَ) بالياء أبو عمرو و عاصم و يعقوب و أهل البصرة، و قرأ الباقون بالتّاء (تُشْرِكُونَ) على الخطاب. (2)
وعلى قراءة الياء يكون في(أَنزَلَ لَكُمْ) التفات إلى الخطاب لتشديد التّبكيت و الإلزام ، ثم التفات آخر منه إلى الغيبة في(بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) أي يعدلون بالله غيره أو يعدلون عن الحقّ إلى الباطل، وفي الإضراب مع الالتفات تقريع و توبيخ لهم و بيان لسوء حالهم، بالإضافة إلى الالتفات من الغيبة في (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ) إلى التّكلّم في قوله- سبحانه-: (فأنبتنا) لتأكيد الاختصاص بالقدرة." (3)، ثم من التّكلّم إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل في(أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ). (4)

29- قوله – تعالى-:(وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾) (5)

قال الألوسي:" و قرأ أبو عمرو بياء الغيبة – (يَعْقِلُونَ)- على الالتفات و هو أبلغ في الموعظة لإشعارهم بأنهم لعدم عقلهم لا يصلحون للخطاب، فالالتفات هنا لعدم الالتفات زجرا لهم." (6).

30 – قوله – تعالى-:(أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُمۡ بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾) (7)

اختلف في ضمير الخطاب في الآية الأولى، أهو خاص بكفار مكة؟ فيكون قوله- سبحانه-(أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) إضرابا من التبكيت المذكور في(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) بطريق الالتفات إلى الغيبة للإيذان بإفضاء حالهم إلى الإعراض عنهم و إسقاطهم عن رتبة الخطاب و حكاية قبائحهم لغيرهم، أي: بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن جماعة أمرنا مجتمع لا يرام و لا يضام أو منتصر من ـــــــ
(1) سورة النمل / الآيتان 59-60.
(2) ينظر: تفسير البغوي: ج3 / ص 425 ، و تفسير القرطبي: ج13/ ص 221.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود:ج6 / ص293، و روح المعاني: ج20 / ص04، و فتح القدير:ج4 / ص146، و تفسيرالنسفي: ج3 / ص219.
(4) سبق بيان الالتفاتين الأخيرين. يراجع: الفصل الأوّل: المبحث الأوّل: ص 50-51. فهما إذا التفاتان في التّعبير عن المخبَر عنهم بأنهم يشركون، والتفاتان في التّعبير عن الله – تعالى- . و أما على قراءة التّاء فيكون في الكلام ثلاثة التفاتات: إثنان في التّعبير عن الله، و الآخر في التّعبير عن المخاطبين بالعدول إلى الغيبة في(بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ).
(5) سورة القصص/ الآية 60.
(6) روح المعاني: ج20 / ص 99.

(7) سورة القمر / الآيتان 43 – 44.

الأعداء لا يغلب أو مُتناصَر ينصر بعضنا بعضا ..(1) أم هو عام لجميع العرب المسلمين و غيرهم؟ فلا التفات في العدول إلى الغيبة لعدم عودالضمير في المنتقل إليه في (يَقُولُونَ) و هو للكفار فقط، على المنتقل عنه و هو لمجموع المسلمين والكفار. و ظاهر السياق ينبئ عن أن الخطاب لكفار مكة أو العرب، و لا يشمل المسلمين لأنه لا يمكن أن يكون قوله – تعالى-:(أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ) صادرا عن المسلمين، فهو من الكفار قطعا. و لذلك كان الغالب القول بعود الضمير إلى خصوص الكفار، كفار مكة أو العرب، و ردّ الاحتمال الآخر. هذا على قراءة الياء (يَقُولُونَ)، أما على قراءة التّاء(تَقُولُونَ) و بها قرأ أبو حيوة (2) و موسى الأسواري فلا التفات. (3)

31- قوله – تعالى-:(وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩) (4)

قرأ أبو حيوة (وَلاَ يَكُونُوا) بياء الغيبة على الالتفات من الخطاب في قوله – سبحانه- (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (5).(6)

32- قوله – تعالى-:(فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١) (7)

قرأ ابن محيصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب (يُؤْمِنُونَ) و(يَتَذَكَّرُونَ) بعدها في قوله – سبحانه-: (وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ) (8) بالياء. و قرأ الباقون بالتّاء، لأن الخطاب بعده و قبله، فأما قبله فقوله – سبحانه-: (تُبْصِرُونَ) و أما بعده فقوله: (فَمَا مِنْكُمْ) من قوله – تعالى-: (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) (9). (10)

---

(1) ينظر: روح المعاني: ج27 / ص 92.
(2) هو شريح بن يزيد، أبو حيوة، الحضرمي الحمصي، المقرئ المؤذن، صاحب قراءة شاذة، و له اختيار في القراءة. وثّقه ابن حبان، و روى عنه الكسائي،كما روى عنه أبو داود و النسائي. توفي سنة 203هـ. ينظر: تهذيب الكمال: ج7 / ص407، و الاختلاف بين القراءات: ص 428.
(3) ينظر: تفسير أبي السعود: ج8 / ص 173-174، و فتح القدير: ج5 / ص 128، و روح المعاني: ج27 / ص 92.
(4) سورة الحشر / الآية 19.
(5) سورة الحشر /الآية 18.
(6) ينظر: روح المعاني: ج28 / ص 61.
(7) سورة الحاقة / الآيات 38-41.
(8) سورة الحاقة / الآية 42.
(9) سورة الحاقة / الآية 47.
(10) ينظر: تفسير القرطبي: ج18 / ص 275، و تفسير البغوي: ج4 / ص 390، و تفسير النسفي: ج4 / ص 277.

و في قراءة الياء و التي بها قرأ أيضا الحسن و الجحدريّ(1) التفات من الخطاب إلى الغيبة. (2)

33- قوله – تعالى-:(فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩) (3)

قرأ عمر و ابن عباس- رضي الله عنهم- (لِيَرْكَبَنَّ) بالياء و فتح الباء على الالتفات إلى الغيبة من الخطاب في قوله – تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ (4). و عن ابن عباس أيضا أن الضمير فيه عائد للنّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم-. و قيل بل عائد على القمر لتغيّر أحواله و منازله.

وقرأ عمر أيضا بالياء و ضم الباء (لِيَرْكَبُنَّ) على أن ضمير الجمع للإنسان باعتبار الشمول.كما قرئ أيضا بالتّاء و كسر الباء(لترْكَبِنَّ) على تأنيث الإنسان المخاطب باعتبار النّفس. (5)

---

(1) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج وقيل: ميمون أبو المُجَشِّر، الجحدريّ البصري، من بني قيس بن ثعلبة، أخذ القراءة على سليمان بن قتة عن ابن عباس، و قرأ عليه نصر بن عاصم و الحسن و يحي بن يعمر. توفي سنة 128هـ. ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 430، والطبقات الكبرى:ج7 / ص 235.

(2) ينظر: روح المعاني: ج29 / ص 53.

(3) سورة الانشقاق / الآيات 16-19.

(4) سورة الانشقاق / الآية 06.

(5) تنظر هذه القراءات وتوجيهاتها في: روح المعاني: ج30 / ص 83

ثانيا: التفات على قراءات أخرى

ومن المواطن في القرآن الكريم-أيضا-التي فيها أكثر من قراءة،ويتحقّق الالتفات على إحداها أو بعضها:

1-قوله – تعالى-:(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧) (1)

في قوله- تعالى-:(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) التفات إلى الخطاب من الغيبة في (الْحَمْدُ لِلَّهِ).و مما قيل عن فائدته:

- تصوير الحالة النّفسيّة والشّعورية للعبد،وهو يجد نفسه ينتقل ذاتيا من الحكاية إلى الخطاب،بعد أن وصل إلى مرحلة من التفاعل النّفسي جعلته يستحضر الصّورة كأنها مشهودة أمامه،فخاطب بِ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، بعد حمده للمنعم-سبحانه- وتعداد صفاته وذكره يوم لقائه! (2)

- الدّلالة على الاختصاص و الترقي من البرهان إلى العبادة، فبعد أن يحمد العبد ربّه و يثني عليه، يجد من نفسه التّحرك للإقبال عليه، فإذا انتقل إلى قوله(رَبِّ الْعَالَمِينَ)الدّال على ربوبيته لجميعهم، وجد قوى تحرِّكه فإذا انتقل إلى(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الدّال على أنه منعم بأنواع النِّعم، جليلها و حقيرها، تزايد التحرّك عنده،فإذا وصل إلى(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)وهو خاتمة الصفات الدّالة على أنه مالك الأمر كله يوم الجزاء،وجد من نفسه حاملا يدفعه إلى خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة به في المهمّات. (3)

- لأن الحمد مع الغيبة أتمّ و العبادة لا يستحقّها الحاضر، والإشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرّتبة، فإنك تحمد نظيرك و لا تعبده، إذ الإنسان يحمد من لا يعبده و لا يعبد من لا يحمده، فلمّا كان كذلك استعمل لفظ "الحمد" لتوسّطه مع الغيبة في الخبر، و لفظ "العبادة" مع الخطاب، لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى رتبة و ذلك على طريقة التأدّب.(4)

- لدفع توهّم أن جواب السؤال المقدر:كيف تحمدون ؟ هو في(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بالعبادة في حدّ

ذاتها، و ليس ذاك المقصود، و إنّما الجواب المقصود هو تعيين المعبود. (5)

- للارتقاء من مرتبة الإيمان إلى مرتبة الإحسان بذريعة الحمد.

- لأن الكلام من أول السّورة ثناء،و الثّناء في الغيبة أولى، وبعده دعاء، والدّعاء في الحضور أولى.

-لأنّه ليس في الحمد مزيد كلفة بخلاف العبادة،ومن أدب المحبّ تحمّل عظيم المشاقّ في حضور المحبوب(6).

---

(1) سورة الفاتحة.

(2) ينظر: مفتاح العلوم: ص296.

(3) ينظر:الكشاف:ج1/ص64، ومفتاح العلوم:ص299، والإيضاح في علوم البلاغة:ج2/ص91،والبرهان في علوم القرآن:ج3 /ص224.

(4) ينظر: المثل السّائر: ج3 / ص 173– 174، و الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 110، و البرهان في علوم القرآن:ج3 / ص 324.

(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج1 / ص 12.

(6) تراجع الأقوال الثّلاثة الأخيرة وأخرى في: روح المعاني: ج1 / ص 89-90.

وقد أورد الألوسي في تفسيره نقل السّيوطي الاتّفاق على حصول الالتفات،وانتقده بالقول:"هذا وقد ذكر الإمام السّيوطي نقلا عن الشّيخ بهاء الدين، أنه قال: اتّفقوا على أن فيما نحن فيه التفاتا واحدا. و فيه نظر، لأن الزّمخشري ومن تابعه على أن الالتفات خلاف الظاهر مطلقا،فإن كان التقدير:(قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ) ففي الكلام المأمور به التفاتان: أحدهما في لفظ الجلالة و أصله:(الحمد لك) لأنه– تعالى– حاضر، والثّاني: في (إِيَّاكَ) لمجيئه على خلاف أسلوب ما قبله؛ و إن لم يقدر كان في(الْحَمْدُ لِلَّهِ) التفات من التّكلّم للغيبة، لأنه – تعالى- حمد نفسه، و لا يكون في (إِيَّاكَ) التفات لتقدير(قُولُوا) فيها قطعا. فأحد الأمرين لازم

للزمخشري و السّكاكي، إما أن يكون في الآية التفاتان أو لا يكون التفات أصلا، هذا إن قلنا برأي السّكاكي كما يشعر به كلام الزّمخشري في الكشاف، لأنه جعل في الشّعر الذي ذكره ثلاث التفاتات، وإن قلنا برأي الجمهور و لم نقدر (قُولُوا إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فإن قدر (قُولُوا) قبل(الْحَمْدُ لِلَّهِ) كان فيه التفات وبطل قول الزّمخشري إن في البيت ثلاث التفاتات ..." (1)

فهذا تخريج من الألوسي على رأي الزّمخشري مبنيٌّ على قوله بثلاث التفاتات في أبيات امرئ القيس، الذي فهم منه قوله بالالتفات في مخالفة الظاهر وعدم اشتراط سبق التّعبير،وهو ما قاله السّكاكي بعده(2)، مؤداه إما القول بالتفاتين في (الْحَمْدُ لِلَّهِ) و في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) إذا قدِّر(قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ) فإن لم يقدر كان في (الْحَمْدُ لِلَّهِ) عدول عن الظاهر الذي هو:(الحَمْدُ لِي) أي من التّكلّم إلى الغيبة:(الْحَمْدُ لِلَّهِ)، وتعيّن القول بتقدير (قُولُوا) في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)،وهو ما لم يصرّحا به، إنّما صرّحا بالالتفات في(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) من الغيبة إلى التّكلّم من غير تقدير (قُولُوا). (3) و ماداما قد صرّحا بالتفات واحد من غير تقدير (قُولُوا) تعيّن، على تخريج الألوسي، القول بالتفاتين، بتقدير: (قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ)، بالعدول عن الخطاب في :(الْحَمْدُ لِلَّهِ) بدل (لَكَ) أوّلا،ثم إلى الخطاب في(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وهو ما لم ينقل عنهما صراحة عند حديثهما عن الالتفات في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، فيبقى ذلك مجرّد تخريج فهمه الألوسي(4) من كلامهما في الالتفات، غير مجزوم به لعدم التصريح.

وقال أبو حيان بعد أن بيَّن الحكمة من هذا الالتفات وردَّ قول الزّمخشري بثلاثة التفاتات في أبيات امرئ القيس:" و إضمار (قُولُوا) قبل (الْحَمْدُ لِلَّهِ) و إضمارها أيضا قبل(إِيَّاكَ) لا يكون معه التفات و هو قول مرجوح." (5)

كما اختلف أيضا في القول بالالتفات في قوله– تعالى-:(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)،ذلك أن

---

(1) روح المعاني: ج1 / ص 90.
(2) سبق الحديث عن هذا في شروط الالتفات يراجع : التمهيد: ص 31-32.
(3) ينظر: الكشاف: ج1 /ص 62-64، و مفتاح العلوم: ص 299-301.
(4) كما يمكن أن يفهمه غيره أيضا.
(5) تفسير البحر المحيط: ج1 / ص 141.

فيه عدولا عن الظاهر وهو: (غَيْرِ الَّذِينَ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ) فبني الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله في(أَنْعَمْتَ).

فأما على رأي الجمهور المشترط كون الضمير في المنتقل إليه عائدا إلى المنتقل عنه لا التفات، و أما على القول بالاكتفاء بمخالفة الظاهر كما هو رأي السّكاكي فيمكن حمله على الالتفات، وإليه ذهب ابن الأثير، و قال عن حكمته: " لأن الأوّل– أي الخطاب– موضع التقرّب من الله بذكر النِّعمة، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللّفظ منحرفا عن ذكر الغاضب، فأسند النِّعمة إليه لفظا و زوى عنه قط الغضب تحنّنا و لطفا، فلينظر إلى هذا الموضع و تناسب هذه المعاني الشّريفة التي الأقدام لا تكاد تطؤها والأفهام مع قربها صافحة عنها.

وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب لتعظيم شأن المخاطب،ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة لتلك العلّة بعينها، و هي تعظيم شأن المخاطب أيضا، لأن مخاطبة الرّب – تبارك وتعالى– بإسناد النِّعمة إليه تعظيم لخطابه، وكذلك ترك مخاطبته بإسناد الغضب إليه تعظيم لخطابه." (1).

و قد نقل الزّركشي القول بالالتفات في هذا الموضع عن التّوخي و الخفّاجي و ابن الأثير.(2)

وذكر الألوسي أن ابن كثير والتنوخي جعلا هذا العدول نوعا غريبا من الالتفات(3)،وقال أنه إن كان بمعنى الافتنان فلا غبار عليه، و أما إن كان بالمعنى المتعارف عليه، فعلى رأي السّكاكي الذي يكتفي بمجرد مخالفة مقتضى الظاهر فلا بأس من جعله التفاتا من الخطاب في (أَنْعَمْتَ) إلى الغيبة في (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، و أنه كما يجري في الانتقال من مقدّر إلى محقّق يجري في عكسه، و قال عنه أنه معنى بديع.(4)

وعليه لا التفات على رأي الجمهور لعدم ظهور الضمير في " الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" و احتمال مشاركة غيره له في الغضب عليهم ، فلا يتّحد حينها.

هذا كلّه على قراءة (إِيَّاكَ نَعْبُد) التي قرأ بها الجمهور، و قد قرئ في الشّواذ في (إِيَّاكَ) بسبع قراءات، كلّها على الخطاب، جمعها أحمد البيلي(5) هي:

الأولى: (أَيَّاك) بفتح الهمزة و تشديد الياء و ألف غير ممالة. قرأ بها الفضل الرقّاشي (6) و أبو رزين (7) عن الإمام عليّ – رضي الله عنه -.

---

(1) المثل السّائر: ج2 / ص 174.

(2) ينظر:البرهان في علوم القرآن: ج3 / ص 324 .

(3) و كذلك عدَّه السّيوطي. ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ج2 / ص 111.

(4) ينظر: روح المعاني: ج1 / ص 297.

(5) ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 254-255.

(6)هو أبو عيسى، الفضل بن عيسى بن أبان، الرقّاشي البصري الواعظ.روى عن عمِّه يزيد بن أبان الرقّاشي و عن أنس بن مالك و الحسن البصري وغيرهم، مجروح و متَّهم عند أهل الحديث .ينظر: تهذيب التهذيب: ج14 / ص 269.

(7) هو مسعود بن مالك، أبو رزين الأسدي الكوفي، مولى أبي وائل الأسدي، من كبار التابعين، روى عن أبي هريرة و غيره، و روى عنه =

الثّانية:(أَيَاكَ) بفتح الهمزة و فتح الياء غير مشدّدة. و قرأ بها عمرو بن فايد (1).

الثّالثة:(إِيَاكَ) بكسر الهمزة و فتح الياء مخفّفة. و قرأ بها عمرو بن فايد أيضا.

الرابعة:(إِيّاكَ) بكسر الهمزة و تشديد الياء و إمالة الألف. و قرأ بها عمرو بن داود عن أبي عمرو.

الخامسة:(هَيَّاكَ) بالهاء مفتوحة و تشديد الياء و ألف غير ممالة، معزوّة إلى أبي السّرار الغنوي (2).

السادسة:(هِيَّاكَ)بكسر الهاء و تشديد الياء، معزوّة إلى أبي السّرار الغنوي أيضا.

السابعة:(ويَّاكَ) بإبدال الهمزة المكسورة واوا، من غير عزو.

وأما قراءة (إِيَّاكَ يُعْبَد) بكسر الهمزة و تشديد الياء في"إِيَّاكَ" و بناء الفعل "نعبد" للمفعول و إسناده للغيبة، فقد رآها أبو حيان مشكلة لأن "إياك"ضمير نصب و لا ناصب له، و وجَّهها بأن فيها استعارة والتفاتا، فالاستعارة بإحلال الضمير المنصوب موضع الضمير المرفوع فكأنه قال: (أنت) و الالتفات بالإخبار عنه إخبار الغائب لما كان "إياك" هو الغائب من حيث المعنى فقال (يُعبَد). ثم ذكر أن غرابة هذا الالتفات كونه في جملة واحدة. (3)

كما أورد أحمد البيلي قراءة أخرى هي في الشّواذ،قال أنه قرأ بها جمهور القرأة بياء المتكلّم (إِيَّايَ) وبناء الآخِر على الفتح، و قرئت مبنيّا على السكون منسوبة إلى عبد الرّحمان الأعرج. و ذكر أن الاختلاف بين القراءات المتواترة و القراءات الشّاذة حول (إِيَّاكَ) دائر بين الرّسم و الضّبط بالشّكل و لا أثر له في المعنى إذ المراد بهما الله – عزّ و جلّ – في جميع القراءات، و أنه المخصوص بالعبادة و الاستعانة و الرّهبة.(4)

2- قوله – تعالى-:(وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾) (5)

ذهب أبو حيان إلى أن في قوله – سبحانه– :(أُنزِلَ)، المبنيّ للمفعول التفاتا إلى الغيبة من التّكلّم في(وَمِمَّا رَزَقۡنَاهُمۡ يُنفِقُونَ)، ولو جرى الكلام على الأوّل لجاء (بِمَا أَنزَلۡنَا إِلَيۡكَ وَ مَا أَنزَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ). (6)

= سليمان الأعمش وآخرون .روى له البخاري في "الأدب المفرد" وباقي الجماعة.توفي سنة 85هـ.ينظر: تهذيب الكمال:ج17 / ص 196.

(1) هو أبو علي، الأسواري البصري، روى عنه حسان بن محمد الضرير و بكر بن نصر العطار.ينظر:الاختلاف بين القراءات:ص 349.

(2) لم يكن من القرّاء، إنّما كان من فصحاء العرب الملمّين بالنّظم و النثر، و قد أخذ عنه أبو عبيدة. ينظر: الفهرست: ج1 / ص 67، والاختلاف بين القراءات: ص 425.

(3) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج1 / ص140، 142.

(4) ينظر: الاختلاف بين القراءات: ص 255.

(5) سورة البقرة / الآية 04.

(6) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج1 / ص167، و قد نقل هذا القول الألوسي. ينظر: روح المعاني: ج1 / ص 121.

قال أبو السعود : "و بناء الفعلين للمفعول للإيذان بتعيّن الفاعل و الجري على شأن الكبرياء و قد قرئا على البناء للفاعل " (1)

وفي قراءة البناء للفاعل(أَنْزَلَ) في الموضعين،و بها قرأ النّخعي و أبو حيوة و يزيد بن قطيب التفات من التّكلّم في (رَزَقۡنَاهُمۡ) إلى الغيبة، و هو أوضح و أجمع لشروط الالتفات، بمخالفة الظاهر وسبق التّعبير عن المفهوم نفسه مع اتحاد الضمير بين المنتقل إليه و المنتقل عنه و وقوعه في جملتين. و أما على القراءة الأولى بالبناء للمفعول(أُنزِلَ) فقد اختلف في الضمير، فعلى القول بعوده إلى الله قيل بالالتفات من التّكلّم إلى الغيبة و هو ما ذهب إليه أبو حيان و نقله عنه الألوسي، و أما على القول بعود الضمير إلى الملك جبريل– عليه السّلام– المكلّف بالوحي فلا التفات لعدم اتحاد الضمير بين المنتقل إليه والمنتقل عنه. (2)

3- قوله – تعالى-:(فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾) (3)

قرأ الجمهور(وَضَعَتْ) بإسكان التّاء والضمير عائد إلى أمّ مريم،على أن جملة(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) من كلام الله – تعالى– و لا التفات على هذه القراءة. و أما على قراءة (وَضَعْتُ) بضم التّاء و إسكان العين على صيغة التّكلّم، و هي قراءة أبي بكر و ابن عامر و يعقوب، فيكون الكلام متّصلا و فيه التفات من الخطاب في ندائها(قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) و مقتضى الظاهر أن تقول(أَنتَ أَعْلَمُ بِمَاوَضَعْتُ) و ليس ذلك على معنى الإخبار منها عن الله – تعالى– بل فيه معنى التّسليم لله – عزّ و جلّ– و الخضوع والتّنزيه له، فهو إظهار لغاية الإجلال، و اعتذار منها إلى الله – تعالى- حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السّدانة، أو تسلية لنفسها على معنى: لعلّ لله – تعالى –فيه سرّا و حكمة، و لعلّ هذه

الأنثى خير من الذّكر .. و وجه الالتفات حينئذ ظاهر. و روي عن ابن عباس: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَاوضَعْتِ) بكسر التّاء على الخطاب، أي قيل لها هذا. (4)

4- قوله – تعالى-:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ

---

(1) تفسير أبي السعود: ج1 / ص 33.
(2) تنظر هذه القراءة و توجيهاتها في: روح المعاني: ج1 / ص 121، و تفسير البحر المحيط: ج1 / ص167، و الكشاف: ج1 / ص 137.
(3) سورة آل عمران / الآية 36.
(4) ينظر: تفسير القرطبي: ج4 / ص 67، و تفسير البغوي: ج1 / ص 295، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 28 ، و زاد المسير: ج1 / ص 377 .

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾) (1)

قال القرطبي: " قرأ جعفر الصّادق(2)و جابر بن زيد (3) (عَزَمْتُ) بضم التّاء فنسب العزم إلى نفسه – سبحانه– إذ هو بهدايته و توفيقه كما قال (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) (4) و معنى الكلام: أي عزمتُ للكَو وفّ قتُكَ و أرشدتكَ فتوكّلْ على الله، والباقون بفتح التّاء." (5).

وعلى هذه القراءة قيل بالالتفات في قوله – سبحانه-:(فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) من التّكلّم في (عَزَمْتُ) إلى الغيبة بإظهار الاسم الجليل. (6)

وقد تكون دلالة هذا الالتفات، عند من قال به و لم يشترط وقوعه في جملتين، بيان أن من له أهلية التوكّل عليه هو "الله" الخالق الرّازق المدبِّر المعين المتصرِّف في شؤون الكون، ولذلك جيء بالاسم الجليل الجامع لجميع معاني الألوهية. و أما مع اشتراط كون الكلام في جملتين فلا التفات.

5- قوله – تعالى-:(فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾) (7)

قوله-تعالى-:(أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ)، أي: بأني لا أضيع عمل عامل منكم. وكذلك قرأأُبَيّ بن كعب،والباء للسّببية،أي سبب الاستجابة أنه– تعالى– لا يضيع عمل عامل،فهي سنّة مستمرّة.وفي ذلك التفات من الغيبة في (رَبُّهُمْ) إلى التّكلّم، و آخر من الغيبة في (رَبُّهُمْ) إلى الخطاب في (مِنكُمْ) إظهارا لكمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الدّاعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها ببيان سببها والإشعار ــــــــ

(1) سورة آل عمران / الآية 159.

(2) هو جعفر بن محمد الباقر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القرشي الهاشمي،أبو عبد الله المدني الصادق. ولد على ما قيل سنة 80 هـ ، من الذين عاصروا صغار التابعين، روى له البخاري في الأدب المفرد، و مسلم و أصحاب السنن الأربعة .قال عنه إبن حجر: إمام صدوق فقيه. و قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أفقه منه .توفي سنة 148هـ . ينظر: تهذيب الكمال: ج3 / ص 137، و تهذيب التهذيب: ج1 / ص 404 ، وكشف الظنون: ج1 / ص 699 .

(3) هو أبو الشّعثاء، جابر بن زيد، الأزدي اليحمدي الجوفي البصري، تابعي.روى عن ابن عمر و ابن عباس و ابن الزبير و معاوية بن أبي سفيان. توفي سنة 93هـ و قيل سنة 103 هـ. ينظر: تهذيب التهذيب: ج1 / ص 362، و تهذيب الكمال: ج21 / ص 182.

(4) سورة الأنفال / الآية 17.

(5) تفسير القرطبي: ج4 / ص 252. و نقل توجيه هذه القراءة نفسه الإمام الشوكاني في: فتح القدير: ج1 / ص 394.

(6) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج3 / ص105، و البرهان في علوم القرآن: ج1 / ص 341 عند الحديث عن توجيه القراءة الشاذة.

(7) سورة آل عمران / الآية 195.

بأن مدارها أعمالهم التي قدّموها مع الدّعاء لا مجرّد الدّعاء . (1)

وقرأ عيسى بن عمر(إنِّي) بكسر الهمزة على إرادة القول، أي: قائلا إني لا أضيع عمل عامل منكم. فلا التفات حينئذ. (2)

6- قوله – تعالى-:(فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩) (3)

قرأ الجحدريّ(ألاَ قُولُوا) على الالتفات إلى خطاب بني إسرائيل بعد الإخبار عنهم غيبة.(4)

وعلى قراءة الباقين(أَن لاَّ يَقُولُوا) يكون في(أَفَلا تَعْقِلُونَ) التفات إلى الخطاب بعد الغيبة، لتشديد التّوبيخ عليهم. و قرئ أيضا بالياء(أَفَلا يَعْقِلُونَ) (5). و يتحقّق الالتفات إذا حمل الخطاب على أنه لأولئك المخبر عنهم ، أما إن كان للكفار المعاصرين للرسول–صلّى الله عليه وسلّم – المسوق إليهم أخبار أولئك فلا التفات.

وقرئ أيضا (ألاَّ تَقُولُوا) بتاء الخطاب(6)، فيكون فيه التفات بعد الغيبة.

7- قوله – تعالى-:(وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩) (7)

قرأ زيد بن عليّ (وَوَضَعَ) بالبناء للفاعل والإسناد إلى ضميره – تعالى–،على طريق الالتفات إلى الغيبة من التّكلّم في قوله – سبحانه -:(بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً) (8) و نصب الكتاب على المفعولية، ــــــ

(1) ينظر: تفسير أبي السعود: ج2 / ص 133، و روح المعاني: ج4 / ص 168، و زاد المسير: ج1 / ص 413.

(2) ينظر: الكشاف: ج1 / ص 134، و زاد المسير: ج1 / ص 413، و تفسير أبي السعود: ج2 / ص 134.

(3) سورة الأعراف / الآية 169.

(4) ينظر: روح المعاني: ج9 / ص 97.

(5) ينظر: تفسير أبي السعود: ج3 / ص 288.
(6) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 128.
(7) سورة الكهف / الآية 49.
(8) سورة الكهف / الآية 48.

أي: و وضَع اللهُ الكتابَ. (1)

8- قوله – تعالى-:(قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾) (2)

في قوله – سبحانه– (قَالَ رَبُّكَ) التفات إلى الغيبة من التّكلّم إذ مقتضى الظاهر: (قَالَ كَذَلِكَ قُلْتُ) لقوله – سبحانه-يَا:(زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) (3) و الالتفات جريا على سنن الكبرياء تربية للمهابة و إدخالا للرّوعة، كقول الخلفاء: أمير المؤمنين يرسم لك. مكان: أنا أرسم لك. ثم التفات في (وَقَدْ خَلَقْتُكَ) إلى التّكلّم، إيذانا بأن مدار كونه هيِّنا عليه –سبحانه- هو القدرة الذّاتية لا ربوبيته – تعالى – له عليه السّلام. (4)

وقرأ الأعمش و طلحة و ابن وثاب و حمزة و الكسائي (خَلَقْنَاكَ) بنون العظمة (5). و فيه التفات إلى التّكلّم أيضا.

وقرأ الحسن (قَالَ رَبُّكَ وَهُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ).(6)

9- قوله– تعالى-:(وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾) (7)

قرأ ابن عباس(وَإِن مِّنْهُمْ) على أن الضمير للكفار، فتحمل قراءة (مِنكُمْ) على الالتفات إلى الخطاب بعد الغيبة في(ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا) (8) و يكون الورود بمعنى الدخول. (9)

ويتحقّق الالتفات إلى الخطاب أيضا إذا أريد ب(مِنكُمْ) الإنسان بعد الغيبة في(أولا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (10)، و يكون معنى الورود حينها الوصول إليها و الحضور دونها فيمرّ بها ـــــــ

(1) ينظر: روح المعاني: ج15 / 291.
(2) سورة مريم / الآية 09.
(3) سورة مريم / الآية 07.
(4) ينظر: تفسير أبي السعود: ج5 / ص 254.
(5) ينظر: روح المعاني: ج16 / ص 70، و الكشاف: ج2 / ص 504.
(6) تراجع الأقوال في توجيه هذه القراءة و قراءة الجمهور، و مرجع الضمير في (رَبُّكَ)، أهو للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم – أم لزكريا - عليه السّلام – ؟ في: الكشاف: ج2 / ص 504، و تفسير أبي السعود: ج5 / ص 257، و روح المعاني: ج16 / ص 67– 70.
(7) سورة مريم / الآية 71.
(8) سورة مريم / الآية 70.
(9) ينظر: تفسير النسفي: ج3 / ص 44.
(10) سورة مريم / الآية 67.

المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم من الكفار. (1)

قال أبو السعود:"التفات لإظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام، وقيل هو خطاب للناس من غير التفات
إلى المذكور ، و يؤيد الأوّل أنه قرئ (وَإِن مِّنْهُمْ)."(2).

10- قوله – تعالى-:(طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾) (3)

قرأ الجمهور(أَنزَلْنَا). و قرئ(مَا نُزِّلَ) بضم النّون وكسر الزّاي مشدّة مبنيّا للمفعول.(4) و عزاها أبو حيان إلى طلحة.(5)
وعلى قراءة (أَنزَلْنَا) يكون في قوله – سبحانه- (مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) التفات إلى الغيبة بعد التّكلّم بنون العظمة في(مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، يقول عن دلالته أبو السعود:" و نسبة التّنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته – تعالى- بحسب الأفعال و الصفات، إثر بيانها بحسب الذّات بطريق الإبهام، ثم التفسير لزيادة تحقيق و تقرير و تخصيص خلقهما بالذّكر، مع أن المراد خلقهما بجميع ما يتعلّق بهما، كما يفصح عنه قوله- تعالى-(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى)." (6).
وقال الزّمخشري:" فإن قلت: ما فائدة النّقلة من لفظ المتكلّم إلى لفظ الغائب ؟ قلت : غير واحدة، منها عادة الافتنان في الكلام و ما يعطيه من الحسن و الرّوعة، و منها أن هذه الصفات إنّما تسرّدت مع لفظ الغيبة، و منها أنه قال أوّلا (أَنزَلْنَا) ففخّم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنّى بالنّسبة إلى المختصّ بصفات العظمة و التّمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين. و يجوز أن يكون (أَنزَلْنَا) حكاية لكلام جبريل و الملائكة النازلين معه."(7).

11- قوله – تعالى-:(أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ

ج

---

(1) ينظر: تفسير البيضاوي: ج4 / ص 29.
(2) تفسير أبي السعود: ج5 / ص 276.
(3) سورة طه / الآيات 01-04.
(4) ينظر: الكشاف: ج2 / ص 528.
(5) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج6 / ص212.
(6) تفسير أبي السعود: ج6 / ص 04.
(7) الكشاف: ج2 / ص 529. و قد نقل المعنى نفسه أبو حيان و ردّ تجويز الزّمخشري بكون(أَنزَلْنَا) حكاية عن كلام جبريل – عليه السّلام -و الملائكة النّازلين معه و استبعده. ينظر: تفسير البحر المحيط : ج6 / ص212.

كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾) (1)

قرأ الجمهور (مِنْهُمْ) إخبارا عن الكفار المعاصرين للرّسول –صلّى الله عليه وسلّم-. و قرأ ابن عامر

(مِنكُمْ) على الالتفات إلى خطابهم بعد الغيبة زيادة في تقريعهم و توبيخهم.(2)

12- قوله – تعالى-:(وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦) (3)

قوله-تعالى-(فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ):نقّبوا أي طافوا وساروا ودخلوا في أصقاع البلاد. وقيل الضمير في "نَقَّبُوا" عائد على القرن أي الأقوام السّابقون الذين كانوا أشدّ قوّة وبطشا من قومه– عليه السّلام -. وقراءة "نَقَّبُوا" بفتح القاف و تشديدها هي قراءة الجمهور و لا التفات فيها.

وقرأ أُبَيّ بن كعب و ابن عباس و الحسن و يحي و أبو العالية و نصر بن يسار و أبو حيوة والأصمعي عن أبي عمرو بتشديد القاف وكسرها(فَنَقِّبُوا) على صيغة الأمر لكفار مكة، و فيه التفات من الغيبة في (مِنْهُمْ) تهديدا لهم.

و قرأ ابن عباس أيضا و عمر بن الخطاب و عمر بن عبد العزيز(4) و قتادة و ابن أبي عبلة و عبيد عن أبي عمرو بفتح القاف مخففة(فَنَقَبُوا) و المعنى كما في المشدّدة. كما قرئ بكسر القاف مخفّفة(فَنَقِبُوا) من (النَّقب) و هو أن ينتقب خفُّ البعير و يرقّ من كثرة السّير.(5)

---

(1) سورة غافر / الآية 21.

(2) ينظر: تفسير البغوي: ج4 / ص 95، و فتح القدير: ج4 / ص 488، و تفسير الجلالين: ج1 / ص 620، و روح المعاني: ج24 /

ص 61، و زاد المسير: ج7 / ص 215.

(3) سورة ق / الآية 36.

(4) هو أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي، التابعي، أمير المؤمنين، الإمام العادل و الخليفة الصالح، أمُّه أم عاصم حفصة و قيل ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ولي الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك بن مروان تسعة و عشرين شهرا، و عُدّ من الخلفاء الراشدين .ولد سنة 63هـ ، و توفي سنة 101 هـ. ينظر: تهذيب الكمال: ج13 / ص 163، و تهذيب التهذيب: ج4 / ص 363.

(5) تنظر هذه القراءات و توجيهاتها في: تفسير القرطبي: ج17 /ص 22، و تفسير أبي السعود: ج8 / ص 133، و فتح القدير: ج5 / ص 79، و زاد المسير: ج8 / ص 21، و روح المعاني: ج26 / ص 191.

الخاتمة

الخاتمـة:

بعد استعراض موضوع الالتفات و أهمّ الجوانب المتعلّقة به، يسجِّل الباحث في خاتمة بحثه خلاصة جهده والنّتائج التي توصّل إليها، مرتِّبا إياها بحسب الفصول و المباحث، ومرجئا ما كان عامّا منها غير مختصٍّ بفصل أو مبحث إلى ختامها.و أهمّها:

1- إنّ أسلوب الالتفات أسلوب عريق في كلام العرب، لم يعرف باسمه المصطلح عليه قبل أن يسمّيه الأصمعي، بداية القرن الثّالث الهجري.

2- مرّت الدّراسة البلاغيّة والنّقديّة لهذا الأسلوب بعد الأصمعيّ بمراحل عدّة، لكلٍّ منها سماتها وخصائصها، ولم تخلُ مرحلة منها من إضافات وتجديد أثرى تلك الدّراسة.

3- بعد إمعان النّظر فيما كُتِب في مفهوم الالتفات عبر تلك المراحل كلِّ ها، توصّل الباحث إلى إمكان تلخيص ما عرِّف به من تعاريف في أربعة، اختار منها واحدا اعتمده في بحثه، هو تعريف الجمهور.

4-إن المتتبّع لكتب البلاغة في موضوع الالتفات يلحظ قلّة الشّاهد القرآنيّ فيما كُتب، و أن ما سجّله البلاغيّون من شواهد–مع قلّتها- قد تكرّر عند غالبيتهم،يلحظه القارئ فضلا

عن الباحث أو المتخصِّص؛ الأمر الذي زاد من القناعة بعدم توفية هذا الأسلوب حقّه من الدّراسة والبحث في القرآن الكريم.

5- لم يتعرّض البلاغيّون للمعنى اللّغوي للالتفات وارتباطه بالمعنى الاصطلاحيّ، وقد اكتفى من ذكره منهم- وهم قليل- بذكر معنى واحد من معانيه الكثيرة. وإن تسمية الأصمعي لهذا الأسلوب، وهو الأديب واللّغوي والشّاعر، في عصر من عصور قوّة اللّغة العربيّة، لم تكن عفوية!وقد تبيّن بالفعل أنه أحسن اختيار التّسمية، وأنّه عنى ما يقول حين سأل عن التفاتات جرير؛ وعليه فلا ينبغي تجاوز هذه المحطّة المهمّة في دراسة هذا الأسلوب.

6- تبيّن بعد جمع شروط الالتفات ومحاولة شرحها والتّحقيق فيها، أن شرطا واحدا من ثلاثة اتُّفق عليه، واختلف في الآخرَين. وإنّ أبرز ما اختلِف فيه هو اشتراط عود الضمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه،كي يتّحد المعبَّر عنه في التّعبيرين، والذي خالف السّكاكي فيه الجمهور. وقد قال البعض بموافقة الزّمخشري السّكاكيفي ذلك،وتبيّن بعد النّظر أنّه قول غير مقطوع به، لعدم التّصريح منه واحتمال مخالفته له.

7-إن أوّل من تحدّث عن الفائدة من الالتفات الزّمخشري في تفسيره"الكشاف"،والنّاس من بعده في ذلك عليه عالة.وأعظم فائدة يخدمها هذا الأسلوب-كغيره من الأساليب في القرآن- هي بيان الإعجاز القرآنيّ.

8- كلّ التفات جمع الشروطالثّلاثة كان متّفقا عليه، وباعتبار هذا الضّابط، وبالنّظر في ستّة وسبعين موضعا-أي نصاّ قرآنيا مدروسا كُتِب بالرّسم العثماني-من ستٍّ وثلاثين سورة،تمّ الوقوف على خمس عشرة دلالة،جُعِل ما يشترك منها في موضوع واحد في مجموعة واحدة،بعنوان عام واحد،وأما ما استقلّ من دلالات فلم ترتبط بغيرها بوحدة موضوعية،فقد صُنِّفت أيضا في مجموعة وبُيِّن اختلاف بعضها عن بعض.

ويُلمَس أنه وإن اجتمعت بعض الدّلالات في الوحدة الموضوعية إلا أن الإعجاز القرآني يجعل كلّ موضع من تلك المواضع متميّزا بلطائف و أسرار تخصّه!

9- إن ما اختلف في القول بالالتفات فيه في القرآن الكريم أكثر مما اتّفق عليه، فقد جُمِع، من ستٍّ وأربعين سورة، تسعون موضعا اختلف فيه، ورُكِّز على بيان أسباب الاختلاف، فكان أبرزها الاختلاف في شرط اتحاد المعبّر عنه في الكلام وعود الضمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه.

10-يُلحَظ أن كثيرا ممّا اشتهر الاستشهاد به للالتفات في القرآن،في كتب البلاغة أو الدّراسات القرآنية، هو مما اختلف فيه،كقوله-تعالى-:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ)(1)،وقوله:(وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)(2)،وقوله:(وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)(3)،وقوله:(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً) (4).

11- في القرآن الكريم مواضع فيها أكثر من وجه للقراءة، يتحقّق الالتفات فيها وفق أحدها أو بعضها، وقد يكون متّفقا عليه إذا اجتمعت فيه شروطه، أو مختلفا فيه، و قدكان مجموع ما أحصي من المواضع مائة و ثمانية، من اثنتين وأربعين سورة.

12- من خلال بحث أسلوب الالتفات في القرآن الكريم، تمّ جمع مائتين وأربعة وسبعين موضعا قيل فيه بالالتفات، من مجموع أربع وسبعين سورة،- اكتفاء بها في خدمة أهداف البحث لا حصرا لها- ممّا يدلّ على أنّه ظاهرة متكرّرة، له أهمّيته ومكانته في الخطاب القرآنيّ وفياللّغة العربيّة التي بها أنزل.

13- يلمَس المتتبّع لهذا الأسلوب في القرآن قوّته في الدّلالة على المعاني وإيصالها والتّعبير عنها! يؤكّد ذلك انتشار وجوده في معظم سور القرآن باختلاف طبائعها، وتنوّع المواضيع التي يخدمها: العقيدة، الأحكام، الآداب والأخلاق. وتعدّد وتنوّع من يخاطَب به: فتارة يكون في شأن الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- أو الأنبياء أو المؤمنين، وأخرى في شأن الشّيطان أو شأن الكفرة من أهل الكتاب والمشركين أو المنافقين.. وتنوّع ظروف ومجالات السّياقات التي يرد فيها، من سلم أو حرب، أسرة أو مجتمع، سياسة وحكم.. وفي مختلف الأحوال: في حال الرّضا كما في حال السّخط أو الغضب، عند الانتصار كما في الانكسار،..

هذا الشمول والتنوّع يوحي بتأصّل هذا الأسلوب في القرآن، ومن ثمّ في كلام العرب وهم المخاطبون به أوّل مرة، كما يوحي في الوقت ذاته بقوّته في بلوغ النّفس والنّفاذ إلى أعماقها، وفي إقناع العقول ومحاججتها، و مقارعة الخصوم وإفحامها.. فهو أسلوب من الأساليب التّربوية والدّعوية في القرآن، وسيف حادّ من الأسياف المشهرة في وجه الخصوم.. إنّه أسلوب تعبيريّ ذو حدّين!

---

(1) سورة يونس/ الآية 22.
(2) سورة يس / الآية 22.
(3) سورة النحل / الآية 51.
(4) سورة مريم / الآيتان 88-89.

14- يُلمَس بالتتبّع أيضا، أنه لا يمكن أبدا دراسة أسلوب الالتفات في القرآن بعيدا عن نظم السّياق الذي ورد فيه، و الغرض الذي جاء يخدمه، وطبيعة السّورة و أهدافها.

15- يبدو جليّا لباحث موضوع الالتفات في القرآن الكريم، أن أكثر أنواعه أو صوره ورودا هي الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس، ثم الانتقال من التّكلّم إلى الغيبة أو العكس.

أما الالتفات من الخطاب إلى التّكلّم أو العكس، فإنه لم يُظفَر في ذلك بمثال واحد سالم من الاعتراض، وممّا مثّل به البعض: قوله- تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (1)، و قوله: (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (2)، وقوله: (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) (3) وقوله: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (4)، وقوله: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ) (5)، وقوله: (وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) (6)، و قوله: (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (7).

16- قد يحمل الشّاهد الواحد أكثر من التفات، كما في آيات سور المائدة و الإسراء و النّمل مثلا (8).

17- إنّ ما تحمله كتب التّفسير، والمهتمّ منها بالجانب البياني والبلاغي خاصّة، بشأن هذا الأسلوب-وغيره من الأساليب- أكثر وأثرى مما تحمله كتب البلاغة! ولكن لابد من جهد وصبر في تتبّعه.

18- يدرك باحث الالتفات في القرآن مدى الترابط بين علوم اللّغة العربيّة،وحاجة كل من يريد الخوض في مثل هذه الدّراسات في القرآن إلى التزوّد من تلك العلوم، والتمكّن من الأدوات المعينة على الفهم.

19- إن من أسباب الجهل بكتاب الله وعدم الشّعور بعظمته الجهل باللّسان العربي! وإن طاقة عظيمة فكريّة و روحيّةيجدها المؤمن كلّما وقف عند تلك اللّمسات البيانية و الأسرار البلاغيّة في القرآن، فيزداد _____

(1) سورة طه / الآيتان 72-73.

(2) سورة الأنعام / الآيتان 71-72.

(3) سورة يونس / الآية 21.

(4) سورة هود / الآية 90.و مثلها قوله-تعالى-:(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) سورة هود / الآية 60.

(5) سورة الأعراف / الآية 137.

(6) سورة الأعراف / الآية 93.

(7) سورة يس / الآية 22.

(8) و هي: رقم:12، و رقم:01، و رقم:59-60 على التّرتيب، ففي كل منها أربع التفاتات، بغض النّظر عن طبيعتها. تراجع في: الفصل الثّاني: المبحث الثّاني: ص 111-112، و الفصل الثّالث: المبحث الثّاني: ص 195-196، و ص 200-201، على الترتيب.و في آيات سورة الأنعام: 155-157 خمس التفاتات على إحدى القراءات.يراجع :الفصل الثالث: المبحث الثاني:ص 192.

إيمانه، فيدرك حينها كيف كان القرآن يسحر عقول العرب،بل عقول المشركين و هم في أشد غيظهم عليه و أوجّ حربهم له، فيشهدون بسلطانه عليهم و تمكّنه من القلوب، وعجزهم و ذهولهم أمام بيانه و تعبيره..

وعليه فإن العودة إلى اللّغة العربيّة وتعلّمها وتعليمها أمر محتّم وواجب لفهم الدِّين والتّعامل مع القرآن بما هو أهل له، ثمّ لأنها ثابت وقيمة من أهم ثوابت وقيم الأمة العربية والإسلامية، وموروث حضاري عن الآباء والأجداد ينبغي الاعتناء به وتعهده بالرعاية وعدم إهماله.

20- يلمس الدّارس لهذا الموضوع في القرآن ثراء علم القراءات، ليس فقط في باب الدّلالات على المعاني، بل وفي جوانب أخرى نحوية ولغوية، بما يُعَدّ بحق ثروة ينبغي الإفادة منها في إغناء المكتبة الأدبية والقرآنيّة، و تنمية الملكات و القدرات و اكتساب المهارات..

21- لم يكتب الأعلام المبرّزون في علوم العربيّة عموما وفي البلاغة خصوصا،من أمثال الزّمخشري والرّازي والسّكاكي،كثيرا عن الالتفات في جانبه التّنظيري، في حين تزخر تفاسير بعضهم بثروة عظيمة في الجانب التّطبيقي، مما ينبئ عن رسوخ في الفهم لهذا الأسلوب،لكن التّقصير في استقصاء ماكتبوا، و ربما عدم بحث الالتفات من خلال التّفاسير، جعل البعض يظنّ غيرهم مبرّزا وعلما في بحث الالتفات، فبخسهم حقّهم و لم يقدرهم قدرهم! وقد يكون السّبب أيضا اختلال المقاييس، فيُرى أن معيار الحكم على الأعلام بالبروز والنّبوغ هو حجم ما كتبوا، بينما الحكم الصّحيح إنّما هو بحقيقة المكتوب وجوهره لا بكمِّه ومظهره.. ولذلك فإن الزّمخشري والرّازي مثلا، وإن أوجزا بحثهما للالتفات، فإن تفسيريهما شاهدان على أنهما ممّن فقه هذا الأسلوب خير الفقه، و يستحقّان أن تسلّط عليهما الأضواء أكثر بهذا الخصوص.

و بعد عرض أهم نتائج البحث، يمكن تسجيل التّوصيات والمقترحات الآتية:

1- الدّعوة إلى الاهتمام الجادّ بالتّدقيق في ضبط مفهوم الالتفات،حتى يُحَدّ من الخلط والاشتباه الذي يشوبه وينتشر في كتب البلاغة والدِّراسات القرآنيّة،ترتّب عليه اختلاف كبير في الحكم بتحقّقه في مواضع كثيرة من القرآن،حتّى إنّ البعض ليقول عند اشتداد الاشتباه عليه: هذا التفات معنى، أو هذا التفات غريب، أو هو نوع التفات، أو قريب من الالتفات،..وينظر في مثل هذه الأقوال والأساليب التي قيلت فيها، وغيرها ممّا اشتبه بالالتفات، فتضبط أيضا، أو يصطلح لها على مصطلحات جديدة؛ فما من فنٍّ إلا وسبق وجودُه التّنظير والتّقعيد له، ولا يزال أهل كل اختصاص يجدّدون ويخدمون اختصاصاتهم بما يزيد في رسوخها وإدراكها والحفاظ عليها.

وما أُثبِتفي التّمهيد في محاولة ترجيحيّة بخصوص مفهوم الالتفات، إنّما هو خطوة في الطّريق، أريد بها التّنبيه إلى الحاجة الماسّة إلى جهد المتخصّصين للنّظر في هذا الانشغال، ويُقترَح بهذا الشأن أن تقوم لجان متخصّصة بضبط هذا المفهوم وتحديد شروطه، ليُعتَمد بعد ذلك، وبدعم من الجهات الرّسمية، في المؤسّسات التّعليميّة والتّربويّة بمختلف أطوارها، ليعود إليه استقراره تدريجيّا؛ وفي هذا البحث رصيد كافٍ من الشّواهد والأمثلة القرآنيّة التي تعين على ذلك المجهود وتدعّمه..

2- لا بدّ من وقفة تمحيصيّة لما استُشهد به من الشّواهد القرآنيّة للالتفات في كتب البلاغة وعلوم القرآن، إذ كثير منها مختلف فيه، وبعضها لا التفات فيه أصلا، أو ربّما هو على قراءة وليس على أخرى، وقد أشير إلى بعض منها في هذه الخاتمة، وغيرها مسجّل في ثنايا البحث.

ويُقترَح بهذا الخصوص انتقاء الشّواهد واعتماد ما اتّفق على القول بالالتفات فيه،ولابأس بذكر غيره مع بيان طبيعته؛ويناشَد بهذا الأمر المتخصّصون والأساتذة والمدرّسون في مختلف المؤسّسات التّربويّة والتّعليميّة.

3- الدّعوة إلى تفعيل توظيف هذا الأسلوب في خدمة الأغراض والمعاني المختلفة من الكلام، واستخدامه وإبرازه في الإنتاج الفكري والأدبي باختلاف فنونه، شعرا ونثرا، قصّة ورواية، كتابة وخطابة.. عسى أن يكون ذلك خدمة لموروث الأمّة الحضاري.

4- الدّعوة إلى الاهتمام أكثر بالدِّراسات القرآنيّة عموما، وبدراسة الأساليب البلاغيّة في القرآن خصوصا، إذ لا يعدُّ ذلك خدمة للقرآن وحسب، بل وللّغة والآداب وعلوم الشريعة؛ ويؤمل من أساتذة وطلبة الكليّات المعنيّة بهذه التخصّصات ومن القائمين عليها أن يرفعوا هذا التّحدي، من خلال المشاركات والملتقيات العلميّة والفكريّة، و البحوث والرّسائل الجامعيّة، وغيرها من الآليات والأدوات الممكنة.

5- الحثّ على الاعتناء بموروث أولئك الأعلام البارزين، من أمثال الزّمخشري والرّازي وأبي السّعود والألوسي والشّوكاني وأبي حيّان الأندلسي والطّاهر بن عاشور وغيرهم ممن أفادوا كثيرا في مجال الدِّراسات البلاغيّة في القرآن، واستخلاص جهودهم البيانيّة والتّفسيرية ومناهجهم في ذلك، في دراسات وبحوث خاصّة؛ فقدر الكثيرين من الأسلاف لم يعرف بعد، وحقّهم لم يوفّ وهو في ذمّة الأخلاف!

6- ونظرا لفقر المكتبة الأدبيّة والقرآنيّة لدراسات معمّقة شاملة للأساليب البلاغيّة في القرآن، والذي يعتبر أحد الصّعوبات المعترضة للبحث في هذا المجال، يُقترَح على أهل الاختصاص، وبتظافر الجهود، إنجاز موسوعة شاملة للأساليب البلاغيّة في القرآن-إن لم تكن أنجزت حتى الآن - إن في إصدار مكتوب أو مخزّن في أقراص،كموسوعات الحديث

الشّريف مثلا،أو موسوعات التّفسير، أو الفقه، أو الشّعر أو غيرها، تسهيلا للبحث وحثّاً عليه. و لعلّ معاجم المصطلحات البلاغيّةالمتوفِّرة حاليا، تعين على البحث وتخفّف من عنائه، ولكن ليس كالتّخفيف بهذا المشروع المقترح..

ويأمل الباحث في نهاية هذا البحث أن يكون قد أجاب عن تلك التساؤلات المطروحة في مقدمته،أو عن بعضها على الأقل،ومهّد الطّريق لانطلاقة جادّة وفعّالة في التّعامل مع هذا الأسلوب في القرآن، و أوضح معالمها، وساهم ولو بجهد المقِلّ في تحريك هذا المشروع، وقدّم خدمة للقرآن ولغته، وأضاف جديدا إلى المكتبة القرآنيّة والأدبية، سائلا الله-تعالى- أن يتقبّل منه هذا الجهد، وأن يتجاوز عنه الخطأ والتقصير،وأن يشفع له اجتهاده عند عاذليه ومنتقديه. وصلّى اللهوسلّم على محمد وآله وصحبه.

الفهارس

الفهــارس

- فهرس الآيات القرآنيّــة.
- قائمة المصادر و المراجــع.
- فهرس الموضوعــات.

فهرس الآيات القرآنيّة

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
	الفاتحة	
([illegible]حمن الر[illegible])	03-02	[illegible]4
(إ[illegible] نعبد [illegible] نستعين)	04	14،18،29،125،[illegible]3،204-205
([illegible] الصراط [illegible]ستقيم)	06-05	30[illegible]

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)	07	-205 206
البقرة		
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)	04	207
(يَا أَيُّهَا النَّاس اعْبُدُوا رَبَّكُمُ)	21	109-108،45،16
(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً)	22	109،77
(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا)	23	77،57
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ)	27-26	109 -108
(كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً)	29-28	109-108
(يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ)	47	187
(وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ)	48	187
(وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ)	53	133
(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ)	54	133
(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ)	57	62
(وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ)	60	-132 133
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى)	61	63
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ)	74	187
(أولايَعْلَمُونَ أَنَّاللَّهَ يَعْلَمُ)	77	170
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ)	83	187
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)	87	61
وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ)	88	60
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاس عَلَى حَيَاةٍ)	96	170
قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى)	120	122
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ)	121	122
(أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ)	133-134	61
الآية	**السّورة و رقم الآية**	**رقم الصفحة**
وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نصَارَى تَهْتَدُوا)	135	61
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ)	145	123

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
(يا أَيُّهَا النّاس كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْض حَلالاً)	168-169	124
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)	170	123
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ)	200	152
(كَانَ النّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)	213-214	97
(وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا)	229	33
فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى)	230	159
(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)	253	60
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ)	259	149
(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ)	270	160
إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)	271	159
وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)	281	100،188
آل عمران		
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ)	09	134
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْن)	13	189
قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ)	32	80
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)	36	208
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)	44	160
إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ)	45	05،135،160
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ)	47	135،160
(وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ)	48	160
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ)	55	109
فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً)	56	190
وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواوَعَمِلُواالصَّالِحَاتِ)	57	190
(لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ)	81	170
فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)	82	171
أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ)	83	170
(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)	106	144
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)	108	160
(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ)	110	171

(وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ) 115 171
(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) 145 161
(بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) 150 161-160
(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) 151 100
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) 159 209
(إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ) 160 153
(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) 179 110
(وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ) 180 172
(رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ) 194 135
(فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ) 195 209

النّساء

(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً) 10 05
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) 14-13 162 -161
(وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً) 30 163- 162
(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) 31 163
(إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) 40 163
(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ) 55-54 41
(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً) 56 56
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ) 64 74
(وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) 72 44
(فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ) 74 44-43
(وَلِمَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) 75 43
(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ) 83 110
(وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ) 102 40
(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ) 114 164-163
(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) 139-138 111
(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) 140 111
(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) 145 -146 142
(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) 147 142
(أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً) 151 191
(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ) 152 190

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ)	172	164
	المائدة	
(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيل)	12	111،101
(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ)	14-13	112،44
(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ)	14	55
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ)	16-15	44
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)	18	45
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا)	19	45
(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ)	44	112-113
(وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)	49	172
(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)	50	172
(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ)	68	90
(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)	77	90
	الأنعام	
(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)	02-01	113
(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ)	06	114
(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ)	19	124
(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ)	20	124
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً)	26-25	
(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً)	62-61	124، 82
(قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً)	65	164
(قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا)	72-71	217،150
(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)	83	164
(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا)	97	139،52
(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)	98	139،52
(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ	99	139،51
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ)	100	115
(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)	102	114
(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ)	109	191
(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً)	112	78
(لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ)	127	165

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ)	128	165-164
(فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا)	136	64
(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ)	155-157	192
الأعراف		
(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)	03	192
(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا)	12-11	83
(أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)	54	66
فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ)	93	89
(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ)	137	72
(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)	145	115
(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً)	158	85،46
(وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً)	164	135
(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ)	169	210
(وَنَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ)	171	42
(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ)	172	42
(مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ)	186	165
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)	190-189	172
أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ)	192-191	116
(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)	195-194	116
الأنفال		
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)	14-13	97
(وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ)	35	66
(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا)	74	75
(وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا)	75	75
التّوبة		
(بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ)	02- 01	145

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
(وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ)	03	69
(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ)	17	116
(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)	19	116
(يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا)	35	145
(يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ)	62	173
(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)	63	173
(قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)	65	118
(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ)	67	118
(وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ)	69-68	117
(فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ)	77	173
(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ)	78	173
(وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا)	86	99
(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ)	102	174
(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)	104	174
(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ)	111	75
	يونس	
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا)	05	165
(إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	08-07	77
(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ)	09	76
(وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ)	11	165
(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا)	13	62، 193
(ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ)	14	62

(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ) 15
62
(وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاس رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ) 21 -136
217
حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) 22
216،125،36،06،04
فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْض) 23
36
(إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاس شَيْئاً) 44 166
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً) 45
166
(أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْض) 66
174

هود

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) 35 154
قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) 54 -57
153
(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْض وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) 60
217
قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) 81
25
(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) 90
217
(وَإِنَّ كُلّاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) 111
175

الآية السّورة و رقم الآية رقم الصفحة

يوسف

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَص) 03
183
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ) 24
166
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْض يَتَبَوَّأُ مِنْهَا) 56
193
قُلْ (هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) 108
175
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ 109
175

الرّعد

(وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) 40
58
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) 41
85،58

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
	إبراهيم	
(ألَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ)	20-19	166،06
(وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً)	21	06
(وَقَالَ الشّيطان لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ)	22	194
(وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ)	42	167
	الحجر	
(وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ)	25-24	79
	النّحل	
أَ(تَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ)	01	194
أَ(فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ)	47-45	176
(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ)	48	175
(وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ)	51	33، 55، 98،216
(وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً)	52	56
(وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)	56	64
(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)	72	195
(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً)	73	68
فَ(لا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ)	74	68
(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً)	82-81	154
(إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)	95	167
(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ)	96	167
(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)	97	195
وَ(إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ)	101	،58 85
الآية	**السّورة و رقم الآية**	**رقم الصفحة**
(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً)	122-120	76
	الإسراء	
(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً)	01	74، 78، 126، 195
(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً)	02	176
وَ(كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)	13	196

(مَنْكَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) 18 ،161
197
(وَلا تَقْتُلُوا النَّفسالَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) 33
176
(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) 36 127
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) 57
174
(قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) 63 100
(وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْبِصَوْتِكَ) 64
84
قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) 96 137
(وَمَنْيَهْدِ اللَّهُ فَ هُوَ الْمُهْتَدِ) 97 136
الكهف
ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى) 12
167
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) 14-13 81
(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ) 21 137
(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) 47
197
(وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً) 48 ،198
210
(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ) 49
210
(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) 50 ،65
66
مريم
يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) 07
211
(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) 09 211
(أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ) 67
211
ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً) 70
211
(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) 71 211
(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً) 89-88 146،216
طه
(طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) 04- 01
212
(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) 53-49
137
الآية **السّورة و رقم الآية** **رقم الصفحة**
(وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً) 61 15

فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)	73-72	217،98
(كَذَلِكَ قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ)	100-99	127
أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ)	129-128	198
الأنبياء		
(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً)	32	40
(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)	33	40
(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ)	34	199
(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)	35	198
وَإِذْ عَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ)	80	199
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)	93-92	66
(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)	98- 100	90
الحجّ		
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ)	05	199
(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)	10-08	146
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ)	47	177
المؤمنون		
(حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ)	67-64	200
أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ)	77-68	119
وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)	78	118
وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)	79	200
وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)	80	200
النّور		
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ)	09-06	82
وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ)	10	81
(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ)	12-11	64، 119
وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ)	22	177
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ)	40	126
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ)	53	47، 139-140، 178
قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)	54	139،85-46،155،154،151،140
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	56-55	150 -151
الآية	**السّورة و رقم الآية**	**رقم الصفحة**
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً)	63	120
أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	64	119

الفرقان

(لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ)	16	168
(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ)	17	100، 168
فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ)	19	169
(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ)	44	35
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ)	45-46	52
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا)	48	52
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)	68	177
(يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)	69	177

الشّعراء

(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى)	10-11	178

النّمل

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ)	25-26	178-179
قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ)	44	83
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ)	54-55	99
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى)	59-60	200،50-201
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)	90	147

القصص

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ)	05- 06	72
(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ)	59	101
(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	60	201

العنكبوت

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ)	16-24	91
وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ)	23	102
مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ)	41-44	179
فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)	65	62
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)	66	62

الرّوم

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى)	10	180

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ)	11	180
(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ)	33-35	62

(وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النّاس)		39 128
لقمان		
(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)	30	129
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ)	32- 31	129
السّجدة		
(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)	09-07	78
(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا)	15	80
الأحزاب		
(وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)	50	102
(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	73 -72	56
سبأ		
(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ)	22	130
(وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)	23	130
فاطر		
(وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً)	09	48
(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)	28-27	49
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ)	40	130
يس		
(وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	22	94، 100، 216، 217
(وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ)	35-34	131
(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ)	81	180
(فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ)	83	180
الصّافات		
(أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ)	158-151	67
(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً)	160-158	42
(فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ)	163-161	41
ص		
(وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)	24	35

الآية **السّورة و رقم الآية** **رقم الصفحة**

(وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) 49-52 181
(هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) 53 181

الزّمر

(فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) 15 148
اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ) 23 183
قُلْ(يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) 53 80
(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً) 71-72 102

غافر

(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِر) 18 181
(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ) 20 181
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا) 21 -212 213
(لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) 57-58 -181 182

فصلت

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) 05 60
فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) 12 52-53

الشّورى

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) 25 182

الزّخرف

(أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً) 05 140
(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) 09-11 140
(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) 87 141

الدّخان

(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) 03-06 76
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) 10-15 68
(ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) 49 148

الجاثية

(وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً) 28 142 -143
(ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً) 35 142

الأحقاف

(وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ) 29 170

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة

محمّد

(وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ) 20-21 63
فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) 22 63

الفتح

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً)	03-01	73
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)	09-08	103
الحجرات		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ)	08-06	143
ق		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ)	16	120
(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)	19	120
(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ)	36	213
القمر		
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ)	26 -23	182
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ)	44-43	201
الواقعة		
(هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ)	57-56	57
الحديد		
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا)	07	104
(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)	12	143
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)	36	222-221
المجادلة		
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ)	13-12	30، 105
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)	14	30، 105
يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ)	18	105
الحشر		
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)	19	202
الطّلاق		
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)	01	120
تِلْكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ)	05	169

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
التّحريم		
وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً)	04-03	65
الملك		
وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ)	11-06	121
وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ)	13	120
القلم		
(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)	36-35	67

الآية	السّورة و رقم الآية	رقم الصفحة
	الحاقّة	
(فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)	41-38	202
(وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)	42	202
(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)	47	202
	المزمّل	
(وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعمة)	13-11	121
(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ)	15	121
	المدثّر	
(بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً)	52	183
(كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ)	53	183
(فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)	55	183
(وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)	56	183
	القيامة	
(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى)	33 -35	147
(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً)	37-36	183
	الإنسان	
(وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً)	22-21	148
	المرسلات	
(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ)	48-45	151
	النّبإ	
(كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)	05-04	184
(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً)	30-28	148
	عبس	
(عَبَسَ وَتَوَلَّى)	04-01	69
	الانشقاق	
(يَا أَيُّهَاالْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ)	06	203
(فَلاأُقْسِمُ بِالشَّفَقِ)	19-16	203
	الأعلى	
(سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى)	08-06	59
(وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى)	11	185
(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى)	5	185
(بَلْتُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)	16	184
	الفجر	
(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ)	15 -16	185
(كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ)	17	185
(يَا أَيَّتُهَا النَّفس الْمُطْمَئِنَّةُ)	30 -27	141
	الشّرح	

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)	08-01	48
	التّين	
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)	04	122
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ)	08-07	122
	العلق	
كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى)	08-06	69
	الكوثر	
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)	02	47

❋ ❋ ❋

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- أبجد العلوم (الوشى المرقوم في بيان أصول العلوم): صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1978م.

2- أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الرابعة، 1963م.

3- الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، (د.م)، الطبعةالثّالثة، 1409هـ-1989م.

4- أساس البلاغة: أبو القاسم محمد الزّمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، تعريف: أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان،(د/ط.ت).

5- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، تقديم: محمد حسين الأعرجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر،(د.ط)، 1992م.

6- أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين علي بن محمد بن الأثير الجزري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1997م.

7- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد البنّا، تحقيق و تقديم: د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب- مكتبة الكليات الأزهرية، بيروت- القاهرة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م.

8- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1398هـ-1978م.

9- الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1992م.

10- إعجاز القرآن: أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاّني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعةالثّالثة، (د.ت).
11- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري، مطبوع على حاشية الكشاف للزمخشري، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت).
12- الإيضاح في علوم البلاغة: أبو المعالي محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني، شرح و تعليق وتنقيح: د. عبد المنعم محمد خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثّالثة،(د.ت).
13- الاختلاف بين القراءات: أحمد البيلي، دار الجيل- الدار السودانية للكتب، بيروت- الخرطوم، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.
14- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ-1987م.
15- بحوث في أصول التفسير و مناهجه: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة الرابعة، 1419هـ.
16- البديع في البديع في نقد الشّعر: أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، تحقيق و تقديم: عبد آ.علي مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1987م.
17- (كتاب) البديع: أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرح و تحقيق: أ. عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ، 2001م.
18- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزّركشي، تخريج وتقديم و تعليق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.
19- البلاغة العربيّة: تأصيل و تجديد: محمد الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالأسكندرية: جلال مزي وشركاؤه، مصر، (د.ط)، 1985م.
20- البلغة في تاريخ أئمة اللّغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مراجعة: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.
21- بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره "التحرير و التنوير": خالد أحمد الشامي، مركز إحياء تراث آل البيت، تونس، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م.
22- البيان و التبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت).
23- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح و نشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، (د.م)، الطبعةالثّالثة، 1401هـ-1981م.
24- تحرير التحبير في صناعة الشّعر و النثر و بيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الأصبع المصري، تقديم و تحقيق: د. محمد حفني شرف، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1383هـ، 1963م.
25- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمان أبو العلا المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د/ط.ت).

26- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة، 1402هـ - 1982م.
27- التّعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.
28- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم): محمد بن محمد أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د/ط.ت).
29- تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الثقافة للنشر و التوزيع، بئر مراد رايس، الجزائر، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
30- تفسير البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة و تحقيق و تعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشيخ علي محمد المعوض، بمشاركة: د.زكريا عبد المجيد النّوني- د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ- 2001م.
31- تفسير البغوي (معالم التنزيل): الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي، تحقيق: خالد العك – مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعةالثّانية، 1407هـ-1987م.
32- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل و أسرار التأويل): عبد الله بن عمر أبو سعيد البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت/ (د.ط)، 1416هـ-1996م.
33- تفسير التحرير و التنوير(تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1984م.
34- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن): عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د/ط.ت).
35- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، (د.ت).
36- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): محمد بن عمرو أبو عبد الله فخر الدين الرّازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعةالثّالثة، (د.ت).
37- تفسير السمرقندي (بحر العلوم): نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
38- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): محمد بن جرير أبوجعفر الطبري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1405هـ.
39- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، الطبعةالثّانية، 1372هـ.
40- تفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل): أحمد بن محمد أبو البركات النسفي، دار النفائس، (د/م.ط.ت).
41- تقريب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د /ط.ت).
42- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن الزّكي عبد الرحمان أبو الحجاج المزي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د /ط.ت).

43- تهذيب التهذيب: شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مؤسسة التاريخ العربي،(د /م.ط.ت)
44- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت- دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ.
45- ثلاث رسائل في الإعجاز للرمّاني و الخطّابي و عبد القاهر الجرجاني في الدِّراسات القرآنيّة و النقد الأدبي: تحقيق: محمد خلف الله، د.محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعةالثّانية، 1387هـ 1968م.
46- جامع الأحاديث و المراسيل: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الفكر، (د/ م.ط)، 1994م.
47- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام: محمد بن أبي الخطاب أبو زيد القرشي: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1967م.
48- جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع: السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1398هـ، 1978م.
49- حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني على الكشاف: علي بن محمد الجرجاني، مطبوع على حاشية الكشاف، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
50- حلية المحاضرة: محمد بن الحسن أبو علي الحاتمي، تحقيق: د. أبو جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د.ط)، 1979م.
51- خزانة الأدب و غاية الأرب: ابن حجة تقي الدين الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار و مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987م.
52- دراسات في البلاغة: محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1984م.
53- الدرس البلاغي عند المفسرين: رابح دوب، دار الفجر للنشر و التوزيع - الهرم، مصر، الطبعةالثّانية، 1999م.
54- الدّر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1993م.
55- الدفاع عن الحديث النبوي و السيرة: ناصر الدين الألباني، (د/د.م.ط.ت).
56- دلائل الإعجاز: الإمام عبد القاهر الجرجاني، شرح و تعليق و فهرسة: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعةالثّانية، 1417هـ-1997م.
57- ديوان امرئ القيس: شرح و نشر دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1957م-1988م.
58- ديوان جرير: تقديم وشرح: تاج الدين شلق، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،(د.ط)، 1424هـ -2004م.
59- ديوان زهير بن أبي سلمى: دار صادر، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت).
60- ديوان المتنبي: دار الأرقم، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
61- ديوان النابغة الذبياني: شرح و تقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعةالثّالثة، 1996م.

62- ديوان الهذليين: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1369هـ.
63- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: محمود أبو الفضل الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د/ط.ت).
64- زاد المسيرفي علم التفسير: عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعةالثّالثة، 1404هـ.
65- سر الفصاحة: عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د / ط.ت).
66- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، (د/ط.ت).
67- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
68- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت).
69- سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر و آخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
70- شرح ديوان الحماسة: يحي بن علي أبو زكريا التبريزي الخطيب، عالم الكتب، بيروت، (د/ط.ت).
71- شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثّانية، 1414هـ.
72- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع: صفي الدين الحلّي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د/ ط.ت).
73- شرح المعلّقات السبع: الحسين بن أحمد بن الحسين أبو عبد الله الزوزني، المطبعة التعاونية، (د/م.ط)، 1383هـ 1963م.
74- شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعةالثّانية، 1392هـ 1972م.
75- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
76- الشّعر و الشّعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1966م.
77- الصاحبي في فقه اللّغة: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني، دار المؤيد، (د/م.ط)، 1328هـ.
78- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.
79- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالثّانية، 1414هـ-1993م.
80- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق:د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، الطبعةالثّالثة، 1407هـ 1987م.

81- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د/ط.ت).
82- طبقات فحول الشّعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربيّة السعودية، (د/ ط.ت).
83- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الهاشمي، دار صادر، بيروت،(د/ط.ت).
84- الطبقات الكبرى: القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن تبعهم:محمد بن سعد بن منيع،تحقيق:زياد أحمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثّانية،1408هـ
85- طبقات المحدثين بأصبهان و الواردين عليها: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعةالثّانية، 1412هـ-1992م.
86- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزّي، مكتبة العلوم و الحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997م.
87- طبقات المفسرين: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ.
88- العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب: ناصف اليازجي، دار صادر، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت).
89- العقد الفريد:أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،دار إحياء التراث العربي، بيروت،لبنان،(د/ط.ت).
90- علم المعاني و البيان و البديع: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
91- العمدة في محاسن الشّعر و آدابه: الحسن بن رشيق أبو علي القيرواني، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.
92- عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق أبو الطيب العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1415هـ.
93- غريب الحديث: عبد الرحمان بن علي أبو الفرج الجوزي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1985م.
94- غريب الحديث: القاسم بن سلام أبو عبيد الهروي، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1396هـ.
95- غريب الحديث: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: د.عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1397هـ.
96- الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر أبو القاسم الزّمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعةالثّانية، (د.ت).
97- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت).

98- الفردوس بمأثور الخطاب: شيراويه بن شهردار بن شيراويه أبو شجاع الديلمي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
99- فقه اللّغة و سر العربيّة: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق و ترتيب وفهرسة: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، (د/م.ط.ت).
100- الفلك الدائر على المثل السّائر(مطبوع مع المثل السّائر): عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، تحقيق و تقديم و تعليق: د. أحمد الحوفي، د.بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1380هـ 1960م.
101- الفوائد المشوق في علوم القرآن و علم البيان: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،(د/ ط.ت).
102- الفهرست: محمد بن إسحاق النّديم أبو الفرج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط)ن 1398هـ-1978م.
103- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت- القاهرة، الطبعةالثّانية عشرة، 1406هـ-1986م.
104- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب أبو الطاهر الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1993م.
105- القراءات القرآنيّة: تاريخها، ثبوتها،حجيتها، و أحكامها: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، إشراف ومراجعة و تقديم: د.مصطفى سعيد الخن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1999م.
106- القراءات و أثرها في علوم العربيّة: محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م.
107- الكامل في اللّغة و الأدب: محمد بن يزيد أبو العباس المبرد، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1422هـ 2002م.
108- كتاب الصناعتين: الكتابة و الشّعر: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكريّ، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1406هـ-1986م.
109- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و حقائق الإعجاز: يحي بن حمزة بن علي العلوي، مراجعة وضبط وتدقيق: محمد بن عبد السّلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995 م.
110- كتاب العين: الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمان الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، (د/ م.ط.ت).
111- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر أبو القاسم الزّمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د/ط.ت).
112- كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1413هـ 1992م.
113- لا يأتون بمثله: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعةالثّانية، 1425هـ 2004م.
114- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د.ت).

115- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، 1405هـ-1985م.
116- المثل السّائر في أدب الكاتب و الشّاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د.بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1380هـ 1960م.
117- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، القاهرة،(د.ط)، 1374هـ 1954م.
118- مجمع الزوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث- دار الكتاب العربي، القاهرة- بيروت، (د.ط)، 1407هـ.
119- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، (د.ط)، 1415هـ-1995م.
120- مختصر الشمائل المحمدية: محمد بن سورة أبو عيسى الترمذي، اختصار و تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، (د/ ط.ت).
121- المدهش: جمال الدين بن علي أبو الفرج الجوزي، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1985م.
122- المزهر في علومالل ّغة و أنواعها: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السّيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
123- مسائل الانتقاد: محمد بن شرف أبو عبد الله القيرواني، تحقيق: د. النبوي عبد الواحد شعلان، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، (د/ ط.ت).
124- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ 1990م.
125- المستقصى في أمثال العرب: محمود بن عمر أبو القاسم الزّمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1987م.
126- المستطرف في كل فن مستظرف:شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق:د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثّانية، 1986م.
127- مسند الإمام أبي حنيفة: النعمان بن ثابت أبو حنيفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د/ط.ت).
128- مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر، (د/ط.ت).
129- المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د/ط.ت).
130- مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله أبو بكر محمد بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، الطبعة الأولى، 1409هـ.
131- معاني القرآن الكريم: أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1409هـ.
132- معاني القرآن: يحي بن زياد الفراء، القاهرة،(د.ط)، 1354هـ 1955م.
133- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، بيروت، (د/ط.ت).

134- **معجم الشّعراء: محمد بن عمران أبو عبيد الله المرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1960م.**
135- **معجم المصطلحات البلاغيّة و تطورها (عربي-عربي): أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعةالثّانية، سنة 2000م.**
136- **المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، مكتبة العلوم و الحكم، الموصل، الطبعةالثّانية، 1404هـ-1983م.**
137- **معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف- شعيب الأرنؤوط- صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ.**
138- **مفتاح العلوم: يوسف بن محمد أبو يعقوب السّكاكي، تحقيق و تقديم و فهرسة: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.**
139- **من أسرار البلاغة: د. محمود السيد شيخون، مطبوع ضمن دورية سلسلة مكتبة المسلم العصرية: إسلاميات، رقم:86، مراجعة هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب و السنةبالقاهرة، المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر و التوزيع، القاهرة،(د/ ط.ت).**
140- **منهاج البلغاء و سراج الأدباء: حازم بن محمد أبو الحسن القارطجني، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعةالثّالثة، 1986م.**
141- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1968م.**
142- **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: صلاح عبد الفتاح الخالدي، شركة الشهاب: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988م.**
143- **نقد الشّعر: قدامة بن جعفر، تحقيق و تعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د/ ط.ت).**
144- **نقد النثر(البرهان في وجوه البيان): قدامة بن جعفر الكاتب، تحقيق: عبد الحميد العبادي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1416هـ- 1995م.**
145- **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين محمد بن عمر الرّازي، تحقيق و تقديم: د. إبراهيم السامرائي، د. محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، (د.ط)، 1985م.**
146- **النهاية في غريب الأثر: المبارك بن محمد أبو السعادات الجزري، تحقيق: أحمد طاهر الزاوي- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، 1399هـ-1979م.**
147- **وفيات الأعيان: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د/ط.ت).**

فهرس الموضوعات

المقدّمة:..... أ
التمهيد:.....01

أوّلا: الالتفات و تدرّجه عند علماء البلاغة 03
ثانيا: المفهوم اللّغوي للالتفات و أوجه ارتباطه بالمفهوم البلاغي.....24
ثالثا: شروط الالتفات.....30
رابعا: فائدة الالتفات.....33
الفصل الأوّل: التفات متّفق عليه و دلالاته.....37
المبحث الأوّل: دلالات فيها معنى التّرغيب و الاعتناء بالأمر 39
- الحثّ على الفعل و الاستمالة إليه و العناية بمضمون الكلام.....40
- ترغيب النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم-و حثّه على الفعل 47
- بيان العظمة و القدرة و الاختصاص وكمال العناية بالفعل.....48
المبحث الثّاني: دلالات فيها معنى التّرهيب و تهويل الأمر 54
- تربية لمهابة في النّفوس و تهويل الأمر.....55
- الإعراض و الإسقاط عن رتبة الخطاب.....60
- الإنكار و التّوبيخ و الوعيد..... 63
- عتاب النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-.....69
المبحث الثّالث: دلالات أخرى للالتفات.....71
- التّعظيم و التّشريف و الامتنان 72
-التّسلية و التّثبيت و التلطّف.....78
- الإشعار بعليّة الحكم.....80
- التّغليب.....81
- الجواب عما يتبادر من سؤال.....83
- إظهار الإقرار و المعرفة و التمكّن 83
- تقويّة معنى الاعتراض.....84
- دفع التّهمة.....85
الفصل الثّاني: التفات مختلف فيه.....86
المبحث الأوّل: اختلاف مرجعه إلى الاختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته

أو في شرط من شروط الالتفات 88
أوّلا: اختلاف في فهم الأسلوب و تحديد طبيعته .....
89
ثانيا:اختلاف في شرط من شروط الالتفات.....
97
المبحث الثّاني: اختلاف في القول بعود الضّمير في المنتقل إليه على المنتقل عنه..... 107
أوّلا:اختلاف في عود ضمير خطاب في المنتقل إليه على المنتقل عنه..... 108
ثانيا: اختلاف في عود ضمير غيبة في المنتقل إليه على المنتقل عنه.....122
المبحث الثّالث: أسباب أخرى للاختلاف .....
132
أوّلا: الاختلاف في نسبة الكلام و جهة صدوره.....133
ثانيا: الاختلاف في وصل الكلام الذي وقع فيه المنتقل إليه بما قبله.....142
ثالثا: الاختلاف في حمل الكلام في المنتقل إليه على الظّاهر أو على تقدير القول.....144
رابعا: الاختلاف في القول بعطف المنتقل إليه على المنتقل عنه 149
خامسا: الاختلاف في حمل اللّفظ في المنتقل إليه على العموم أو على الخصوص.....152
سادسا: الاختلاف في حمل الفعل في المنتقل إليه على المضيّ أو على الاستقبال.....153
الفصل الثّالث: التفات بحسب القراءة .....
156
المبحث الأوّل: التفات على قراءتي النّون و التّاء 158
أوّلا: التفات على قراءة الياء.....159
ثانيا: التفات على قراءة التّاء.....170
المبحث الثّاني: التفات على قراءات الياء وأخرى.....186
أوّلا: التفات على قراءة الياء..... 187
ثانيا: التفات على قراءات أخرى..... 204
الخاتمة:..... 214
الفهارس: 220

- **فهرس الآيات القرآنيّة**.....222
- **قائمة المصادر و المراجع**.....237
- **فهرس الموضوعات**.....247